الإنتفاضات البارزانية

كاوس قفطان

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

www.araspublisher.com

كاوس قفطان

الإنتفاضات البارزانية

صفحات من تاريخ الحركة

التحررية الكُردية

في النصف الاول من القرن العشرين

اسم الكتاب: الإنتفاضات البارزانية – صفحات من تاريخ الحركة التحررية الكُردية في النصف الاول من القرن العشرين
تأليف: كاوس قفطان
من منشورات ئاراس رقم:
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: كردستان مزوري
تصحيح: عبدالرزاق عبدالله
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الثانية: مطبعة وزارة التربية – اربيل ٢٠٠٣
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٢٠٠٢/٣٢٥

كُتبت هذه الأطروحة في معهد شعوب آسيا (التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية) ونوقشت في جامعة لينينگراد (سانت بيتربورگ حالياً) ونال عليها المؤلف شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف في نهاية ١٩٦٣

المقدمة

لقد كان للموقع الجغرافي الممتاز لكُردستان سبباً في تنافس الدولتين الفارسية والعثمانية لفرض السيطرة عليها. لقد أدى هذا الصراع في نهاية الأمر الى اول تقسيم فعلي لكُردستان بعد معركة (چالديران) سنة ١٥١٤م بين الدولتين. وقد إزدادت أهمية كُردستان في القرون المتأخرة خاصة بعد الثورة الصناعية وتحول الدول الاوروپية الغربية الصناعية الى دول استعمارية تبحث عن اسواق لصادراتها وعن مصادر المواد الاولية الضرورية لصناعاتها، وقد وصلت هذه الاهمية ذروتها عندما أصبح النفط المادة الرئيسية المحركة للصناعة وتمدها بالقوة والطاقة وبالتطور وبالتالي تتيح سيطرة الدول الصناعية على غيرها من الدول والشعوب المتخلفة الضعيفة. ولهذا اصبحت كُردستان الطافية على بحيرة من النفط مطمح أنظار هذه الدول والنقطة التي تتركز عندها صراعاتها وصراعات الأمم الكبيرة التي تقتسم كُردستان. لذا لم يكن من المستغرب ان تتصارع فرنسا وروسيا وبريطانيا وفيما بعد ألمانيا والولايات المتحدة فيما بينها قبل وبعد الحرب العالمية الاولى (عدا روسيا التي صارت دولة إشتراكية بعد الحرب) لغرض السيطرة عليها والاستفادة من الموقع الستراتيجي لها ومن ثرواتها المعدنية وغير المعدنية. ولقد تم بعد الحرب العالمية الاولى ونتيجة لمخطط إستعماري مسبق تقسيم كُردستان بين العراق وتركيا وإيران وسورية، هذا التقسيم إستمر ليومنا هذا.

لقد قام الشعب الكُردي في بداية القرن العشرين بعدة إنتفاضات (كانت استمراراً لإنتفاضاته في القرن التاسع عشر) من اجل التحرر القومي ووحدة الوطن المقسَّم. قمعت السلطات المحلية وبالتعاون مع الدول الإستعمارية هذه الإنتفاضات بالحديد والنار، إن هذه الإنتفاضات العديدة هي في الواقع تأريخ الشعب الكُردي الحديث وتطور حركته التحررية.

لقد كُتب الكثير عن هذه الإنتفاضات وما كتبه الكُرد عن أنفسهم يمكن اعتباره أقل ما كُتب، فالقسم الأعظم من المؤلفات المدونة في هذه الفترة عن الكُرد كتبه مؤلفون انگليز كانوا إما سواحاً جابوا البلاد، أو مدنيين أو عسكريين أخضعوا البلاد لسيطرة دولهم بإسم حق الفتح (وإن جرى ذلك تحت شعار الحرية) أو من رجال كان همهم فتح الطريق أمام الغزو الإقتصادي والعسكري.

إن الحرب، أو حق الفتح، وهو الجانب الأسوأ من النزعة العنصرية، يؤدي لا محالة الى محاولة الدولة الفاتحة تبرير موقفها بمختلف الحجج وشتى الذرائع. فتختفي في حالات كهذه الحقائق وتسود الأباطيل والتلفيقات، وتدوم الحرب بين الغالب والمغلوب ولا تنتهي إلاّ بعد إنتصار المغلوب. وعلى هذا الاساس فإن تبرير الأفعال من قبل السلطة الغالبة وطمس الحقائق يبقى مستمراً، وعليه يمكن القول بأن معظم ما يكتبه الغالب عن المغلوب يجب ان يكون موضع شك، وإلاّ فكيف يمكن تفسير وتبرير ما كتبه معظم الكتاب الإنگليز عن الكُرد. كل تلك الكتابات المليئة بالتحريف والدسّ والنيات المبيّتة التي لا تحتاج الى براهين.

واذا لم تكن هذه المحاولات تهدف لطمس الحقائق، فكيف نفسر اعتبار كثير من الكتاب الإنگليز كل محاولة كُردية وكل إنتفاضة عملاً طائشاً، ومحاولتهم في كثير من الأحيان إضفاء صفة الوحشية والبربرية عليها، معتبرين في نفس الوقت أن كل ما قاموا به من تصرفات تدميرية وعمليات وحشية كان تحت عنوان التمدن والتطوير. وما يُقال عن هؤلاء يمكن تطبيقه على كتّاب ومؤلفي الطبقات الحاكمة للدول التي قسّمت كُردستان.

إن الإنتفاضات البارزانية التي حدثت في فترات متقطعة من ١٩٠٩– ١٩٤٥ في كُردستان الجنوبية (كُردستان العراق) هي احدى هذه الجوانب التي تعرضت كغيرها من جوانب حركة التحرر الكُردية لحملة تشويه واسعة، وهو السبب الذي دفعني لإختيارها موضوعاً لرسالتي، خاصة وانه لايوجد، حسب علمي، في اللغات الاجنبية بحث مستقل عنها يستند على وقائع وحقائق تاريخية مجردة من التعصب والنزعات الشخصية. ومما لاشك فيه انني حاولت قدر الإمكان الإبتعاد عن التحيز والتعصب، وإتخذت الاسلوب العلمي ونزعته مسلكاً لي في البحث الذي إعتمدت في إنجازه على القليل من المصادر الموضوعة باللغات الأجنبية، فهي لاتتعدى بضعة مقالات متناثرة في الصحف والمجلات واشارات مقتضبة في بعض الكتب.

أما ما يتعلق بالمصادر الإنگليزية حول الموضوع فلم نجد الكثير، فعن تاريخ الشعب الكُردي والإنتفاضة البارزانية لانجد مرجعاً واحداً غنياً وانما مقتطفات متناثرة هنا وهناك في بعض الكتب والمجلات والصحف للذين كتبوا عن التاريخ الكُردي عامة واشاروا الى الإنتفاضات البارزانية، أو سبق وزار عدد منهم كُردستان متنكراً أو غير متنكر قبل الحرب العالمية الاولى. لقد رسم هؤلاء الخرائط ودرسوا العشائر الكُردية وتنقلاتها ومحل سكناها وعدد نفوسها، وكتبوا عن العادات

والتقاليد الكُردية، ولم يكن دافعهم ـ بإستثناء مَن يعدُّ منهم على الأصابع كان يكتب لغرض علمي مجرد– سوى التمهيد للإحتلال الإنكليزي لكُردستان، حيث شغل بعضهم مناصب ادارية فيما بعد وأرسوا قواعد السلطة البريطانية الإستعمارية في العراق. ولهذا فإن وجهات نظرهم – حول القضية الكُردية وبضمنها الإنتفاضات البارزانية – كانت مبنية على المصالح البريطانية الإستعمارية، فكانت اقلامهم تحرِّف الوقائع وتشوّه دوافع الإنتفاضات البارزانية وتطمس أهدافها– التي كانت أولاً واخيراً موجهة ضد الهيمنة الإنكليزية في البلاد والسلطة المحلية العميلة لها. ولهذا فمن النادر ان يجد الباحث في كتابات لونگريك[١] وإدموندز[٢] ومس بيل[٣] على سبيل المثال وكذلك في تقرير البعثات الرسمية، تعليلاً منطقياً وعادلاً لهذه الإنتفاضات، بل على العكس يجد الباحث في بعض الأحيان معلومات يصعب تصديقها، ومثال ذلك محاولات بريطانيا إسكان الآثوريين في مناطق البارزانيين وما حولها. إن هذه المحاولة كانت إحدى الأسباب الرئيسية لإنتفاضة بارزان سنة ١٩٣١– ١٩٣٢. إلاّ أن بعض المؤلفين الإنكليز يفسرون تلك الإنتفاضات أو (الإضطرابات في المنطقة) كما يحلو لهم وصفها، بأنها كانت بسبب إعلان الشيخ أحمد، وهو الزعيم الروحي للبارزانيين نفسه نبياً، وعلى هذا الأساس يبررون تدخل القوات الجوية الملكية البريطانية وقصفها الوحشي للمنطقة.

ولقد تأثر بعض المؤلفين العراقيين أمثال الهلالي[٤] والحسني[٥] بوجهات نظر السلطات العراقية والبريطانية المحتلة وبياناتهما، فرددوا بشكل عشوائي بيانات السلطة وحكامها.

مما لا يمكن إنكاره أن مناطق بارزان تحولت الى محرقة حقيقية بإعتراف السلطات نفسها، فقد إعترف نوري السعيد بنفسه بأنه (حتى أشجار بارزان إحترقت)[٦]، وتعرض سكانها للتشريد والنفي، وصارت مأساتهم مثار عطف الشعب العراقي عامة وزاد من حقدهم على السلطة، بل حتى إن أكثر المؤلفين الإنكليز حقداً على الإنتفاضات البارزانية لايمكنهم إنكار المآسي والفضائع التي تعرض لها

(١) Longrigg, S. H. Iraq1900-1950 L.1953.

(٢) Edmonds, C.7.Kurds of Iraq. Middle East Journal, volI, NI. L. 1957.

(٣) Bell G, The Letters, L. 1935

(٤) عبدالعزيز الهلالي، معجم العراق الحديث، ج،١ بغداد ١٩٥٣.

(٥) عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة الثانية، ج٢، صيدا ١٩٥٣،ص ١٣١.

(٦) نجف قُلي پسيان، أز مهاباد خونين تا كرانه هاى آراس، طهران ١٣٢٨.

البارزانيون. فلونگريك يقول بأنه وبعد نزوح البارزانيين (قسم منهم – المؤلف) الى إيران ألفت السلطات الحكومية المحاكم العسكرية التي حكمت على (٧٠) شخصاً منهم بالسجن مدى الحياة وبالإعدام على (٣٠) آخرين[٧]. أما الهلالي الذي تكلم عن رفاهية الشعب العراقي خلال هذه الفترة، فإن الإنتفاضات العراقية الشعبية المتكررة خلال هذه السنوات من ١٩٤٦– ١٩٥٦ واخيراً ثورة تموز خير دليل على بطلان حكمه. ويمكن أن نستثني من ذلك عدداً من الكتاب العراقيين العرب الذين ألقوا الضوء على بعض جوانب الإنتفاضات البارزانية وكانت دراساتهم واحكامهم عادلة ومعقولة، فالدملوجي[٨] كتب عن حقيقة دوافع الشعب الكُردي وإنتفاضة بارزان الأولى ١٩٠٩ وعلل اسبابها بالحرمان القومي والإضطهاد وسوء الإدارة العثمانية. أما الدكتور شاكر خصباك فهو أول عراقي عربي مُحدِث يكتب عن الشعب الكُردي بأسلوب علمي بعيد عن التحيز والتعصب، والذي قام خلال عرضه للإنتفاضات البارزانية بتعليل دوافعها الإقتصادية والسياسية والقومية وتحليل أهدافها وأوضح سعتها ومدى خطورتها وخاصة إنتفاضة ١٩٤٥[٩].

وما كُتب عن بارزان وإنتفاضاتها باللغة الروسية قليل متناثر في الكتب التي صدرت حديثاً عن العراق عدا ما هو موجود في الأرشيف[١٠]. ولكن مع قلة المعلومات فيها إلاّ أنها تعد من أكثر المصادر إنصافاً وعلمية وشمولاً. فالإنتفاضات البارزانية حسب تحليل هذه المصادر لها دوافعها الإقتصادية والسياسية، التي هي في الأصل جزءٌ من دوافع الشعب الكُردي خاصة والعراقي عامة والتي استهدفت إزالة الهيمنة البريطانية الإستعمارية في البلاد وأعطت الحركة الوطنية العراقية دفعة للامام وعززت نضالها ضد الإستعمار والرجعية، وهو ما نجده عند ميرسكي[١١] ودانزك[١٢]وكوتلوف[١٣] وفيدجينكو[١٤] وليڤين[١٥] وغيرهم.

(٧) Lonrigg, p 327.

(٨) صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكُردية أو إمارة العمادية، الموصل ١٩٥٢.

(٩) الدكتور شاكر خصباك، الكُرد والمسألة الكُردية، بغداد ١٩٥٩، ص٧٢.

(١٠) لقد صدر مؤخراً كتاب الكُرد والمسألة الكُردية للدكتور لازاريف بالروسية وفيه معلومات قيّمة عن البارزانيين.

(١١) ميرسكي، ل.ت، العراق في الاوقات الحالكة ١٩٣١– ١٩٤١، موسكو ١٩٦١ بالروسية.

(١٢) دانزك، ل. ن، الإنتفاضة الوطنية التحررية في سنة ١٩٢٠ في العراق. موسكو ١٩٥٨، باللغة الروسية.

(١٣) كوتلوف، ل. ن، الإنتفاضة الوطنية التحررية في سنة ١٩٢٠ في العراق، موسكو ١٩٥٨.

(١٤) فيدجينكو، أ.ن، العرب في النضال من أجل الإستقلال، موسكو ١٩٥٧، بالروسية.

(١٥) ليڤين، ن، العراق، ميسوپوتاميا الحديثة، موسكو ١٩٣٧، بالروسية.

تحدث في بعض الأحيان أخطاء سببها نقص في المعلومات كما حدث عند فيدجينكو عندما سمى القبائل الكُردية القاطنة في منطقة العماديه ودهوك خطأً بالقبائل العربية[١٦]. ونجد في أحيان أخرى أخطاء أكبر كما هو الحال مع ميرسكي، الذي يعلل إنتفاضة بارزان ١٩٣١-١٩٣٢ بقوله:

«إن إنتفاضةً جديدة إندلعت في كُردستان بقيادة الزعيم الروحي الشيخ أحمد البارزاني، وقد خرجت الإنتفاضة عن الحدود التي رسمتها لها إنكلترا التي دأبت على استغلال الحركة القومية الكُردية كسلاح لتهديد السلطات العراقية»[١٧].

إن هذا يعني بأن تلك الإنتفاضة كانت بتحريض الإستعمار الإنكليزي وهذا بعيد عن الواقع ولا تقرّه الحقائق التأريخية. إلا ان كل مَن لديه إلمام كافٍ بتأريخ العراق الحديث عامة والتاريخ الكُردي الحديث خاصة، لايستطيع إلاّ أن يقرَّ بأن الإنتفاضات الكُردية في كُردستان العراق منذ بداية القرن التاسع عشر في منطقة السليمانية بقيادة الشيخ محمود الحفيد وفي باديناں شيوخ بارزان إنما كانت ضد الهيمنة البريطانية في العراق، ولتأمين الحقوق القومية للشعب الكُردي، وما القساوة التي جوبهت بها هذه الإنتفاضات من قبل الإستعمار الإنكليزي والسلطة المحلية العميلة إلاّ دليلاً ناصعاً على ذلك. صحيح أن الإستعمار الإنكليزي حاول على الدوام أن يخوّف السلطات العراقية من القضية الكُردية، لكنه لم يستطع إخضاع الحركة التحررية الكُردية المتمثلة في هذه الإنتفاضات وفي سنوات ١٩٣١-١٩٣٢ بالذات. ثم لم يكن هناك مبرر يدعو بريطانيا لتهديد وإخافة السلطات العراقية والتلويح بالقضية الكُردية، حيث ان معاهدة ١٩٣٠ كانت قد أُبرمت واصبح العراق بموجبها تحت السيطرة البريطانية، كما كان قد ترأس الحكومة صديق بريطانيا المخلص نوري سعيد. إلاّ ان ما يؤخذ على هذه الدراسات خلوها من العمق العلمي وتوجهها السياسي، كذلك عدم أخذها لهذه الإنتفاضات من جوانبها المختلفة ودراستها دراسة جدية بعيدة عن روح التعصب، ولكن معظمها مع ذلك دراسات وثائقية وفي هذا تكمن أهميتها للباحث.

وتزخر هذه المؤلفات التي تتطرق الى موضوع بحثنا بإستعراض الحالات العسكرية وإهمال البواعث الرئيسية للإنتفاضات وهو ما نجده في: السجادي[١٨]،

(١٦) فيدجينكو، نفس المصدر، ص ٣١٥.
(١٧) ميرسكي، ص٧٨.
(١٨) علاء الدين السجادي، شۆرشەكانى كورد و كۆمارى عيراق، بغداد ١٩٥٩.

وچياووك[١٩]، والبريفكاني[٢٠]، والدكتور أرسلان[٢١]، فيما يشذ عن ذلك همزه عبدالله[٢٢]، الذي كتب بحثاً مختصراً لكن قيّماً عن إنتفاضات بارزان. وكذلك الحال مع الدكتور عزيز شمزيني[٢٣]، الذي يقدم لنا وثائق ومعلومات جيدة عن الإنتفاضات البارزانية في معرض بحثه عن تأريخ الشعب الكُردي. والشيء نفسه يُقال عن صلاح الدين سعدالله، فهؤلاء الثلاثة مضافاً إليهم رحيمي قاضي يمكن اعتبارهم الدفعة الاولى من الكتاب والمؤرخين الكُرد الذين إتخذوا الأسلوب العلمي نهجاً لهم.

(١٩) معروف چياووك، مأساة بارزان المظلومة، بغداد ١٩٥٤.
(٢٠) محمد البريفكاني، حقائق عن القضية البارزانية، بغداد ١٩٥٣.
(٢١) الدكتور أرسلان، ترجمة القرداغي، بارزان ونهێنى يەكانى.
(٢٢) همزة عبدالله، شۆرشێ بارزان، سلێمانێ ١٩٥٩، (ترجمه محرم أمين من العربية).
(٢٣) سيد عزيز شمزيني. الحركة الثورية الكُردية ١٩٤٢-١٩٤٦، مترجم عن الروسية في جريدة خەبات.

الفصل الأول

بارزان : الوضع الاقتصادي والعادات والتقاليد

هناك تفسيرات وتحليلات كثيرة حول أصل كلمة بارزان. فالبعض يعتقد انها جاءت من كلمة (برازي) وهو إسم لعشيرة كُردية كبيرة، فيما يُرجّح آخرون أنها كانت إسماً للجد الأكبر للبارزانيين وهي تعني (حامل الحق)، وغيرهم يفسرونها بأنها من كلمة (برازان) وهي كلمة صوفية فلسفية تعنى (إخوان الصّفا)، أو أنها من كلمة (پارس) أي الدرويش[١].

ولكن ليس بالإمكان الإعتقاد بصحة هذه التفسيرات، لأن البارزانيين ليسوا عشيرة مستقلة حتى يكون لهم جد أعلى، وهم لاينتمون الى عشيرة البَرازي، ومن جهة اخرى فإن قرية بارزان، التي اصبحت لقباً وكنية للساكنين فيها، كانت موجودة قبل ظهور الطرق الصوفية في المنطقة. فلهذا يبدو لنا أمر ربط أصل كلمة بارزان بتفسير صوفي فلسفي كالپارس والبَرزان غير صحيح. وبرأينا أن أقرب تفسير لأصل كلمة بارزان هو أنها تعود الى كلمة (بەرز) الكُردية وتعني (العالي)[٢]، وبارزان في الواقع تقع في منطقة مرتفعة جداً.

بارزان قرية صغيرة تابعة إدارياً لقضاء زيبار، تقع في منطقة جبلية وعرة تحيط بها السلاسل الجبلية من جميع الجهات؛ فمن غربها وجنوبها تحيط بها جبال (پيرس) و(زيبار) وسلاسل أخرى، أما من الشرق فسلسلة جبال برادوست وپيران وكاني رَش، وفي شمالها تمتد سلسلة جبال شيرين الشاهقة. ولبارزان اهمية ستراتيجية فهي تمتد نحو الحدود الايرانية وتشرف عليها في شرقها، ونحو الحدود التركية في شمالها، أما في جنوبها فتشرف على المناطق الآهلة بالسكان مثل عقره ودهوك. منطقة بارزان تشبه في شكلها المستطيل، فعرضها من الشرق الى الغرب يصل الى (٩٠) كيلومتراً يمكن قطعها على ظهر حصان في ثلاثة أيام، أما المسافة من شمالها الى جنوبها فأقل من ذلك ويمكن قطعها بنفس الطريقة في يومين. ومما لاشك فيه أن هذا الموقع الممتاز ووعورة طرقها ووهادها تعتبر أسباباً هامة لتمسك

(١) چياووك، ص٥٢.
(٢) سجادي، ص١٤٩.

البارزانيين بإستقلالهم وحريتهم وبالتالي وقوفهم في وجه السلطات الرجعية العثمانية والعراقية، ما جعل منطقتهم مركزاً لإنطلاق الإنتفاضات الوطنية الكُردية.

قرية بارزان قرية صغيرة في حد ذاتها لايتجاوز عدد سكانها (٨٢٦) شخصاً كما تقول بعض المصادر، اما مساحة المنطقة المحيطة بها فواسعة الى حدٍّ ما حيث تزيد عن (٤٧٥) كم٢[٣]. ولايمكن تحديد عدد دقيق أو قريب من الدقة لسكان المنطقة فهذا مما تكتنفه في العراق صعوبات كبيرة، فكيف بمنطقة جبلية وعرة بعيدة يخاف سكانها من الإداريين واحصائياتهم التي لاتجلب سوى المزيد من الضرائب وجرّ الأبناء (وهم الأيدي العاملة) الى خدمة العلم. هذا عدا عن محاولات السلطات المحلية –عثمانيةً كانت أم عراقية– التقليل من نفوس الكُرد وعشائرهم. على كل حال كانت هناك محاولات إحصائية نوردها كما هي. يقدر بعضهم نفوس البارزانيين بـ(٢٥) ألف نسمة يسكنون في (٣٥٠) قرية تقريباً[٤]. أما حسين حزني فيقدر عددهم بـ(١٠) آلاف نسمة يسكنون (٢٠٠) قرية[٥].

أما المؤرخ الكُردي المعروف محمد أمين زكي فيقدر عددهم بـ(٢٧٥٠) أسرة[٦]. اما إيگلتون فيقدر عددهم في سنة ١٩٤٥ فيما بين (١٨٠٠ و٩٠٠) شخص[٧]. (ويقول إيگلتون في مكان آخر من كتابه ص٥٤ – ٤٦، بأنه وفي سنة ١٩٠٦ كان عدد العوائل البارزانية (٧٥٠) عائلة والشيروانيين (١٨٠٠) عائلةالى جانب (١٢٠) من عشيرة مزوري، أي ما مجموعه ١٦٧٠ أسرة). ويقدر أحد الاجانب نفوسهم بـ(٧٥٠) عائلة[٨] ، بينما يقدر أحد العراقيين نفوس البارزانيين حسب احصاء سنة ١٩٤٧ بـ(١٠٧٦٢) شخصاً[٩].

تجدر الإشارة الى ان كل هذه المصادر لايمكن الإعتماد عليها كلياً. والمصدر الذي يمكن بموجبه تحديد نفوس البارزانيين هو قول مصطفى البارزاني (زعيم البارزانيين والعارف بشؤونهم معرفة دقيقة) بأن نفوس البارزانيين لايقل عن (٥٠) ألف نسمة.

إن كثيراً من المؤلفين يطلقون إسم العشيرة على بارزان والبارزانيين، ولكن الواقع

(٣) الهلالي، ج١، ص ٣٠٦.
(٤) القرداغي، ص٢٣.
(٥) حسين حزني موكرياني، به كورتى هەڵكەوتى دێرين له ڕۆژنامەكانەوە. بغداد ١٩٤٧، ص ٩.
(٦) أمين زكي، تاريخ الكُرد وكُرستان، القاهرة ١٩٣٧.
(٧) William Eaglton, The Knrdish Republic of Mahabad 1946. L. 193 P.45.
(٨) . Sykes. M. The caliphs, last heritage of 1915.P.561.
(٩) حسين مصطفى. البارزانيون، بغداد ١٩٦٤، ص ١٤.

هو أنه ليست هناك عشيرة كُردية مستقلة بهذا الإسم. فبارزان ليست سوى قرية صغيرة كانت ولاتزال مركزاً لشيخ الطريقة النقشبندية، أو بالأحرى القرية التي تأسست فيها تكية شيخ هذه الطريقة الصوفية. ومنها انتشرت الطريقة في المناطق المجاورة، وبذلك شملت سيطرتها الروحية مناطق عشائر عديدة منها الكبيرة والصغيرة كالشيروانيين والمزوريين والدولَمَريين وغيرهم. وعليه يمكن اعتبار البارزانيين عشيرة واحدة تربط بين افرادها رابطة الدم والقربى وينحدرون من جد أكبر كما هو معروف من تعريف العشيرة. فبارزان على هذا الاساس تعتبر نوعاً من الإتحاد الاختياري بين عدد من العشائر تربط بينهم أواصر الولاء والإنتماء الروحي لشيخ تكية بارزان النقشبندي.

يمكننا القول بأن المفهوم والنزعة العشائرية الفردية لكل واحدة من هذه العشائر بدءا بالإختفاء تدريجياً ليحل محلهما ولاء مطلق لبارزان وشرف وحب الإنتساب إليها. فأفراد هذه العشائر، الذين تحولوا الى دراويش او أتباع للشيخ، ولشدة حبهم وتعلقهم به يشرفهم الإنتساب الى بارزان. فمثلاً يعتبر أحد أفراد عشيرة (الشيرواني) شيروانياً من حيث الانتساب العشائري وبارزانياً من حيث إنتمائه العقائدي التصوفي، وترى لذلك هذا الفرد لايجد غضاضة في أن يفتخر اذا سموه بارزانياً. وبهذا الشكل وعلى هذا الاساس غدت قرية بارزان الصغيرة تعني كل تلك المساحات والعشائر المنضمة والمنتمية لها، فصارت مفهوماً جغرافياً جديداً أذاب في بوتقته مفاهيم الروابط العشائرية لتحل محلها رابطة بارزان الروحية.

الفصل الثاني

قبل البدء في موضوع الإنتفاضات البارزانية بقيادة الشيخ عبدالسلام البارزاني في عهد الدولة العثمانية لابد من التعريف بتاريخ الدولة العثمانية في هذه الفترة. لقد وصلت الدولة العثمانية في بداية القرن العشرين الى قمة الوهن والضعف وكانت المشاكل الاجتماعية والقومية تهزّ كيانها، ودخلت القوميات الخاضعة لسلطانها من عربية وكُردية وأرمنية دور التهيؤ والإعداد لحركات قومية غرضها التحرر والتخلص من الحكم الرجعي والبيروقراطي العثماني، والشعب الكُردي والحق يقال، كان في مقدمة هذه الشعوب حيث بادر الى النضال ولم يشعر بالوهن في هذا المجال. فتاريخ الحركات الكُردية التحررية يعود الى بدايات القرن التاسع عشر، وقد إستمر في نضاله وتواصل منذ بداية القرن العشرين، فكانت إنتفاضة بارزان سنة ١٩٠٩ استمراراً لإنتفاضات كُردية سابقة.

إن العامل الديني الذي كان سبباً في ربط القوميات المختلفة بالخلافة العثمانية فقد أهميته في هذا بداية هذا القرن نظراً لبروز الشعور القومي لدى هذه الشعوب، فزاد هذا من ضعفها وتدهورها، لدرجة صَعُبَ عليها الحفاظ على إمبراطوريتها الواسعة، ومقاومة أطماع الدول الإستعمارية الغربية في أراضيها. لقد كان بإمكان هذه الدول تقسيم أملاك الرجل المريض (كما سمى قيصر روسيا الدولة العثمانية) لولا التناقض الشديد بينهم، وعدم إتفاقهم حول شكل وكيفية التقسيم، ولهذا قُدِّر للرجل المريض أن يستمر في العيش.

لقد كانت كُردستان بالنسبة للدولة العثمانية منطقة حيوية لايمكن الإستغناء عنها لكونها مصدراً لمد جيوشها بالرجال وخزائنها بالأموال، ولهذا لم يكن من الممكن أن تسمح بإنفصال كُردستان عنها وعليه فعلت كل ما بوسعها للقضاء على كل بادرة تهدف الى هذا الغرض. فكانت تعالج تلك البوادر بقوة الحديد والنار مرة، ومرات بالخديعة والدسائس لإخضاع الشعب الكُردي، وأخرى –وما اقلها– بالقيام ببعض الإصلاحات الظاهرية لتهدئة الأوضاع. لقد وصل تذمر الشعب الكُردي ذروته وأدى الى إشعال فتيل إنتفاضة قادها الشيخ عبيدالله سنة ١٨٨٠م. وإزداد هذا التذمر بنمو الروح القومية والقسوة التي إتبعتها السلطات العثمانية في القضاء على هذه الإنتفاضة، فإضطرت الإمبراطورية العثمانية الى السماح بإصدار أول جريدة كُردية

هي جريدة (كُردستان) في ١٨٩٨م في القاهرة[١٠]، كما قامت بإرسال بعض المسؤولين مثل عبدالله باشا الى كُردستان بدعوى القيام بجملة من الاصلاحات[١١].

غير ان هذه الخطوات لم تؤد الى نتيجة، لأن القضية لم تكن قضية سماح بإصدر جريدة، أو إجراء إصلاح سطحي لتهدئة وقتية، بل تحولت الى قضية مصيرية تمثلت في إحساس الشعب الكُردي بضرورة الخلاص من الظلم العثماني لكي يتمكن من المضي في طريق النمو والتطور اسوة بغيره من الشعوب. لقد عبرت (مس بيل) بطريقتها الخاصة عن هذا الشعور بقولها:

«إن التقدم لايمكن ان يتحقق في كُردستان إلاّ بعد تخلصها من الدولة العثمانية والى الأبد[١٢]».

وهذا بعدما شهدت مقدار التأخر في كُردستان خلال رحلة قامت بها للمنطقة. ولقد نبع هذا الإحساس لدى الكُردي نتيجة نمو شعوره القومي، وإحتكاكه وتأثره بالتيارات الفكرية في أوروبا، ونتيجة لنمو مجتمعه وتطوره النسبي كذلك. ففي هذه الفترة وقبلها، كانت الرأسمالية الغربية قد أوجدت لها اسواقاً وطرقاً الى كُردستان، وظهرت في المجتمع الكُردي بوادر لها جذورها السابقة للتحولات الرأسمالية، حيث ونمت التجارة لا في المدن فحسب، بل وفي القرى أيضاً. فحتى الأغوات والإقطاعيون والقبائل الرُحَّل أصبحوا يهتمون بالتجارة ويزيدون مساحات أراضيهم الزراعية وماشيتهم لهذا الغرض.

حاولت السلطات العثمانية الإستفادة من هذا الإنتعاش التجاري، وبهدف السيطرة على الأغوات الكُرد حاولت تركيز السلطة والإدارة، وهو ما زاد من مقاومة الإقطاع والفلاح لها. فبالنسبة للفلاح كان ذلك يعني وقوعه تحت غائلة ضرائب إضافية ينبغي دفعها للسلطة. أما للإقطاعي فكان يعارض هذه السياسة لأنه كان من مصلحته إستمرار سلطته السياسية والعشائرية على فلاحيه، وكان تركيز سلطة الدولة يهدد هذه السلطة. ولهذا ففي بداية القرن العشرين. كانت الإضطرابات تشمل كُردستان. ولاشك أن الخوف من فقدان السيادة على الشعوب غير التركية والمحافظة على الإمبراطورية العثمانية هي التي دفعت بجماعة الإتحاد والترقي الى القيام بإنقلابهم وتسلمهم السلطة في ١٩٠٨م.

(١٠) Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, L. 1957, P. 57
(١١) الدملوجي. ص٩٥.
(١٢) G. Bell. Asiatic Turkey, Bombay, 1907, P. 176

دفع هذا الانقلاب الحركة الكُردية أكثر نحو الأمام، وزاد من تطلع الشعب الكُردي لنيل حقوقه القومية وألهب شعوره القومي، فالدولة العثمانية وحتى ذلك التاريخ كانت تحكم بإسم الخلافة والإسلام، ولم يكن للعنصرية التركية محل رسمي في السلطة، غير ان هذه الفئة الحاكمة الجديدة لم تقف عند مفهوم الشعب التركي، بل تعدته الى مفاهيم عنصرية شديدة وهو ما خلق رد فعل شديد لدى مختلف شعوب الدولة العثمانية ومن بينها الشعب الكُردي.

يقول محمد أمين زكي. المؤرخ الكُردي الكبير، بأن ما دفعه:

«للتفكير للمرة الأولى بالشعب الكُردي وتأريخه واصله وارهف عنده الشعور القومي هو تحول كلمة عثمانية الى تركية وظهور مفاهيم التُركيزم والتورانيزم[١٣]».

لقد كانت بارزان من المناطق الكُردية التي ظهر فيها رد الفعل هذا، وفيها تشكلت نواة الحركة الوطنية الكُردية. لقد كانت من المناطق التي جلبت اهتمام السلطات التركية في سنوات ١٨٨٠م أي منذ ثورة شيخ عبيدالله النهري. فالقوات البارزانية إشتركت في هذه الثورة بفعالية وإخلاص. ولم يتخلص البارزانيون من فتك وقساوة جيوش السلطات العثمانية عند القضاء على هذه الثورة، ومنذ ذلك الحين والسلطات العثمانية تنظر بعين الشك والحقد نحو شيوخ بارزان.

لقد إشترك شيوخ بارزان منذ مطلع القرن العشرين في الحياة الفكرية والسياسية الكُردية، وفي تشكيل منظمات وجمعيات كُردية من أجل القضية الكُردية. ففي عام ١٩٠٤م شكّل شيخ تكية بارزان الشيخ عبدالسلام الثاني مع بعض القادة الكُرد منظمة كُردية في إستنبول[١٤] وعمل في نطاق منطقة بارزان والمناطق المجاورة لها، على اتباع سياسة من شأنها توحيد الصفوف، لا بين مختلف العشائر الكُردية فحسب، بل وبينهم وبين الأقليات القومية والمذهبية في المنطقة. وكان الشيخ عبدالسلام يصرّح في مختلف المناسبات بأنه وعن طريق الوحدة والتفاهم، ونسيان الاخطاء فحسب يمكن الإنتصار على الأعداء[١٥]. فكان لذلك موضع إحترام السكان من مختلف الفئات والمذاهب والأقليات. اولى بوادر تطبيق فكرته تلك عملياً تمثلت بالسماح للآثوريين بممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة وحمايتهم من إعتداء

(١٣) محمد امين زكي. خلاصة تأريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور. القاهرة ١٩٣٩، المقدمة.
(١٤) الأرشيف الحزبي الآذربيجاني، أوبي ٧٢، القسم ١.
(١٥) B.Nikitine, Les Kurdes recontés par euxmemes, La Asia Krancaise, N3, Mai 1925,P.152.

الأغوات، الذين جعلوا الدين ستاراً لنهب هؤلاء وإستغلالهم. إذ يقول أحد الرحالة الإنكليز بأن الشيخ عبدالسلام وقف ضد محاولات بعض الأغوات الإعتداء على الآثوريين بإسم الدين وأنذرهم بالويل في حال قيامهم بذلك، ما كان سبباً لإيقافهم عند حدهم[١٦].

كانت الظواهر تدل على أن معالم إنتفاضة تتشكل في بارزان، ويظهر بأن السلطات كانت على علم بهذه الإستعدادت فزادت من ضغطها على بارزان وشيوخها، غير أن ذلك الضغط لم يخفف من إندفاع شيخ بارزان عبدالسلام الثاني، بل على العكس مضى في معاداة السلطة واظهار مقاومته لها، ولإكمال إستعدادته قام بإرسال عدد كبير من أفراد قواته الى قصبة العماديه، فعادت هذه المظاهرة شبه العسكرية بنتائج ايجابية بالنسبة للشيخ.

حاولت السلطات العثمانية مراراً تهديد شيخ بارزان عن طريق العشائر المعادية، إلاّ أن مظاهرة الشيخ المذكورة أدت الى إرعاب هؤلاء وأرهبتهم وأرغمتهم على إتخاذ موقف حيادي على الأقل في الصراع الذي كان محتماً أن يقع بين الطرفين من جهة. والى إنضواء الكثير من العشائر المُهدَدة تحت لواء شيخ بارزان من جهة أخرى. فساهم ذلك في إنجاح مسعى الشيخ في ضم عشائر قوية أخرى الى جانبه، مثل البريفكانيين والمزوريين والهركيين وكذلك الزيباريين.

لقد مثّلَ نجاح الشيخ في إقناع الزيباريين بالتفاهم معه وهم أعداؤه التقليديون انتصاراً له وضربة قوية للسلطات، لأن هذه العشيرة كما يقول ويلسن:

«كانت كثيراً ما تُستخدم من قبل السلطات ضد البارزانيين[١٧]».

في هذه الفترة بالذات، ١٩٠٦م، احرز شيخ بارزان نصراً كبيراً بعد نجاحه في جعل عشيرة الشيرواني الشديدة البأس والكثيرة العدد – التي زاد تعدادها عن (١٨٠٠) اسرة[١٨] قوة ضاربة لبارزان، مما زاد في سيطرته ونفوذه الى حد كبير.

وهكذا في الوقت الذي كانت الحركة الثورية الكُردية، تدخل دور التهيؤ والإستعداد في بارزان، كانت تغيرات هامة أخرى على وشك الحدوث في السلطة، بعد معاناتها لأزمات وتناقضات ومشاكل داخلية وخارجية شديدة، فلم تمر سنتان إلاّ وجاءت جماعة الإتحاد والترقي وتسلمت السلطة.

(١٦) Wigram. p.143.

(١٧) A.T.Wilson, Mesopotamia, 1917- 1920, A clash of loyalities.L.1931, p.157

(١٨) Eagleton. p.48.

لقد فرح الشعب الكُردي أسوة ببقية الشعوب الرازحة تحت نير السلطة العثمانية بالمباديء التي بشرت بها جماعة الإتحاد والترقّي، وبالوعود التي بذلوها لهذه الشعوب في تحقيق مطاليبهم القومية والديمقراطية، وإنتعشت آمال هذه الشعوب وظنت بأن يوم الحصول على الحقوق التي طالما انتظروها وناضلوا في سبيلها قد جاء، فساندوا السلطة الجديدة. لقد كان ذلك في الواقع تعبيراً صريحاً عن مقدار ما تكنّه تلك الشعوب من عداء وكراهية وسخط للسلطة العثمانية. تلك المشاعر التي يقول (لازاريف) بأنها شملت كافة الطبقات والفئات والذي ظهر بجلاء فيما كتبه (شيركوف) القنصل الروسي في تبليس:

«اذا كان ثمة بعض الشيوخ ورجال الدين والحجاج الذين يشعرون بشيء من العداء تجاه الروس، فإن معظم الرُحَّل والفلاحين والعمال والكسبة يشعرون بالود تجاه الروس ويكنّون عداءً مستحكماً ضد الدولة العثمانية.»

ويضيف قائلاً:

«حتى في صفوف الجيش الحميدي الذي تدرب على كراهية روسيا أصبحنا نجد الآن تحولاً وإنعطافاً[١٩]».

ولقد تجسدت آمال الشعب الكُردي أيضاً في منطقة بارزان، وعلى مستوى رفيع من الشعور بالمسؤولية الوطنية والقومية، في الحركة التي قادها الشيخ عبدالسلام (١٩٠٨م)، وفي المطالب التي قدمها الى السلطة الجديدة. ومما زاد من أهمية هذه المطالب وأعطاها صفة الجماعية وجعلها تستند على إرادة وقوة الجماهير لا على بارزان لوحدها، هو محاولة الشيخ إشراك عدد كبير من رؤساء العشائر في التوقيع على العريضة التي تم تقديمها الى السلطة الجديدة.

فقد عرض الشيخ هذه العريضة على عدد من رؤساء العشائر في اجتماع عُقد لهذا الغرض في بيت شيخ محمد البريفكاني برئاسة شيخ بارزان. ولم يكتف بذلك بل أرسل نسخاً منها الى الشخصيات الكُردية المعروفة في أرجاء كُردستان طالباً مساندتهم وتأييدهم له، مثل شيخ عبدالقادر الهركي وشريف باشا وأمين عالي بدرخان، وعقد في الوقت نفسه تحالفات عسكرية كبيرة كان غرضه منها تعزيز مطالبه بقوة عسكرية، والتي كانت شرطاً أساسياً لإجبار السلطات على الإستجابة للمطالب. وجاء في تلك المطالب، التي صارت تُعرف فيما بعد بمنهج إنتفاضة سنة ١٩٠٩، ما يلي:

(١٩) لازاريف، ص ٢٠٥.

١- أن تصبح اللغة الكُردية اللغة الرسمية في الأقضية الخمسة التابعة للواء الموصل وهي (عماديه، دهوك، عقره، زاخو، زيبار).

٢- أن يكون التعليم باللغة الكُردية.

٣- تعيين الاداريين في هذه المناطق من الذين عُرفوا بالنزاهة، ومن الذين يجيدون اللغة الكُردية.

٤- أن يكون الحكم على أساس الدين الإسلامي.

٥- أن يكون القضاة والمفتي من أتباع المذهب الشافعي.

٦- إزالة الضرائب الزائدة، وفرض الضرائب حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية.

٧- إبقاء ضريبة بدلات العملة المكلفة على ان تستخدم في تحسين الطرق[٢٠].

لقد إتسمت هذه المطالب كما يظهر بمحليتها حتى فيما يخص القضايا القومية، إلاّ ان لها اهميتها رغم ذلك، فقد أعطت الحركة الوطنية الكُردية دفعةً الى الأمام في هذه المنطقة، وعلى أساسها قامت أول إنتفاضة كُردية فيها ضد السلطات، وكانت في نفس الوقت أول محاولة للحصول على حقوق قومية ولو على نطاق محلي. ولذلك فقد فتحت عريضة المطالب تلك آفاقاً أمام الحركة الوطنية الكُردية، وأكسبتها النقاط الإقتصادية الواردة فيها مساندة عدد كبير من الفلاحين من مختلف الفئات والأقليات القومية والدينية، تلك المساندة التي إنسحبت فيما بعد على الإنتفاضة، فالضرائب الحكومية كانت ثقيلة حقاً ومضنية للكادح الفقير.

يقول أحد الكتاب الإنكليز، إن الأقليات القومية والدينية كالآثوريين مثلاً، ساندت الشيخ بقوة وإخلاص وأيدت مطالبه اثناء انتفاضته ولم تفكر يوماً في خيانته[٢١]. ولهذا فمن المستغرب حقاً ان نجد بعض المؤلفين يوجه النقد الى مطاليب الشيخ وانتفاضته على أنها كانت محاولة لإعادة السلطة الدينية القديمة بسبب حبه وميله لها[٢٢]، وذلك لورود بعض البنود الدينية في هذه المطاليب التي أملتها تركيبة المجتمع الكُردي ذي الأكثرية الفلاحية المتمسكة بالدين، هذا إضافة الى أن الضرائب التي تُفرض حسب الشريعة الاسلامية كانت أخفّ بكثير من تلك التي كانت تفرضها السلطات. وهذا هو السبب في مطالبة الشيخ بفرضها على اسس الشريعة، والا فإن الشعب الكُردي لم يكن يوماً محباً للسطلة العثمانية قديمها وحديثها، فما ناله من

(٢٠) الدملوجي، ص٩٤.

(٢١) Wigram. P.139.

(٢٢) H. M. Burton, The Kurds, Journal of the Royal central.

ضغط وحرمان قومي، وإستغلال فضيع لم يدع له سوى التعبير عن سخطه وكرهه في كل مناسبة وبشتى الوسائل. ولهذا نجد عدداً كبيراً من الكرد قد عبّر عن فرحته بمجيء الروس ليتخلص من السلطة العثمانية القاسية، كما يقول القنصل الروسي في تبليس في إحدى رسائله[٢٣]. هذا رغم أن روسيا القيصرية لم تكن بقسوتها بأفضل من الدولة العثمانية، إلاّ أن سخط الكُرد الشديد وأملهم بحدوث تغيير مهما كان بسيطاً، هو الذي كان يدفعهم لهذا القول.

إن هذه المطاليب على بساطتها، والإستعداد العسكري الذي أنجزه الشيخ عبدالسلام أحدثا رد فعل قوي لدى جماعة الإتحاد والترقي، الذين خشوا من توسع نطاق هذه المطالب وإنضمام عدد أكبر من الكُرد الى شيخ بارزان وحدوث الشيء نفسه في مناطق كُردية أخرى، بل ومطالبة بقية الشعوب بمثل ما يطالب به الشيخ. لذا شعروا بالغضب لتلك المطالب التي ما كانت لتتفق وسياستهم أبداً.

فسياسة هذه الجماعة لم تكن نابعة من مصلحة الشعوب العثمانية، ولا من مصلحة الشعب التركي النامي كذلك، فهم لم يمثلوا سوى البُرجوازية التركية الصاعدة ونزعتها الشوفينية للسيطرة وإعادة الإمبراطورية الى سابق عهدها وحكم شعوبها بالحديد والنار. فقد جاء هؤلاء من فوق ولم تكن تربطهم بالجماهير الكادحة رابطة، فازالوا القناع عن وجههم وكشفوا عن شوفينيتهم، وبدأوا صراحةً يمارسون سياسة تتريك باقي شعوب الدولة العثمانية فعادوا بالشعب التركي وتلك الشعوب سنين الى الوراء، وانقطعت كل رابطة بين السلطة الجديدة وبين شعوب الإمبراطورية. يقول لينين حول سياسة الإتحاديين:

«... لقد اعجبت هذه السياسة سياسيي أوروبا الإستعمارية، فإحتضنوا الإتحاديين وغمروهم بالمدح والمساندة[٢٤]».

ولاشك ان قيام الشيخ عبدالسلام البارزاني بتقديم تلك المطاليب الى السلطة الجديدة، ومطالبتهم بتحقيق ما وعدوا به في وقت كانوا ينوون عكس ذلك، أدى الى خوفهم خاصة وانهم أحسوا بأن وراء هذه الحركة أمراً اوسع وأشد خطراً، ولهذا فبدلاً من تحقيق تلك المطالب على بساطتها، قاموا في (١٩٠٩م) بإرسال جنودهم وجيوشهم نحو بارزان، فكان ذلك الفتيل الذي أشعل نار الإنتفاضة. وتنفرد هذه الإنتفاضة بميزة كونها أول حدث كشفَ القناع عن شوفينية جماعة الإتحاد والترقي

(٢٣) م. س لازاريف، ص٥.

(٢٤) لينين، ت، م، ١٩٤٧، ص٢٠٠.

وتنكرهم لكل الوعود التي بذلوها للشعوب العثمانية.

أرسلت السلطات التركية الجديدة، قوات كبيرةً جداً لقمع هذه الإنتفاضة لإدراكها مدى خطورتها. وقد قاوم البارزانيون ومعهم العشائر المتحالفة مقاومة شديدة، غير أن العشائر، خاصة الزيباريين، حالما شعرت بتغير ميزان القوى والتفوق العددي لجيش السلطة، تخلت عن الإنتفاضة ومالت الى جانب الحكومة، بعد ان تجددت مطامعها في بارزان، وآمالها في الإستيلاء عليها وتقسيمها فيما بينهم.

وكانت قساوة الجيش التركي فظيعة إذ لم يكتفِ بالإنتصارات التي كان يحرزها، بل كان يحرق القرى والمزارع ويفتك بالسكان، ولَم تستطع قوات بارزان لوحدها مقاومة هذه القوة، مما إضطرها للإلتجاء الى قمم الجبال والشروع بحرب العصابات. ولقد كانت الأقليات الدينية والقومية، تساعد الشيخ وتمده بالمساعدات والمعونة المادية والمعنوية، وكان هذا دليلاً على مبلغ السخط الذي تكنّه هذه الشعوب للسلطة وما كان لإنتفاضة بارزان من مكانة وإحترام لديهم. وقد إضطر قائد الإنتفاضة الشيخ عبدالسلام الى ترك بارزان وجبالها وإيقاف حرب العصابات وعبور الحدود والإلتجاء الى (مارشمعون) الزعيم الروحي للآثوريين حيث بقي عنده لحين وقوع الإنقلاب ومجيء جماعة الحرية والإئتلاف الى الحكم.

لقد كان هذا الحزب يختلف في سياسته عن الإتحاد والترقي الدموية، في فرض التتريك بالقوة، فاتخذ مظهراً ديماگوگياً واخفى علاقاته الوثيقة بالجهات الإستعمارية وعمالته لها، فإنطلت الخدعة على الكثير من الوطنيين غير الأتراك، فدخلوا صفوفه وشاركوا في فعالياته ودفعوه الى الحكم. فإستخدمت السلطة الجديدة سياسة التهدئة وتخفيف الآثار السيئة التي تركها الإتحاد والترقي، واول ما قام به أن توجه الى البارزانيين والشيخ عبدالسلام الثاني، فحاول مصالحته والتلويح له بعزمه على تلبية مطاليبه بالطرق السلمية. ومما لاشك فيه ان وجود الشيخ لدى (مارشمعون) وقربه من الحدود الروسية، والخراب الاقتصادي الذي أصاب بارزان ومناطقها وردّ الفعل الشديد الذي أحدثه القمع الشديد للإنتفاضة لدى الشعب الكُردي، كانت اسباباً وجيهة دفعت السلطة الجديدة لإتخاذ ذلك الموقف المهديء وترضية الشيخ، خاصة وان الوضع كان مهدداً بالإنفجار والسلطة كانت جديدة ولم تثبت أقدامها بعد. ولهذا سمحت برجوع الشيخ الى بارزان مع الوعد بتلبية مطالبه والقيام بالإصلاحات الضرورية. فقد داعب أركانها الأمل بأن في ذلك نهاية للتصادم مع الشيخ عبدالسلام. غير ان الشيخ وإن كان قد أوقف نضاله المسلح، إلاّ انه إستمر

على صعيد الفكر بالمطالبة بتحقيق الوعود التي بُذلت له. فطالب بالإصلاحات وإرسال المعلمين وفتح المدارس لتعليم السكان. وكانت السلطة الجديدة أيضاً تتوجس من الشيخ عبدالسلام وتحاول بكل الوسائل تهدئته، وجعله يكفّ عن المطالبة والدخول في مصادمات مسلحة. ووصلت هذه المحاولات درجة غضّت فيها السلطات الطرف عن الخسائر الفادحة التي ألحقتها قوات الشيخ بقوات الموصل بقيادة فاضل باشا، الذي رفض تنفيد أوامر السلطات بعودة الشيخ الى بارزان وأرسل جيوشه للقبض عليه، مما أدى الى حدوث الصِدام ثانية. فقامت السلطة في محاولة منها لترضية الشيخ بعزل الوالي ونقله من منصبه. ولكن عمر الإئتلافيين كان قصيراً، إذ لم يستمر أكثر من نصف سنة، تسلّم بعدهم جماعة الإتحاد والترقي الحكم مرة أخرى وهم أكثر إصراراً على إتباع سياسة التتريك الى جانب القسوة.

ونظراً لعزمها دخول الحرب الى جانب ألمانيا، فإنها مارست سياسة فرض الضرائب الكثيرة على الشعب، وقد فرضت على البارزانيين وإنتقاماً منهم أنواعاً من الضرائب زادت عن العادية المفروضة بنسبة ٢٥٪[٢٥]، وطالبوا البارزانيين فقط بإحصاء ما لديهم من حيوانات ومواشي. فأدت هذه الأسباب إضافة الى إهمال السلطة لكل الوعود التي قطعها الإئتلافيون لشيخ بارزان للتمهيد لإنتفاضة أخرى في بارزان في (١٩١٤م).

رفض شيخ بارزان دفع الضرائب الإضافية كما رفض إرسال الناس للتجنيد وطالب في نفس الوقت بتحقيق المطالب التي مضى على عدم تحقيق أبسطها مدة طويلة تقدر بخمس سنوات. فإجتمع أهل المنطقة مرة أخرى تحت رئاسة بارزان، وكان بينهم الكُردي غير البارزاني، والمسلم، والمسيحي، والآثوري، حيث قدّر بعضهم عدد المسلمين من غير البارزانيين المنضوين تحت لواء شيخ بارزان لمقاومة سياسة السلطات الرجعية بحوالي ثلاثة آلاف مسلح[٢٦]. وكان الآثوريون من أشد العناصر وأكثرها إتباعاً لشيخ بارزان، وهو ما دلّ مرة اخرى على مقدار ما كان يعانيه الناس من قهر وحرمان والذي يعبّر عن نفسه كلما سنحت الفرصة. وهكذا ارسلت السلطة مرة اخرى جيوشاً جرارة مجهزة بالعتاد والآليات نحو بارزان.

وبدأت الإنتفاضة في آذار (١٩١٤) وكانت مقاومة الثوار شديدة تسببت بإلحاق

(٢٥) لازاريف، ص٢١٧ (بالروسية).

(٢٦) ي. ك سركيسيان، السياسة الإحتلالية للإمبراطورية العثمانية فيما وراء القفقاس، يريفان ١٩٦٣، ص ٨٥ (بالروسية).

خسائر كبيرة بقوات الحكومة حسب قول إحدى الجرائد الجيورجية[٢٧]. إلاّ ان الثورة عجزت ثانية، بسبب وقوف الأغوات الزيباريين مع الحكومة وكثرة عدد قوات الأخيرة، وقلة المؤن والأرزاق لدى الثوار، فلم تستمر الثورة سوى بضعة أشهر نجحت بعدها قوات الحكومة والعشائر الموالية لها في دخول قرية بارزان، وحرقها تماماً بعد نهبها وإيذاء سكانها والإعتداء عليهم. فإنتهت الإنتفاضة في حزيران من تلك السنة، وإضطر الشيخ مرة أخرى لعبور الحدود مع بعض أتباعه واللجوء الى مدينة (ورمي – أورميه) في كُردستان إيران.

كانت هذه الإنتفاضة أوسع نطاقاً بكثير من سابقتها وأخطر وانضمت اليها عشائر كُردية أخرى ، حيث وصلت حتى حدود ولاية بغداد فقد تعدت معظم أقضية الموصل الخمسة لتشمل مناطق من أربيل والسليمانية، وكان ذلك دون شك السبب في اهتمام الحكومة وارسالها الجيوش، بل وانها إستخدمت قسماً كبيراً من جيوشها التي استخدمتها في نفس هذه السنة ضد ثورة بدليس، ويقول (لازاريف) بهذا الخصوص:

«لقد أولت السلطات التركية هذه الإنتفاضة البارزانية إهتماماً كبيراً واعتبرتها أخطر من ثورة بدليس، فرمت بكل ثقلها نحوها»[٢٨].

لقد بررت السلطات التركية هجومها على بارزان وقضاءها على هذه الحركة القومية الكُردية وسياسة التتريك التي مارستها، بإتهام الشيخ بتفجير الإنتفاضة بتأثير وتحريض روسيا القيصرية، ولاشك ان غرضها من وراء ذلك لم يكن التبرير فقط، بل تأليب العناصر الكُردية المتمسكة بالدين الإسلامي على الإنتفاضة، وهي خدعة دينية طالما لجأت اليها السلطات التركية كستار للقضاء على كل حركة كُردية وطنية. وقد كرر بعض المؤلفين الأجانب هذه التبريرات العثمانية، فولسن يقول:

«لكي يحصل الشيخ على مساندة وحماية الروس نفّذ طلبهم وثار ضد السلطات[٢٩]».

غير أن الحقائق وسياسة روسيا القيصرية في كُردستان تدحض هذه التبريرات، فقد حاولت روسيا القيصرية مراراً الحصول على موطيء قدم لها في كُردستان، ومارست سياسة جعلت من خلالها كُردستان مركزاً لمؤامراتها ضد السلطات التركية

(٢٧) صحيفة تفليس، نيسان ١٩١٤، رقم ٨٤، ص٢.
(٢٨) لازاريف، ص٢١٧.
(٢٩) Wilson. p.151

وسلاحاً تخيف به السلطة العثمانية، إلاّ أنها في الواقع لم تنجح، والسبب لم يكن عدم رغبة الشعب الكُردي في تبديل سيد بآخر أو إختلاف الدين، بل كان السبب موقف روسيا المتردد وغير الحازم، وعدم إتخاذها سياسة صريحة ثابتة تجاه الشعب الكُردي ومصيره.

المعلوم ان روسيا القيصرية في تلك الفترة بالذات، ١٩١٤، كانت ضد كل محاولة كُردية تهدف لخلق المصاعب لتركيا خشية أن يؤدي ذلك الى توتر العلاقات بينهما وبالتالي يكون سبباً في وقوف تركيا الى جانب المانيا. ويؤيد هذا القول رسائل القناصل الروس في تركيا وإيران وكذلك مراسلات وزارة الخارجية الروسية وكلها واضحة وصريحة في هذا الخصوص .فقبل ان يبدأ الشيخ عبدالسلام إنتفاضته هددت السلطات الروسية الشيخ عن طريق قنصلها في (خوي) بحرمانه من كل عطف ومساعدة في حالة قيامه بأي ثورة ضد السلطات بدون اذن منهم، لأن ذلك من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية[٣٠]. إلاّ أن مضي الشيخ في إستعداداته وقيامه بإنتفاضته كان دليلاً على عدم إهتمامه بالتحذيرات الروسية وإستقلاليته وعدم تبعيته.

إن مساعدة روسيا القيصرية للشعب الكُردي وحركته الوطنية لم تتعدَّ، كما يقول لازاريف، السماح لبعض قادته باللجوء الى بلادها ودفع بعض المرتبات الضئيلة لهم، ومجمل حصة الشيخ عبدالسلام من هذه المساعدة والعطف القيصري كانت السماح له باللجوء الى روسيا وتخصيص مبلغ (١٥٠) روبل له شهرياً. كانت سياسة إهمال الشعب الكُردي من قبل روسيا القيصرية شديدة لدرجة احدثت معها لدى قناصل روسيا في المناطق الكُردية ردة فعل شديدة خوفاً من أن يؤدي ذلك الى انعطاف الكُرد نحو ألمانيا وإستغلال الاخيرة ذلك لتثبيت نفوذها وسياستها في هذه المنطقة الحيوية[٣١].

ان ما كان يهم روسيا من الشعب الكُردي هو استخدامه كوسيلة لعرقلة تقدم قوات تركيا العثمانية في حال انضمامها الى المانيا، أما عدا ذلك فلم يكن مصير الشعب يهمها بشيء. وعندما حدث ما كانت تتخوف منه، وهو انضمام تركيا الى جانب المانيا، فانها ولكونها فقدت تعاطف الشعب الكُردي وثقته بها لم تنجح في مساعيها لجعله يتبع مصالحها.

(٣٠) لازاريف، ص ٢٤١ (باللغة الروسية).
(٣١) نفس المصدر، ص ٢٤١.

لقد كان الشعب الكُردي يحارب عدواً قوياً وقاسياً، دون أن يكون له ظهير يمده بمستلزمات إدامة النضال حتى النصر. كان الكُرد في حاجة الى من يساندهم، من دون اعتبار أو إهتمام لماهية الطرف الداعم، فقد كان وضعه كالغريق الذي يتشبث بأي شيء. وعلى أية حال لم يجد الشعب الكُردي في روسيا القيصرية هذه المساندة التي يمكن الاعتماد عليها. يقول إدمونز بهذا الصدد:

«لقد وجّه الكُرد بعد ١٩١٠ انظارهم الى روسيا كبلد يمكن ان يساندهم، إذ لم تترك لهم سياسة التورانيزم مجالاً آخر، ولكن تبيّن لهم بأن مساعدة الروس لهم لم تكن دون مقابل. ولم يساعد الروس الكُرد قبل ١٩١٨[٣٢].»

ولم يكن الشيخ عبدالسلام كقائد للإنتفاضة، يتوقع من روسيا تقديم مساعدة جدية للشعب الكُردي، وهي البلد الذي كانت قومياته المختلفة تعاني الإضطهاد، إن الشيخ عبدالسلام ما كان ليعتمد على إنكلترا المعروفة بتطورها وديمقراطيتها لتقديم المساندة لشعب ما فكيف بروسيا، وقد ظهر ذلك من قوله لأحد الرحالة الإنكليز:

« لا أعتقد بأن إنكلترا تستطيع تقديم الإصلاحات والخدمات لشعبها بالذات»[٣٣].

لم يتوقف الشيخ عبدالسلام، بعد التجائه الى ورمي عن نضاله والإعداد لإنتفاضة أوسع وأشمل ضد السلطات التركية في كُردستان، ويمكن تفسير إتصاله بسمكو وبعشائر وشخصيات كُردية من مختلف انحاء كُردستان مثل السيد طه بأنه كان لغرض التهيؤ لهذا الهدف الوطني الكبير، فلقد علمته التجارب بأن تحقيق أهداف الشعب الكُردي والانتصار على السلطات التركية لن يكون إلاّ بدخول الشعب الكُردي في كُردستان كلها في المعركة، فقام بجولة بين العشائر لهذا الغرض. وإتصل بروسيا القيصرية، فسافر اليها لغرض اقناع السلطات هناك بتقديم المساعدة للشعب الكُردي وتزويده بالسلاح والمعونة في الثورة التي سيقوم بها ضد السلطات التركية. ولكن السلطات الروسية لم توافق على إقتراحه، بل طلبت منه على العكس الركون الى الهدوء الى أن تحين الساعة التى تسوء فيها العلاقات بين روسيا وتركيا[٣٤] فتكون الثورة الكُردية حينها من مصلحة روسيا. غير أن مطالب وإقتراحات روسيا لم تعجب الشيخ عبدالسلام فلم يوافق عليها.

(٣٢) Edmonds, The Kurds of lraq.

(٣٣) .Wigram. p. 145

(٣٤) Nikitin, Les Kurdes recontes, p.155

كان من الممكن أن تؤدي محاولات الشيخ عبدالسلام على نطاق كُردستان على الأقل الى ضم العشائر ومختلف القوى للقيام بثورة عارمة، وهي محاولة لو قُدِّر لها النجاح لأدّت الى نتائج عظيمة ولكان ممكناً القول بأن تأريخ تركيا وتأريخ الشعب الكُردي كان سيُكتب بشكل آخر. غير أن المحاولة لم تنجح، فقد توجست السلطات التركية شراً وأحست بالخطر الشديد لوجود الشيخ حياً حراً يقوم بإتصالاته وإثارته للسكان والشخصيات. لذا بدأت تتعقبه بحذر وبجدية ورصدت مكافأةً ضخمة لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً. واجهت محاولات الشيخ فشلاً تاماً حين تم القبض عليه بمؤامرة حاكها بعض الأغوات الكُرد الخونة الطامعين بالمكافأة. وكان الأسلوب الذي إتبعته السلطات التركية مع الشيخ بنقله الى الموصل وإعدامه إثر محاكمة صورية دليلاً على ما كان للشيخ عبدالسلام الثاني[٣٥] من خطر على السلطات التركية.

ولقد خلق إعدام عبدالسلام مشكلة جديدة عميقة بين الشعب الكُردي والسلطات التركية واساء تماماً الى علاقاتهما، حيث يقول إدمونز:

«لقد تمت الإساءة الى العلاقة بين بارزان والدولة بهذه الفعلة لدرجة لم يعد معها ممكناً إصلاحها»[٣٦].

إن إعدام الشيخ عبدالسلام لم يؤد أبداً الى القضاء على الحركة الوطنية الكُردية، بل أدى على العكس الى تكثيف وعي الشعب الكُردي وتمسكه بحقوقه وإشتداد سخطه على السلطات. ان اعدام الشيخ وقضاء السلطات التركية على ثورة بدليس وإعدام قادتها في ساحة المدينة زاد من سخط الكُرد على السلطة فإزدادت الإضطربات في كُردستان حتى شملت كل أرجائها، وتجلى ذلك السخط على السلطات والإستهانة بالولاء لها والرغبة في التخلص منها أثناء الحرب العالمية الاولى. إذ لم يشترك الكُرد في الحرب عن عقيدة أو إيمان كإنعكاس لذلك السخط. ولقد أحست القوات الإنكليزية المتوجهة نحو العراق بهذه الظاهرة فإستغلتها أحسن إستغلال. تقول مس بيل عن ذلك:

«عندما وصلنا الفاو أدركنا أننا نحارب الأتراك لا السكان المحليين»[٣٧].

كما تجلى ذلك السخط على الدولة العثمانية بأوضح صوره ثانية اثناء مشكلة الموصل فقد رفض كُرد هذه الولاية، التي تشكل اليوم كُردستان العراق، بأكثرية

(٣٥) لمزيد من المعلومات عن المؤامرة وتفاصيلها ونقل الشيخ وجماعته الى الموصل وإعدامهم راجع: عبدالمنعم الخلاص، الضحايا الثلاث.

(٣٦) Edmons, Kurds and the Revolution. P. 5.

(٣٧) G. Bell, The Lettesrs, London 1930, P, 432.

ساحقة البقاء تحت السيادة التركية[٣٨].

لم تحقق هاتان الإنتفاضتان البارزانيتان هدفهما وإنتهتا بالفشل لأسباب وعوامل خارجية وداخلية. إذا طرحنا جانباً الأسباب الخارجية التي تتركز في الموقف السلبي الذي وقفه العالم الغربي تجاه المجازر التي إرتكبتها تركيا بحق الشعب الكُردي بغية استرضائها وإبقائها على الأقل على الحياد في الحرب. وإذا طرحنا جانباً كذلك عامل قوة الإنتفاضات. فأحد أهم أسباب الفشل يكمن في أهداف هذه الإنتفاضات التي لم تكن جذرية وعامة حتى بالنسبة لأكثرية الجماهير. وينطبق نفس القول على المحتوى القومي للإنتفاضتين، إذ كانتا محليتين الى حد كبير. ولهذا عجزت الإنتفاضتان عن جذب الجماهير اليها خارج مناطق بارزان خاصة وبهدينان عامة، ولهذا السبب إنحصر نطاقهما في هذه المناطق ولم تتعداهما الى بقية مناطق كُردستان، فكان من السهل عزلهما وضربهما بقوة وبسرعة. ومما لاشك فيه ان طابع المجتمع الكُردي العشائري الإقطاعي كان سبباً آخر في بقاء الحركة الوطنية الكُردية مشتتة ومنقسمة، وما زاد الطين بلّة وجود عدد من الاقطاعيين الذين وقفوا وبدافع المصلحة الطبقية ضد الإنتفاضة وساعدوا قوات الحكومة.

إن قسماً كبيراً من تبعة فشل الإنتفاضتين يقع على عاتق المنظمات والفئات المثقفة الكُردية التي بدأت تظهر في هذه الفترة وتحاول أداء دورها التأريخي. وذلك لعدم قيام تلك الفئات بإحتضان إنتفاضة بارزان أو المشاركة ولو بشكل غير مباشر فيها وتوجيهها ومدها بالمساندة المعنوية والمادية والفكرية. إن إهمال هذه الجمعيات للإنتفاضتين كان السبب في محدودية مطالب الشيخ عبدالسلام ووقوفه موقفاً سلبياً وجامداً من إستغلال الظروف الداخلية والمصاعب التي واجهت الدولة العثمانية في هذه الفترة لصالح الإنتفاضة. ففي ١٩٠٨– ١٩٠٩ فترة إنتفاضة بارزان الأولى، فشل الشيخ عبدالسلام عن إستغلال الإنتفاضات والإضطرابات العامة التي شملت مناطق السليمانية وكركوك بسبب إعدام الشيخ سعيد البرزنجي بمؤامرة دبرتها الحكومة نفسها، وفشل بالتالي في ربط مناطق بهدينان بمناطق السليمانية وكركوك، ولم يستغل الأزمة التي وقعت فيها السلطات بسبب حرب البلقان سنة ١٩١٢ وكذلك إنتفاضة بدليس في ١٩١٤. ولاشك أن ما عجز الشيخ عن القيام به كان بوسع الجمعيات والمنظمات إنجازه، غير انها قصرت نشاطها على المدن وخاصة إستنبول وإكتفت في نضالها بإصدار الجرائد والمجلات، ولم تحاول ممارسة النضال الثوري

(٣٨) فاضل حسين، مشكلة الموصل، بغداد ١٩٥٥، ص ١٢٤.

المسلح في الأرياف خارج مدن كُردستان، والتي كانت مسرحاً لإنتفاضات عدة. ولهذا ظلت مناطق القرى والأرياف محرومة من ثمار أفكار تلك الجمعيات، وبهذا ظهر عجزها هي الأخرى في ربط المدن بالقرى، الأمر الذي يصعب بل يستحيل من دونه إنتصار أية ثورة[٣٩].

تعتبر إنتفاضات بارزان في هذه الفترة اولى الإنتفاضة المسلحة في كُردستان الجنوبية ضد السلطات العثمانية، وقد ساهمت في فضح سياسة التتريك التي مارستها السلطات على نطاق واسع. كما أظهرت مدى إستهانة الحكومة العثمانية بحقوق الشعوب الواقعة تحت سلطانها. لقد سهّلت هذه الإنتفاضات الطريق للحركة التحررية الكُردية لتوسيع أفقها ومدها بالمزيد من القوة والوعي، وأدت الى تعميق الهوة بين الشعب الكُردي والسلطة لدرجة صار من المستحيل انسجامهما. إن تولي شخصية وطنية دينية قيادة ثورة بارزان في هذه الفترة لم يقلل أبداً من قيمة الإنتفاضة ومحتواها القومي والثوري التقدمي. إذ يعود الفضل الى تلك الإنتفاضة في ظهور البوادر الأولى للشعور القومي في كُردستان العراق اليوم – والجنوبية آنذاك.

إن إنتفاضة بارزان ١٩٠٩– ١٩٠٨ كانت مدرسة ثورية بالنسبة للحركة التحررية.

(٣٩) ظهرت في هذه الفترة عدة جمعيات ومنظمات كُردية سياسية وثقافية منها جمعية (تعاون وترقي كُردستان) في إستنبول في ١٩٠٨، وجمعية (هيڤي) في ١٩١٠، و(جمعية نشر الثقافة الكُردية) في إستنبول لسنة ١٩٠٨، هذا بإستثناء عدد آخر من الجمعيات التي ظهرت في إستنبول ومناطق مختلفة اخرى من كُردستان. (أنظر: بلَج شيركو، القضية الكُردية، القاهرة ١٩٣٠، ص٥٠ – ٥٢).

الفصل الثالث

بارزان من نهاية الحرب العالمية حتى ١٩٣٦

كان دخول الشعب الكُردي الحرب دون ارادة منه، وما أصابه من أضرار في الأرواح والممتلكات جراء ذلك يصعب تقديره. فقد إستُغلت قابليات الشعب الكُردي الحربية أشد إستغلال، حيث تم تشكيل أربع فرق ولواء كامل من الكُرد عدا حاميات الحدود وكامل آليات الجندرمة ورجال الأمن علاوة على جيشين آخرين هما الجيش التاسع في ارضروم والعاشر في سيواس، وفُرض عليه كذلك تموين هذه الجيوش بعدتها وعددها وإكمال ما ينقصها[٤٠].

اصاب كُردستان الخراب والتدمير بدرجة قدّر فيها المؤرخ والعلامة الكُردي محمد امين زكي بأن عشرين سنة غير كافية لإعادة إعمارها[٤١]. ومما زاد في فداحة الخسائر ما لحق بالسكان من مقتل الشباب الذي يؤلفون القوة العاملة القادرة على الإنتاج والإعمار، حيث فقد الشعب الكُردي خيرة شبابه في ساحات الحرب إذ وصل عدد القتلى الى(٣٠٠) ألف شخص[٤٢]. هذا علاوة على أن قساوة ووحشية الجيوش التركية ونهبها الأموال والأغذية وكل ما وقع تحت أيديها تسبب في إنتشار المجاعة في كُردستان وتفشيها بحيث تسببت في وفاة ما يقرب من ٧٠٪ من أهالي مدينة السليمانية وحدها.

أدت هذه الأسباب إضافة الى إتباع الدولة العثمانية القسوة في قضائها على الإنتفاضات الكُردية واعدام قادتها علناً امام الجماهير الى إزدياد سخط الشعب الكُردي وظهور هوة عميقة بينهم وبين السلطات التركية وصلت حداً وصفه محمد أمين زكي بقوله:

«رفض الكُرد مساعدة الجيوش التركية بالعتاد والرجال[٤٣]».

ولهذا فرغم الدعاية وإثارة الشعور الديني لدى الشعب الكُردي، فقد رفض الإنضمام الى صفوف الجيش، وزادت نسبة الهروب من صفوفه على نطاق واسع.

(٤٠) محمد أمين زكي، ص٢٧.
(٤١) المصدرالسابق، ص٢٨٠.
(٤٢) المصدر السابق، ص ٢٧٥.
(٤٣) المصدر السابق، ص٢٧٩.

ومما زاد في سخط الشعب الكُردي دعاية الحلفاء الداعية الى تحرر الشعوب الموجودة في الدولة العثمانية والوعد بإنقاذها من المستعمرين، وأدت الى تعزيز الشعور القومي. كل هذا أدى الى حدوث القلاقل والإنتفاضات على نطاق واسع وبكثرة في مختلف أنحاء كُردستان.

مع بدء الإحتلال الإنكليزي للعراق وإضطراب الأحوال شعر البارزانيون بأن الفرصة قد حانت لتقوية مركزهم واعادة نفوذهم والضرب على أيدي الاقطاعيين المجاورين، الذين تجاوزوا عليهم وعلى ممتلكاتهم. وكانت محاربة هؤلاء الإقطاعيين ضرورية ليس لأنهم كانوا دائماً الأداة التي إستخدمتها السلطات ضد بارزان، بل لأن السلطات الإنكليزية حال إحتلالها للعراق إتبعت سياسة تقوية الإقطاع عن طريق توزيع الأراضي الأميرية عليهم وعلى رؤساء العشائر وتحويلهم الى إقطاعيين، وبذلك إتحدت مصالح هذه الطبقة مع مصالح الإستعمار المحتل للبلد.

ومن جهة أخرى فإن المثقفين الكُرد الذين نمت وتطورت وتزايد عدد أفرادها إلى حد كانت تحس معه بوجوب الوقوف ضد تأثير هذه الطبقة في الحركة التحررية الكُردية وأخذ كل مبادرة منها. وهكذا كانت محاربة البارزانيين للإقطاعيين المجاورين لهم تتماشى مع مصلحة الحركة وتنسجم مع فكرة بارزان للتوسع وإعادة تأسيس النفوذ.

وإذا كان الإستعمار الإنكليزي قد غضّ الطرف عن محاولات بارزان التوسعية، فلأن ذلك كان يتفق وتكتيكه آنذاك، إذ لم يكن من مصلحته في تلك الفترة إثارة الحرب خاصة وأن منطقة كبارزان مشهورة ومعروفة بصلابة أهلها، إضافة الى محاولات السلطات التركية منافسة الإحتلال الإنكليزي وإعتبارها إياه غير شرعي، فإن الإستعمار الإنكليزي وتماشياً مع سياسته في تقوية الإقطاع وشراء الشخصيات ورؤساء العشائر كان يراوده الأمل في شراء البارزانيين وإستمالتهم الى جانبه وتثبيت نفوذه عن طريق ذلك في تلك المنطقة.

على هذا الأساس إستطاع البارزانيون توسيع مناطق نفوذهم شيئاً فشيئاً في مدة قصيرة جداً، حتى وصلت أطراف قصبة رواندوز، فإحتكت مناطق نفوذهم بمناطق نفوذ شيخ رشيد لولان أحد الشيوخ الإقطاعيين من ذوي النفوذ والمكانة الدينية في هذه المنطقة. وبسبب من إستغلال هذا الشيخ الدين لتأسيس إقطاعية واسعة قائمة على إستغلال وإضطهاد الفلاحين والمريدين، فقد أدى ذلك بالعلاقات الدينية لأن تضعف ويصيبها الوهن، ففقد الشيخ رشيد نفوذه وجماهيريته فصعب

عليه بالتالي مقاومة نفوذ شيوخ بارزان وتوسعهم في المنطقة. فكانت النتيجة أن تحول هذا الشيخ أداةً في أيدي سلطات الإحتلال والسلطات التركية. إن مساعدة هذه الفئة للسلطات المحلية كان من الأسباب الرئيسية في ترسيخ سيادة السلطات الإستعمارية الإحتلالية في المنطقة خاصة وكُردستان عامة!

لقد إنكشفت ألاعيب الإستعمار وأهدافه الإستغلالية المخططة للمنطقة أمام الشعب الكُردي، كما تبيّن بطلان وعودهم الخلابة عن حرية الشعوب، ويرجع الفضل في ذلك الى ثورة أكتوبر ١٩١٧ في روسيا ونشر المعاهدات الإستعمارية التي عُقدت من وراء ظهر الشعوب من قبل قادة ثورة أكتوبر!

لاشك بأن ظهور الأفكار الثورية العلمية التقدمية في كُردستان في هذه الفترة وبسرعة لم يكن الإستعماريون يتوقعونها كان سبباً في رفع مستوى وعي للشعب الكُردي وكشفه خططهم وحيلهم وعدم ثقته بوعودهم ووقوفه بالتالي في خندق النضال ضد السياسة الإستعمارية. لقد إشتكى الحاكم الإنكليزي في السليمانية في رسالة له في ١٩٢٠ من إنتشار المباديء الإشتراكية في كُردستان بقوله:

«إن إسم البلشفي وبعض ما يعنيه قد صار معروفاً هنا لسوء الحظ[٤٤]».

إن ممارسات الإستعمار الإنكليزي وسياسته الرامية الى خلق طبقة إقطاعية رجعية موالية وخاضعة له تماماً على حساب الفلاحين والجماهير الكادحة، وحلّ المسالة الكُردية حلاً يتناسب والمصالح الإستعمارية في المنطقة بجعل كُردستان قاعدة لضرب الحركات الوطنية في المنطقة وفي مقدمتها الحركة الوطنية الكُردية.

وهذا الحل الذي كان يتناقض مع الحل الذي كان الشعب الكُردي يهدف اليه وهو حلّ قضيته على أسس عادلة ديمقراطية بعيدة عن نفوذ الدول الأخرى في ١٩١٩، حيث جاء فيها:

«أما عن كُردستان فإننا مازلنا عند رأينا بأن من الأفضل تشكيل فيدرالية من حكومات كُردية يمكن أن تتطاحن فيما بينها ولكنها لاتستطيع أن تؤذي ميسوپوتاميا[٤٥]».

ومع ان المحتل البريطاني نجح في شراء ذمم بعض الإقطاعيين ورؤساء العشائر ودفعهم الى محاربة شعبهم الكُردي، إلاّ أن ذلك دفع الجماهير الكُردية لتقف الى جانب الرؤساء الوطنيين المعادين للسياسة البريطانية الإستعمارية. فقد تزعم الشيخ

(٤٤) Gavoin,p.35

(٤٥) Gavon.P.31

محمود الحفيد نضال الشعب الكُردي المعادي للإستعمار في هذه الفترة في منطقة السليمانية، ونجح في تأسيس حكومة كُردية مناوئة للهيمنة الإستعمارية فحاربتها إنكلترا بكل قوتها. فيما قاد البارزانيون نضال الشعب الكُردي في منطقة بهدينان، والذي زاد من أهميته نجاح السلطات البريطانية في القضاء على إنتفاضة الشيخ محمود مؤقتاً.

تقول احدى المصادرالسوفيتية واصفةً أهمية مقاومة بارزان المسلحة للإستعمار البريطاني:

«عندما نجحت بريطانيا في شراء ذمم بعض من رؤساء العشائر وعزل الشيخ محمود، فإن قيام البارزانيين والزيباريين معاً بالإنتفاض تحت زعامة الشيخ أحمد البارزاني الواسع النفوذ في أيار ١٩١٩ كان له صدى واسع جداً لدرجة هب الشعب العراقي بعدها في ١٩٢٠ عرباً وكُرداً في معظم مناطق العراق لينتفض ضد المحتلين الإنكليز[٤٦]».

وحدث الإصطدام بين الإستعمار الإنكليزي والشعب الكُردي، ولم تثمر محاولات الإنكليز في شراء ذمم رؤساء الكُرد، وفشلت اساليبهم في صرف الحركة الثورية الكُردية عن أهدافها الوطنية ومحتواها التقدمي الثوري. وكشفت هذه السياسة الإنكليزية بسرعة عن نزعة إستعمارية عدوانية وقف الشعب الكُردي ضدها.

كان الشعب الكُردي أول من قاوم الإستعمار الإنكليزي في المنطقة، إذ لم تمر على إحتلال العراق بضعة شهور حتى قامت عشيرة (گويان) بأول إنتفاضة مسلحة ضد قوات الإحتلال. ان الإختلاف والتناقض الشديد بين وجهات نظر سلطات الإحتلال والشعب الكُردي في حل القضية الكُردية أدى الى حدوث تصادم ظهرت فيه مواقف مختلفة بين الطبقات الكُردية. ففي الوقت الذي إنضم فيه الإقطاع الى جانب الإستعمار، فإن بعض الزعماء الروحيين كالبارزانيين والشيخ محمود من الذين احتفظوا بالعلاقات الدينية وكانت افكارهم تعكس مباديء وافكار الطبقة البُرجوازية الكُردية وفئتها المثقفة ومن ورائها الجماهير الكادحة إتخذت من الإحتلال موقفاً ميّزه النضال الثوري المسلح. وحاولت السلطات الإستعمارية فرض سيادتها عن طريق الخديعة وشراء الذمم والإرهاب وبذل الوعود، غير ان الشعب الكُردي أصرّ على موقفه المعادي. وعندما تأكد لسلطات الإحتلال إستحالة الإتفاق مع الحركة الثورية

(٤٦) تأريخ العلاقات بين الشعوب والحركة الوطنية التحررية، المدرسة التحررية العليا التابعة للجنة المركزية ك. ب. س. بس، موسكو ١٩٦٢، ص ٤١٦، بالروسية.

الكُردية وبأنها تقف عائقاً في طريق مصالحها ونفوذها في المنطقة، حاربتها بكل ما لديها من قوة وقسوة وخبث. ومن بين محاولاتها الدبلوماسية الخادعة تمزيق الحركة الوطنية الكُردية على نحو تعجز معه عن المقاومة ومعاداة الحكومة الملكية العميلة التي كانت بريطانيا تحاول تأسيسها في بغداد، وذلك عن طريق خلق مجموعة دويلات وإمارات إقطاعية متنافسة فيما بينها دائماً، وهو ما يظهر من برقية لسكرتير وزارة الهند الى ممثلهم الإنكليزي في بغداد. وفي تشرين الأول ١٩١٨ قررت بريطانيا مقاومة الشعب الكُردي وسحق حركته الوطنية بالحديد والنار وفرض مشيئتها وهيمنتها، وهو ما يظهر في برقية أخرى لسكرتير وزارة الهند الى ممثلهم في بغداد في ٢٢ آب ١٩١٩، حيث جاء فيها:

«قررت حكومة صاحب الجلالة أن تمدَّ بسرعة الخط الحديدي بين قزرابات – كفري –كركوك لأن حكومة صاحب الجلالة لم تكن تتبع سياسة توسيع سلطتها في كُردستان الجنوبية لإعتقادها بأن ذلك سيتفق ورغبة الكُرد، ولهذا فقط وافقنا على برقيتك المرسلة في ٩ ايار ١٩١٩ والتي إقترحت فيها تشكيل مجموعة من الحكومات المحلية الكُردية برئاسة الرؤساء الكُرد. لكن يظهر أننا كنا على خطأ، فإن الشعب بدلاً من أن يستقبلنا ويرحب بنا ويساندنا فقد أظهر على العكس من ذلك العداء ضدنا، ولهذا يعدُّ مدُّ هذا الخط الحديدي ضرورياً لنتمكن من إخضاعهم وتهدئتهم بالقوة[٤٧]».

إن موقف الشعب الكُردي المعادي للاستعمار والحكم الأجنبي كان نتيجة لتجاربه المريرة التي عاشها خلال سيادة الأجنبي على وطنه وما لاقاه من أهوال وإضطهاد جراء ذلك. وموقفه هذا أكسبه معاداة انكلترا ووقوفها بالمرصاد للحركة الوطنية الكُردية، لأنها تأكدت بعد تجاربها بأن هذه الحركة لن تنسجم مطلقاً مع مصالحها وأهدافها في المنطقة، وتعترف جريدة سوڤيتية بهذه الحقيقة بقولها:

«إنكلترا تقف ضد كل حركة كُردية في العراق لأنها آمنت بان الشعب الكُردي إذا حصل على إستقلاله فسوف يقف ضدها فعلاً[٤٨]».

لقد صعّد الشعب الكُردي من نضاله ضد الإستعمار بعد انكشاف طبيعته. لقد تأكدت الشعوب المنطقة إن الدول الغربية الإستعمارية التي طالما بذلت الوعود وبررت حربها ضد الدولة العثمانية بكونها حرب تحرر تهدف لإنقاذ الشعوب من براثن هذه

(٤٧) Cavan.pp. 27-30

(٤٨) زريا ڤاستوك، ٧ شباط، ١٩٣١.

الدولة الرجعية، لم تكن في الحقيقة إلاّ وجهاً آخر أكثر بشاعة للإستغلال والإضطهاد. فهذه الدول التي تدّعي المدنية والحرية تتصارع فيما بينها بوحشية من اجل تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، وموقف أمريكا ووعود وبنود ويلسن كانت في الواقع تخفي وراءها صراعاً مريراً ونزعة قوية شرسة لإحتلال مناطق النفط التي جذبت رائحتها الشركات الامريكية. إن بنود ويلسن والضجة التي خلقتها الأوساط الامريكية الرأسمالية، والتي ساهمت لمدة من الزمن في تخدير شعوب المنطقة بشعارات الحرية والعدالة لم تكن في الواقع سوى محاولة أمريكية ترمي الى زحزحة الإستعمار البريطاني ونفوذه في الشرق الأوسط وإحتلال مواقعه في نهب ثروات المنطقة أو على الأقل مشاركة الإنكليز في عملية النهب هذه. فقد أصرت الأوساط الأمريكية على أخذ نصيب إنكلترا فقط[٤٩] على حد قول احد الكتاب، ولهذا فكثيراً ما كان إسم الكُرد وكُردستان يُذكر في مراسلات الحكومة الأمركية مع الحكومات الفرنسية والإنكليزية. فكُردستان كما يقول أحدهم إسم يقترن بالنفط[٥٠].

كانت الشعوب آخر ما يخطر على بال المسؤولين الأمركيين مثلهم في ذلك مثل المسؤولين الإنكليز، فقد كانت أمريكا على إستعداد لغضّ الطَرفْ عن كل الجرائم والمذابح التي كانت سلطات الاحتلال الإنكليزية تقترفها ضد شعوب المنطقة وخاصة ضد الشعب الكُردي شرط أن لا تُحرم من نصيبها من الذهب الأسود.

وفعلاً أظهرت الوقائع هذه الحقائق أمام شعوب المنطقة فأصبحت إنكلترا الإستعمارية بين نار مطامع أمريكا في المنطقة ونار نضال شعوب المنطقة من كُردية وعربية وغيرها، وإضطرت تحت ضغط الأحداث لفسح المجال أمام النفوذ الأمريكي والإعتراف بشراكته. فتخلت أمريكا بعدها نهائياً عن ذكر هذه الشعوب ونضالها التحرري. ويقول محمد عودة:

«لقد تخلى ويلسون من أجل الشركات النفطية الامريكية عن تطبيق بنوده الأربعة عشر في منطقة الشرق الأوسط فتخلّى عن العرب وكما يقول احد مؤرخيه تخلّى عن الكُرد أيضاً[٥١]».

وكان هذا بلا شك السبب الرئيسي في الإنتفاضة التي شملت كُردستان من أقصاها الى اقصاها، حيث طالب الشعب الكُردي بتحقيق أهدافه في الحرية

(٤٩) يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت ١٩٣٤، ص ٥.

(٥٠) نجفقلي پسيان. از مهاباد خونين تاَ گرانهاى آراس، تهران. ١٣٢٨ص ١٥٢.

(٥١) محمد عودة، ثورة العراق، القاهرة ١٩٥٨، ص٧٢.

والإستقلال وتطبيق الوعود التي بذلها الحلفاء. فبعد إنتفاضة عشيرة گويان وإنكشاف موقف سلطات الإحتلال الإنگليزي. إنتشر نطاق الإنتفاضات ليشمل كل أرجاء كُردستان من مناطق السليمانية. فإشتدت المقاومة في بهدينان وزاد عنف القتال، ففي نيسان عام ١٩١٩ إنتفض شباب زاخو ضد السلطات الإنگليزية المحتلة وقتلوا ضابطاً إنگليزياً، وحدثت في نفس السنة إنتفاضة في قصبة العماديه قُتل خلالها بعض الضباط الإنگليز، وفي مضيق مزوركه إصطدمت قوات الثوار بالقوات الإنگليزية حيث قتلوا ٣٠٠ شخص[٥٢]. وكان الوضع الاقتصادي السيء والمجاعة التي نجمت عن سوء الادارة ووحشية القوات التركية والإنگليزية المحتلة تزيد من اتساع رقعة الإنتفاضات، سيما وأن قيام السلطات الإنگليزية بتوزيع ما إستولت عليه من قمح في مخازن السلطات العثمانية في العراق لأغراض الدعاية لنفسها لم يكن كافياً لحل المشكلة وتهدئة السكان والقضاء على المجاعة.

فنظراً لسوء التوزيع أُعطي معظم القمح للإقطاعيين العملاء ولمن أظهر إستعداده للتعاون مع الإنگليز! فاتسعت بذلك بذلك رقعة الإنتفاضة لتشمل عشائر دوسكي، وعشائر السليمانية، وقرداغ، وچمچمال، وهَورامان، ورانيه[٥٣].

ولعب البارزانيون دوراً رئيسياً وقيادياً في إنتفاضات مناطق بهدينان وزاخو وعماديه وغيرها، إذ لم يكتفوا بالمشاركة الفعالة فيها وقيادتها، بل أسهموا ببعد نظر في خلق جبهة نضالية في الداخل بين مختلف القوى والعشائر ودعوا الى نسيان الأحقاد والنزاعات العشائرية والوقوف صفاً واحداً ضد الإحتلال الإنگليزي وقدموا بأنفسهم المثال على ذلك، فغضوا النظر عن العداوة القديمة بينهم وبين الزيباريين وكوّنوا معهم جبهة موحدة، وساعدوهم بالعتاد والرجال. ويعترف ويلسن شخصياً بدور البارزانيين ومساعدتهم للعشائر ودفعهم الى النضال بقوله:

«أرسل الشيخ أحمد البارزاني أخاه مع (٢٠) مسلحاً لمساعدة الزيباريين[٥٤]».

وشكلّ البارزانيون بأنفسهم القوة الضاربة التي هاجمت القوافل الإنگليزية وضباطها وإنقضّت على طلائعها الإستكشافية ورجال إستخباراتها الذين كانوا يطوفون في المنطقة لبث الدعاية وشراء الذمم. وعندما هدأت مناطق السليمانية

(٥٢) رەفيق حيلمي، ياداشت، بەرگی ٢، بەشی ١، بەغدا ١٩٥٦، ص٦٢.
(٥٣) رەفيق حيلمي، ياداشت، بەرگی ٢، بەشی ١، بەغدا ١٩٥٦، ص٦٢.
(٥٤) Wilson.A.S : Mesopotamia.1917-1920. A Clash of Loyalties l. 1930 p.152.

نسبياً إثر القبض على الشيخ محمود، كانت مناطق بهدينان بقيادة بارزان المنطقة الوحيدة في كُردستان لا بل في العراق أجمع التي كان نضالها المسلح لايزال مستمراً ضد قوات الإحتلال. ولم تنجح محاولات إنگلترا السلمية ولا الحربية في تهدئة المنتفضين أو جعلهم يلقون السلاح. وإتحدت تحت زعامة البارزانيين قبائل السورچي والزيباريين وأدى ذلك الى إحباط المؤامرات الإستعمارية الهادفة الى إستغلال المنازعات العشائرية، وكان هذا بلا شك السبب في اطلاق السلطات البريطانية المحتلة على الشيخ احمد لقب (عدو انگلترا الأكبر)[٥٥].

ان المثل الذي قدمته عشائر وقبائل بهدينان بزعامة بارزان، قد أثّر ولاشك في شحذ الشعب في جنوب العراق العربي لهمّته وتشديد نضاله ضد السلطات المحتلة. ويقول كوتلوف أنه:

«في أيار ١٩١٩ إنتفضت معاً وتحت زعامة بارزان عشائر السورچيين والزيباريين. وقد لعبت هذه الإنتفاضات دوراً اساسياً في تهيئة الكادحين العرب والكُرد لخوض المعارك القادمة ضد المحتل[٥٦].»

إن المقاومة المسلحة التي إستمرت من ١٩١٨ الى منتصف ١٩١٩ كان من الممكن ان تمتد لفترة غير معلومة لتلحق بذلك أشد الاضرار بقوات الإنگليز لولا تصدع الجبهة الداخلية إثر خروج عشيرة سورچي القوية من المعركة نتيجة لسحقها من قبل قوات الإنگليز وقوات الليڤي المؤلفة من الآثوريين والتي شكّلها الجيش البريطاني في العراق. وبخروج هذه العشيرة ضعفت الجبهة الداخلية، وإستطاعت قوات الإنگليز إحتلال قرية بارزان. إن خوف بريطانيا من المقاومة المسلحة الطويلة الأمد في بادينان جعلها تسخر كل طاقاتها لمواجهتها، ولذلك حاربت العشائر بقوة وفضاعة، علماً بأن هذه الإنتفاضات لم تكن تستحق تركيز كل هذه الطاقات العسكرية على هذا النحو. فقد دمرت القوات الإنگليزية القرى، وأحرقت المزروعات، فقد كان الهدف سحق الإنتفاضة بأسرع وقت والانتقام من الذين تجرأوا على مقاومة السلطات المحلية. فالقوات البريطانية وبإعتراف ويلسن شخصياً، احرقت قرى زيبار وعبرت الزاب وفعلت الشيء نفسه في مناطق بارزان بهدف الإنتقام والتأديب[٥٧]. إن الشعب الكُردي كان أول شعب في منطقة الشرق الاوسط يتعرف على مدنية الغرب

(٥٥) هەمزه عبدالله، شۆرشێ بارزان، سلێمانێ ١٩٥٩، ل ١٦.
(٥٦) كوتلوف، الإنتفاضة الوطنية التحررية لسنة ١٩٢٠ في العراق، ١٩٥٨، ص١٠٦، بالروسية.
(٥٧) Wilson.P.153

من خلال وحشية جيوشه، وقصف طائراته التي حرقت المزروعات ودمرت القرى وابادت السكان الآمنين. لقد حوّلت بريطانيا وعن قصد كُردستان الى ساحة لإختبار قدرة أسلحتها الجوية، إذ يعترف احد الإنكليز بهذه الحقيقة بقوله:

«قصف كُردستان كان في الواقع تجارب غير مباشرة للقوة الجوية البريطانية.[٥٨]»

ويكفي القول أن القوة الجوية البريطانية قامت بـ(٢٨٨) غارة على كُردستان عدا الغارات التي حدثت عام ١٩٢٣[٥٩].

ومما سهّل للإستعمار البريطاني القضاء على هذه الإنتفاضات، عدم إتساع نطاقها لتشمل جنوب العراق، فبقاء جنوب العراق هادئاً خلال هذه الفترة سهّل على البريطانيين أمر تركيز جهودهم على كُردستان وخاصة على بهدينان. وعندما إستجابت جماهير العرب في الجنوب كان الوقت قد فات. وهذا ما حدث لجنوب العراق، حيث قامت الجماهير بثورتها سنة ١٩٢٠ في وقت استنفذت فيه كُردستان قوتها وحيويتها الثورية، ومع ذلك فإنّ بعض مناطقها مثل كفري وخانقين ومناطق أخرى إشتركت في ثورة ١٩٢٠، مما سهّل مرة أخرى على المحتل الإنكليزي توجيه ثقله نحو الجنوب والقضاء على ثورته. ويقول دانزك في اسباب فشل ثورة ١٩٢٠:

«إن الشعب الكُردي كان في طليعة النضال في سنوات ١٩١٨ – ١٩١٩إلاّ أن اشتراكه في ثورة العشرين لم يكن بمستوى يستحق الذكر[٦٠]».

وبعد القضاء على ثورة ١٩٢٠ في جنوب العراق إندلعت الإضطربات مرة أخرى في كُردستان، وثارت بارزان وإندلعت من قريتها (قرية بارزان) إنتفاضة مسلحة ضد الإحتلال، أدت الى إنتصارهم على هذه القوات وإخلاء القرية منهم[٦١].

وكانت هذه بداية لتجدد الإصطدامات المسلحة في جميع مناطق بارزان، والتي إتسمت بطابع حرب العصابات والهجوم على قوات الإحتلال في فترات غير منتظمة الا انها استمرت لمدة طويلة، فالحملات العسكرية والإصطدامات لم تنقطع خلال الأعوام من ١٩٢١ – ١٩٢٤ واستمرت ولكن على فترات أكثر تباعداً حتى ١٩٢٧.

كانت تضحيات الشعب الكُردي في مقاومة الإستعمار البريطاني ونضاله من أجل حريته وإستقلاله كبيرة وجسيمة، يقول المؤرخ رفيق حلمي:

(٥٨) شاكر خصباك، ص٢٨– ٢٩.
(٥٩) دانزك ب.م، العراق في الماضي والحاضر، موسكو ١٩٦٠، ص٢٦، بالروسية.
(٦٠) دانزك، ص٢٣.
(٦١) أحمد فوزي، خناجر وجبال، قاسم والأكراد، القاهرة ١٩٦٦، ص٢٩٨.

«إن كُرد العراق قبل مجيء الإنكليز وبعده لم يركنوا الى الهدوء ولم يقفوا لحظة عن النضال، وسواء كانت إنتفاضاتهم هذه تعبيراً ضد جور الحكام وظلمهم أو بهدف إستقلال كُردستان فإنها إستمرت دون أية مساعدة من دولة اجنبية. وقد أُريقت خلال مسيرة النضال ضد الإنكليز دماء كثيرة، سواء كانت للكُرد أو أعدائهم[٦٢]».

وعلى الرغم من ان هذه الإنتفاضات لم تحقق أهدافها وهي طرد المستعمر الجديد، وتحقيق هدف الشعب الكُردي في الإستقلال والحرية، إلاّ أنها كانت مفيدة بشكل غير مباشر، فقد مهدت الطريق لإستمرار النضال الكُردي، ومثّلت تجربة قيمة له وهو تعرفه على الإستعمار البريطاني ونزعته الإحتلالية، وعداوته للحركة الوطنية الكُردية، هذه النزعات التي حاول إخفاءها وراء واجهات متنوعة وبذلك ظهرت هوة عميقة بين الشعب الكُردي والإستعمار الإنكليزي، الذي لم يتحقق له لحد الآن عبور هذه الهوة والإلتقاء بالحركة الوطنية الكُردية.

إن أسباب فشل هذه الإنتفاضات لا تعود فحسب الى عامل قوة العدو، الذي إستخدم أحدث الأسلحة والقوات الجوية على أوسع نطاق وبوحشية، بل الى الظروف والعوامل الموضوعية أيضاً. فهذه الإنتفاضات وإن كانت متحدة على صعيد أهدافها، إلاّ انها كانت محلية في نطاق عملياتها العسكرية.

كما لم تكن للإنتفاضة قيادة عسكرية موحدة، فتوزيع القوى الثورية بذلك الشكل بين بهدينان وسوران، أضاع أرواحاً كثيرة وفرصة ذهبية قلّ نظيرها في تاريخ الشعب الكُردي. وكانت ظروف وطبيعة المجتمع الكُردي سبباً رئيسياً في تشتيت الحركة الثورية بذلك الشكل.

فقيادة هذه الحركات كانت من قبل العشائر والرؤساء الروحيين والدينيين الوطنيين وكانت الخلافات والمنافسات تلعب دورها في عدم إتحاد القيادات بين السليمانية وبهدينان، ومما زاد الأمر صعوبة وخطورة هو أن البُرجوازية الكُردية كانت لاتزال ضعيفة ولايزال ممثلوها من المثقفين يعيشون فترة اضطراب فكري أعجزتهم عن جمع المنظمات الكُردية، التي كثرت في هذه الفترة ولم تظهر فيها جمعية كبيرة ذات شأن. كان العدد الكبير من المنظمات دليلاً على الإنقسام والتشتت الفكري، ولهذا عجزت عن قيادة وتوجيه الإنتفاضات وأن تلعب دوراً رئيسياً فيها. إن عدداً محدوداً من الجمعيات الصغيرة كان بإمكانه تولي الدعاية السلبية المناوئة

(٦٢) رفيق حلمي، ياداشت بەرگی١، ص٦٦.

للإنگليز، غير انها وبسبب من تشتتها لم تتمكن من قيادة الثورات أو توحيد القيادات الثورية المختلفة. وعدم قدرة هذه الجمعيات على توحيد صفوفها وبالتالي توحيد صفوف الجماهير ألحق ضرراً فادحاً بالقضية الوطنية الكُردية في تلك الفترة.

أقوى الجمعيات الكُردية كانت مستقرة في كُردستان الشمالية، إلاّ أنها كررت نفس أخطاء سنة ١٩٠٨ بأن تمركزت في مدينة إستنبول فلم تمد يد المساعدة اللازمة للقضية الكُردية النامية وشبه الناهضة في كُردستان الجنوبية، حيث نجح الشيخ محمود الحفيد في تأسيس حكومة كُردية في مدينة السليمانية. وكما يقول رفيق حلمي فإن:

«هذه الجمعيات لم تساهم في إدارة الحكومة أو تساعد الشيخ محمود في إدارة البلاد، رغم أنه كان في صفوفها أعضاء بارزون من السليمانية[٦٣].»

وهكذا وفي أشد حالات إحتياج الشعب لكفاءة هذه الجمعيات وتوجيهها، كانت هذه الجمعيات مشغولة بممارسة سياسات فوقية في إستنبول وبعيدة كل البعد عن الشعب، معتقدة أن الاتصالات السياسة في المدن هي الأساس لتشكيل كُردستان، متناسية حقيقة أن الاستفادة من كل إنتفاضة كُردية في أي جزء من كُردستان عن طريق مساعدتها وقيادتها وتوجيهها قد يكون هو الأساس لكُردستان مستقلة.

لم يهدأ الوضع في كُردستان، فرغم الإنتصارات الحاسمة للقوات الإستعمارية ضد الحركة الوطنية الكُردية في مناطق بهدينان وسوران تجددت الإضطرابات في ١٩٢٧، وإزداد إلتفاف الشعب الكُردي حول قيادتي الشيخ محمود في السليمانية وشيوخ بارزان في بهدينان. فقد رفض الكُرد الملكية التي فُرضت على العراق منذ ١٩٢١، والتي حرمتهم من حقوقهم القومية تماماً كما فعلت الدولة العثمانية وتم تقسيم وطنهم كُردستان بدافع المصالح والمؤامرات الإستعمارية بين تركيا وإيران والعراق وسورية في ١٩٢٥ بعد حل مشكلة موصل، وتحولت حكومة العراق الى حكومة عميلة للإستعمار الإنگليزي. كل هذا دفع الكُرد الى تكثيف نضالهم، ولاشك ان محاولات الإستعمار تكبيل العراق بالمزيد من القيود الإستعمارية ومحاربته كافة اوجه الحركة الوطنية الكُردية خلق جواً سياسياً متوتراً، زاد من توتره محاولات الإستعمار البريطاني إسكان الآثوريين في مناطق بارزان كنوع من أنواع محاربة الحركة الوطنية الكُردية، وكإنتقام من بارزان. وأدى ذلك الى إزدياد خطورة الوضع حيث لاحت في الأفق بوادر إنتفاضة جديدة أخذت تتجمع في سماء كُردستان.

(٦٣) رفيق حلمي، ياداشت بەرگی١، ص٤٨.

المسألة الآثورية

لقد ساهمت قضية إسكان الآثوريين في المناطق المجاورة لبارزان في إثارة الاضطربات وتعقيدها في هذه المنطقة، ولعبت دوراً رئيسياً في إثارة الشعب الكُردي في كُردستان العراق. وترجع جذور هذه القضية الى أيام الحرب العالمية الاولى، حيث حاولت كل من روسيا القيصرية وإنگلترا إثارة الشعوب الرازحة تحت النير العثماني عن طريق خلق الإضطرابات والمشاكل للسلطات التركية، وبالتالي عرقلة تقدمها ونجاحها في ميادين الحروب. وعدا ذلك لم تكنّ أي من الدولتين في الواقع عطفاً على هذه الشعوب وحركاتها الوطنية الهادفة الى التحرر من الدولة العثمانية. فقد حاولت الدولتان مثلاً إستغلال مشاعر السخط لدى الكُرد وحركتهم الوطنية وإبعادها عن أهدافها الرئيسية وتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحهما الآنية فقط، وكررتا عين المحاولة مع الأرمن، وكذلك مع الآثوريين. ولكنهم بقدر ما فشلتا مع الشعب الكُردي، وأصابتا نجاحاً مع الآثوريين!

صدق الآثوريون وعود الإنگليز فإندفعت جماهير الآثوريين وراء رؤسائها المرتبطين بإنگلترا بأكثر من رباط. ونتيجة لذلك لحقت بالآثوريين أضرار وواجهوا مشاكل لم تستطع إنگلترا تخفيفها عنهم، بل إنها تخلت عنهم وتركتهم لمصيرهم بعد ان رأت ان لا فائدة ترجى منهم لسياستها. لقد ثار هؤلاء بسبب وعود وتحريض إنگلترا على الدولة العثمانية التي قضت عليهم وطردتهم بالقوة خارج أراضيها. فقامت إنگلترا بجمع شملهم وإسكانهم في بعقوبة وخُصص لكل فرد فيهم (١٢٠) روپية شهرياً[١]، لا وفاءً بإلتزاماتها الأدبية وحفظاً لسمعتها بقدر ما كانت تستهدف جعلهم قوة عسكرية تستند عليهم لتثبيت نفوذها الإستعماري في العراق عامة وكُردستان خاصة.

وعندما وجد الإستعمار البريطاني نفسه في موقف صعب ومأزق حرج بسبب مقاومة الشعبين الكُردي والعربي والإنتفاضات المسلحة، علاوة على القوات التركية غير النظامية على حدود كُردستان العراق، قررت بريطانيا إستخدام القوات الآثورية المعروفة (بالليڤي) بدلاً من جلب الجيوش والقوات من الهند لضرب الحركة الوطنية الكُردية أولاً والعربية ثانياً[٢]، وليس لضرب القوات التركية غير النظامية كما تقول

(١) الحسني، ١٩٥٣، ص١٤٣.

(٢) Gurtrud Bell.The Letters.P.447

مس بيل[٣]. لذا قررت بريطانيا إسكان الآثوريين على طول خط بروكسل الذي حددته لجنة عصبة الأمم كخط حدود مؤقت بين تركيا والعراق، أي حول المناطق البارزانية وداخل بعضها في وقت كانت فيه مشكلة ولاية الموصل على أشدها.

لم يقتصر هدف سلطات الإحتلال في هذه العملية على إستخدام هؤلاء كرأس رمح ضد الشعبين الكُردي والعربي وحركتيهما الوطنية وكسلاح دبلوماسي لتهديد العراق وتركيا فحسب، بل كأداة إنتقام من بارزان بالذات. فقد أرادت بريطانيا من وراء عمليتها هذه إجبار البارزانيين على ترك موطنهم لتتخلص من عدو طالما رفع السلاح في وجهها ولم يتعاون معها قط. ويعترف ويلسن الحاكم الإنكليزي في بغداد بهذه الحقيقة في برقية له الى وزارة الحرب البريطانية جاء فيها:

«انها لفرصة ممتازة نكافيء فيها الآثوريين بشكل يرضي إنكلترا وأوروبا، ويمهد لنا الطريق لحل أعقد قضية قومية ودينية في كُردستان، كما أنها قد تنقذنا من خطر كبير في شمال العراق، ونكون في نفس الوقت قد إنتقمنا من هؤلاء الذين ثاروا في وجهنا في عقره وزاخو وعماديه[٤].»

لم تكتف إنكلترا بإسكانهم، علماً بأنهم تركوا أوطانهم منذ زمن قديم وغدوا شعباً دون وطن، بل طلبت إعتراف الحكومة العراقية بنوع من الحكم الذاتي لهم في المناطق التي سيسكنون فيها. وتمادت لتزرع في رؤوس قادتهم أفكاراً ووعوداً خلابة بتأسيس مملكة واسعة لهم تشمل المناطق التي يسكنها الترك والعرب والكُرد[٥].

إن بذل الوعود وتحول الآثوريين من جماعة كان لها وطن وأراضي وممتلكات الى جماعة مشردة مجردة من كل الحقوق تعتاش على حملها السلاح للإنكليز واطاعتهم وحماية مصالحهم، كل هذا كان السبب في تصديق الآثوريين وعود الإنكليز.

لقد عاش الشعب الكُردي حقباً طويلة في إخاء وتفاهم مع الآثوريين وكانت علاقات البارزانيين معهم على الأخص طيبة جداً، لذا كان الشعب الكُردي على إستعداد لإيوائهم ومساعدتهم لو لم يكن الإستعمار وخططه المعادية للكُرد متخفياً وراءهم.

فالشعب الكُردي معروف بإحترامه للأقليات الدينية وعدم تعرضه لها، ولقد إعترف بهذه الصفة كثير من الكتاب الغربيين، حتى أنّ التقرير الذي قدمته السلطات الإنكليزية حول إنضمام العراق لعصبة الأمم يعترف بهذه الميزة بالقول:

(٣) معروف چياوك، مأساة بارزان المظلومة، بغداد ١٩٥٣، ص٥٩.
(٤) معروف چياوك، ص٥٩.
(٥) ليڤين ان، ص١١٢ (باللغة الروسية).

«يتميز الشعب الكُردي من بين الشعوب المسلمة بعلاقاته الجيدة مع المسيحيين ويعيش معهم في سلام ووئام[٦].»

وكان البارزاني معروفاً بإحترامه للمسيحيين عامة والآثوريين خاصة.

لكن محاولات الإستعمار البريطاني خلق دولة للآثوريين في كُردستان واستخدامه إياهم في ضرب الحركة الوطنية الكُردية، وإيذاء هؤلاء السكان والإعتداء عليهم أثار شعور الشعب الكُردي، الذي ساند بقوة موقف البارزانيين المناهض لإسكان هؤلاء. ففي الموصل مثلا إعتدتْ مجموعة من الآثوريين المسلحين على السكان الآمنين فقتل جرّاه (١٨) شخصاً. وفي كركوك تكررت اعتداءاتهم وقُتل في إحداها (٥٦) شخصاً وجُرح (٤٤). وعلاوة على ذلك أصبحت القوات الآثورية المسلحة رأس رمح في محاربة الحركة الوطنية العراقية عموماً. فقد حاربت الى جانب القوات البريطانية ضد الشعب الكُردي في السليمانية وبارزان واشتركت في عمليات حرق القرى والمزروعات. كما اشتركت في إخماد ثورة ١٩٢٠ في جنوب العراق.

وكلما كانت مقاومة الشعب الكُردي ضد محاولات إسكان الآثوريين تزداد كان إصرار بريطانيا لفرض هذه المؤامرة بالقوة يزداد هو الآخر. أما الحكومة العراقية العميلة فقد وقفت موقف المهادن والمؤيد للسلطات الإستعمارية، هذا الموقف الذي إزداد وضوحاً بعد إعلان المندوب السامي البريطاني في بغداد في نشرة له بأن:

«حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف الى قضية الدفاع عن الشعب الآثوري، ولن تنسى المساعدات القيمة التي قدمها للحلفاء اثناء الحرب، ولهذا قررت إقامة وطن قومي لهم في العراق (ويستمر البيان) والمندوب السامي على ثقة بوجود بعض المناطق الخالية التي لاتفيد العراق في شمال دهوك وعماديه والجبال الشمالية، والحكومة البريطانية تطالب الحكومة العراقية بما ياتي:

١- إعطاء هذه المناطق الشمالية الى الآثوريين بشروط مناسبة بدون مقابل.

٢- أن تُضاف الى هذه المناطق تخوما وباز وجيلو لتشكل بذلك منطقة ذات حكم ذاتي يسكنها الآثوريون.»

وافقت الحكومة العراقية على هذه المطالب[٧]. وتحقيقاً لهذه الخطة برزت ضرورة التحرش بالبارزانيين، لأن هذه المناطق قريبة من بارزان وبعضها تابع لها.

(٦). Northern oreland to the council of the legue of vationou in the progress of lraq.Dnring the pe-riod 1420- 1931, London 1931,P.272.
(٧) تأريخ الوزارات العراقية، مجلد، ص١٤٣-١٤٤.

وإستوجبت ضرورة التحرش تسليح الآثوريين وتشكيل جيش قوي منهم لتهجير البارزانيين وغيرهم بالقوة من هذه المناطق، لذا كانت السلطات البريطانية تجهز كل آثوري أكمل تدريبه في الجيش الليفي ببندقية و (١٠٠) إطلاقة وبعض القنابل اليدوية، وكان بعد تسريحه يُرسل الى سهل (نهله) في عقره، الذي أصبح مركز تجمع الآثوريين المسلحين. وهكذا اصبح الوضع خطيراً يهدد السكان بمصير أسود لأن حوالى (١٠) آلاف آثوري مسلح تجمع في هذه المناطق بدعوى الدفاع عن النفس ضد الكُرد[٨].

كان ذلك الوضع في الواقع يمثّل مأساة للكُرد والآثوريين معاً، فجمهور الآثوريين الذين إضطروا الى ترك اراضيهم وموطنهم كانوا يأملون حقاً إيجاد مكان يؤويهم يمارسون فيه الفلاحة كما كان شأنهم في موطنهم. ولم تكن كل من السلطتين المحلية والإنكليزية تبحث عن حل جدي لهم، وإلاّ فإن إيجاد مناطق لإسكانهم سواء في كُردستان أو جنوب العراق كان ممكناً إذا كانت القضية تقتصر على إسكان جماعة من الناس إضطرتهم ظروف قاهرة على التشرد – هذا فضلاً عن أن البعض من الإقطاعيين الكُرد أعطى بعض الأراضي من النوع السيء لبعض الآثوريين[٩]، غير ان القضية كانت تتعدى نزعة الخير الإنسانية. فبريطانيا الإستعمارية كانت قد عقدت العزم على خلق نقطة إرتكاز قوية لها في قلب كُردستان. وكان من حق الشعب الكُردي الدفاع عن نفسه وعن موطنه ومستقبله، وحتى أن الحكومة العراقية نفسها بعد أن أحسّت بخطر هذه السياسة إثر ردود الأفعال القوية والتذمر الذي نجم عن بيان المندوب السامي، حاولت هي الأخرى إيجاد حل وسط يتمثّل في إسكان الآثوريين في مناطق مختلفة من العراق! غير أن زعيم الآثوريين المار شمعون رفض هذا الحل رفضاً قاطعاً، لا بل مضى الى أبعد من ذلك بتهديده الحكومة العراقية وهو في موقفه الضعيف ذاك بأنها إن لم تسكنهم في منطقة واحدة وتعترف لهم بالحكم الذاتي، فإنه سيفعل ما من شأنه جلب إنتباه العالم.

ومما لاشك فيه ان شخصاً في موقف مار شمعون ما كان ليتجرأ على إتخاذ موقف كهذا لولا مساندة وتحريض مباشر من إنكلترا. إن إنكلترا التي رفضت الحكم الذاتي للشعب الكُردي في كُردستان العراق، إعترفت بهذا الحق لحوالي عشرين ألف آثوري جاؤوا من خارج الحدود. فكان من حق الشعب الكُردي ان

(٨) ليفين، ص١١٣ (بالروسية).
(٩) ليفين، ص١١٣ (بالروسية).

يرفض ذلك ويساند بارزان في نضالها العادل. وبلغت خطورة القضية أوجها عندما بدأت الجماعات الآثورية المسلحة تمارس وعلى نطاق واسع عمليات التحرش والإعتداء المسلح على السكان الآمنين في مناطق بهدينان، وكانت الحكومة تحت ضغط إنكلترا تغضُّ النظر عن كل ذلك ولا تقوم بما من شأنه وضع حدٍّ لهذه الاعتداءات، ولم تحاول حتى الإستماع الى شكاوى السكان، بل كانت على العكس من ذلك تتخذ إجراءات شديدة وقاسية بحق كل كُردي يقابل الإعتداء الآثوري بالمثل. وبلغت سياسة الحكومة العراقية في هذا المجال وإرضاءً للسياسة البريطانية حداً كانت تعاقب فيه سكان قرى بأكملها وتسجنهم عند وقوع إعتداء على آثوري[١٠].

لقد أصرّ الإستعمار البريطاني على موقفه المعادي هذا برغم الخطورة الناجمة عن الإستمرار في محاولة إسكان الآثوريين، ولم تغيّر السلطات الإنكليزية موقفها بحجة عدم إستعداد بريطانيا لتغيير سياستها، وما قررته من بشأن العراق، لأجل حفنة من الكُرد كما اكد ذلك الكابتن هولت السكرتير الشرقي في دائرة الإنتداب[١١].

إن اصرار بريطانيا على خلق قاعدة إستعمارية لها بتشكيل دولة آثورية في كُردستان كان تمهيداً لشن تلك الحملات المتكررة على بارزان، والتي استمرت من ١٩٢١وحتى ١٩٢٧ وفشلت جميعاً أمام مقاومة البارزانيين ومساعدة الشعب الكُردي لهم في نضالهم. وبحلول ١٩٣٠ فرضت إنكلترا معاهدة ١٩٣٠ على الشعب العراقي وحلت مسألة دخول العراق عصبة الأمم إنتفت الحاجة الى الآثوريين. وعندما فشلت آخر محاولة لإسكانهم خلال سنوات ١٩٣٠–١٩٣٢ والتي كانت السبب المباشر لإنتفاضة بارزان في ١٩٣١–١٩٣٢، تخلت إنكلترا تماماً عن الآثوريين وغضت الطرف عن هجوم الجيش والعشائر العراقية بقيادة بكر صدقي عليهم وتشتيت شملهم، فنسيت كل وعودها لهم وكل ما قدمه هؤلاء للحلفاء حسبما جاء في بيان المندوب السامي:

«إن إنكلترا عندما تأكدت من أن الطبقة الحاكمة العراقية تدافع وتحافظ عن مصالحها أكثر من الآثوريين تخلت عن هؤلاء[١٢].»

(١٠) چياوك، ص٨٢.
(١١) چياوك، ص٩٣.
(١٢) ليفين، ص١١٣ (بالروسية).

معاهدة ١٩٣٠

إضافة الى محاولات إسكان الآثوريين كانت معاهدة ١٩٣٠ سبباً آخر في إنتفاضة بارزان ١٩٣١–١٩٣٢. وأحد الأسباب التي دفعت الإستعمار البريطاني لإبقاء القضية الكُردية غير محلولة ومستمرة على حدتها وقابليتها للإنفجار كان التلويح بها في وجه السلطات العراقية كلما دعت الحاجة لفرض معاهدة او لضمان مصلحة من مصالحها.

والشعب الكُردي، الذي عانى من اضطهاد قومي وطبقي مزدوج، كان على إستعداد للتعبير عن رفضه كلما وجد فرصة متاحة أو ظروفاً تساعده على ذلك. كما حاول الإستعمار الإنكليزي مراراً إستغلال هذا الشعور وهذا الإستعداد الثوري لمصلحته غير أنه لم ينجح في ذلك قط.

خلال تلك الفترة وحتى عام ١٩٢٩ كانت الحكومة العراقية التي ترأسها توفيق السويدي حكومة ذات نزعة وطنية قاومت لحدٍّ ما فرض معاهدة استعمارية على العراق، ولهذا إتجهت سياسة بريطانيا نحو كُردستان والحركة الوطنية الكُردية لإستخدامها كسلاح ضد السلطة العراقية. وقد حاولت لأكثر من مرة التقرب من البارزانيين وإستمالتهم بكل ما لديها من وسائل. لكن موقف البارزانيين الوطني كان دائماً رافضاً لتلك الوعود ومتمسكاً بالنضال ضد الهيمنة الإستعمارية في البلاد. وقد تجسد ذلك في رسالة الشيخ احمد البارزاني الى الملك فيصل، التي طالب فيها بتوحيد جهود الشعبين الكُردي والعربي لمحاربة الإنكليز وطردهم من البلاد[١٣].

زاد هذا الموقف الصلب من كراهية السلطات الإستعمارية للبارزانيين وشيوخهم، لذا ألحّت على الحكومة العراقية في نفس تلك السنة بالقيام بهجوم عسكري على بارزان بهدف التأديب وتسفير سكانها وإحلال الآثوريين محلهم. ولكن موقف الجيش حال دون تنفيذ الخطة،إذ أن عدداً من الضباط العرب الوطنيين وبعدما أحسوا بخطر نشوب حرب أهلية داخلية رفضوا القيام بالمهمة وسوق الجيش ضد بارزان. فأدى هذا الموقف الوطني وخوف السلطات والإنكليز من تطور الامر الى ما لا تُحمد عقباه في صفوف الجيش –خاصة وأن معاهدة ١٩٣٠ كانت على الابواب– أدى الى تأجيل أمر الهجوم على بارزان الى فترة اخرى. وهذا التفاهم الكُردي العربي المشترك – رغم انه لم يكن على مستوى الجماهير وعلى نطاق واسع– غير أنه كان بداية طيبة

(١٣) هەمزە عەبدوڵلا، شۆڕشی بارزان، ل ١٩.

لتوحيد جهود الشعبين ونضالهما ضد الإستعمار والرجعية الداخلية، وكان درساً قيماً لأهمية النضال المشترك.

إن الموجة النضالية المعادية للإستعمار ومعاهداته التي انتشرت في كل العراق أجبرت وزارة توفيق السويدي على رفض المعاهدة وبالتالي سقوطها ومجيء وزارة نوري سعيد التي عقدت معاهدة سنة ١٩٣٠ وبمساندة فعالة من الكتل العربية البُرجوازية اليمينية.

إن عقد المعاهدة بشكلها القسري وتثبيت سياسة ونفوذ الإستعمار في العراق وخلوها عمداً من أية اشارة لحقوق الشعب الكُردي القومية أدى الى مقاومة الشعب الكُردي لها وشجبها، ثم تحولت المقاومة السلبية الى مقاومة مسلحة في مدينة السليمانية في ٦ ايلول ١٩٣٠، حيث هتفت جماهير المدينة بسقوط المعاهدة والإستعمار واستقلال كُردستان. لقد كانت تلك المظاهرة المسلحة كما تقول جريدة (ئازادی) جزءً من إنتفاضة الشعب العراقي ضد معاهدة ١٩٣٠. ويتضح مقدار حقد الإستعمار والرجعية المحلية على الحركة الوطنية في المجزرة التي قامت بها السلطات في هذه المدينة، فقد بلغ عدد القتلى (٤٦) شخصاً فيما كان عدد الجرحى (١٩٥) جريحاً. فكان من حق الشعب الكُردي تسمية هذا اليوم بيوم ٦ أيلول الاسود. فالوحشية التي قابلت بها السلطات هذه الإنتفاضة المسلحة أثارت شعور الشعب الكُردي، فقام الزعيم الكُردي المعروف الشيخ محمود الحفيد بإنتفاضته المسلحة مطالباً بحقوق الشعب الكُردي التي نصت عليها المعاهدات الدولية والتخلص من سلطة الحكومة العراقية نهائياً. ناشد الشيخ محمود ولفيف من زعماء ورؤساء الشعب الكُردي عصبة الأمم لإنقاذ الشعب الكُردي من براثن الحكم الملكي العراقي والأجنبي، ومما تجدر الإشارة اليه أن هذه الإنتفاضة سُحقت بمساعدة مباشرة وفعالة من القوة الجوية الملكية البريطانية.

ومنذ ١٩٣٠ كانت بوادر تجمع الحركة الوطنية نحو بارزان تزداد وضوحاً، فمعاهدة ١٩٣٠ وثورة الشيخ محمود، وإستمرار محاولات إسكان الآثوريين، هذا عدا عن عوامل موضوعية خاصة بكُردستان خاصة والعراق عامة، فكانت الباعث الرئيس لتجمع الحركة الوطنية في بارزان وإنطلاق انتفاضتها في ١٩٣١–١٩٣٢. فقد إنعكست الآثار السيئة للأزمة الإقتصادية الرأسمالية العالمية في ١٩٢٩–١٩٣٣ على العراق، خاصة وانه كان تابعاً مباشراً لإنكلترا في اقتصادياته، وقد بلغت الازمة درجة من الشدة بحيث عجزت الحكومة في ١٩٣١ عن دفع رواتب الموظفين.

وإزدادت حدة الأزمة بسبب تحول العراق الى قاعدة لتخفيف شدة الأزمة على إنكلترا نفسها، وذلك بنهب ثرواته واجباره على شراء الأسلحة القديمة المستهلكة وبأسعار مختلفة كان يتحمل أعباءها دافع الضريبة العراقي. وطالت الأزمة الفلاح كذلك، فمن أجل تأمين حاجات إنكلترا من الصوف قامت الحكومة بخفض أسعار التصدير بشكل أدى الى تدمير الفلاح العراقي. وإضافة الى ذلك إستمرت السلطات العراقية في سياسة في دعم الإقطاع وحرمان الفلاح لا من الارض فحسب، بل ومن كافة حقوقه كإنسان أيضاً. فشرّعت في تلك السنة قوانين رجعية للغاية منها قانون حقوق وواجبات الزراع الذي حرم بموجبه الفلاح المدين للمالك من هجرة أرضه الى أرض أخرى[١٤]. وبالإضافة لكل هذه القوانين الجائرة حاربت الحكومة العراقية الفلاح الكُردي في أهم محصولاته الزراعية ونعني به التبغ، حيث قللت من تصديره فلم يزد المصدَّر منه في ١٩٣١ عن (١٠٠) ألف روپية (كل روپية تساوي ٧٥ فلساً وكل ١٠٠٠ فلس تساوي ديناراً، وكل دينار يساوي جنيهاً انكليزياً). هذا بعد أن كان مقدار قيمة التصدير قبل تلك السنة (٦٢٥) ألف روپية[١٥]. وبذلك إنخفضت أسعار التبغ وتدهورت حال الفلاح.

وكان وضع الطبقة العاملة متدهوراً أيضاً، هذه الطبقة التي بدأ عددها يزداد في الميناء ومنشآت السكك وبعض المصانع الصغيرة التي بدأت تظهر في بغداد والمدن الرئيسية. فبالإضافة الى ساعات العمل الطويلة، كان الأجر قليلاً لايكفي العيش وكانت هذه الطبقة محرومة من كل الحقوق الإنسانية والديمقراطية.

والبرجوازية الصناعية كانت ضعيفة للغاية وتواجه حرباً ومنافسة شديدة من قبل الشركات الأجنبية الإستعمارية فالسياسة البريطانية جرت على محاربة تطور العراق الصناعي بإعتباره سوقاً لنهب مواده الأولية وتصدير البضائع إليه: إن وجود (١٨) مصنعاً[١٦] ضعيفاً في كل العراق كان دليلاً على ضعف البرجوازية الصناعية والتأخر الصناعي الفضيع في العراق وكان نصيب كُردستان من التأخر الصناعي قد بلغ أقصاه. غير أنّ البُرجوازية التجارية سجلت نمواً لا بأس به فنتيجة لتوسع التجارة مع أوروپا والبدان المجاورة، إزدادت ونمت هذه الفئة وإتسع نطاق تجارتها وأموالها فوصل عدد تجارها في ١٩٣١ الى (٤١٩٢) تاجراً[١٧].

(١٤) أنظر محمد توفيق حسين، نهاية الإقطاع في العراق، بيروت ١٩٥٨، ص١٠٣.
(١٥) Lucien Rambout, Les Kurd, et driot, Paris, 1974,P.70
(١٦) ميرسكي، ص٣٣.
(١٧) كذلك، ص٣٣.

قسم من الفئة المذكورة شكّل البرجوازية التجارية التي تحولت الى عميل مباشر للإستعمار ومصالحه. وكانت الفئة البُرجوازية التجارية في كُردستان اقل نمواً وتطوراً من مثيلتها في جنوب العراق، والذي زاد من عرقلة تطورها عدم كونها مستقلة في تأسيس علاقات تجارية مباشرة مع أوروپا، فقد كانت تتم عن طريق الوسيط أي التاجر العربي في بغداد. وهو ما جعلها تابعة لها فأضعف بذلك اندفاعها القومي نحو الإستقلال وإستغلال سوقها الداخلية لنفسها. لذا كانت تلك التبعية وتشابك المصالح الدافع لقيام جماعة من تجار مدينة السليمانية بإعلان ولائهم للسلطة بعد إرتكابها لمذبحة السليمانية في ٦ أيلول ١٩٣٠.

على كل حال نمت هذه الفئة وأصبح لها مصالح وقوة وإكتمل هذا الإطار بالسياسة اللاقومية المعادية التي مارستها السلطات ضد الشعب الكُردي، فعلى صعيد التعليم أُهملت كُردستان إهمالاً تاماً فكان ذلك جزءً من سياسة محاربة التعليم في عموم العراق. إذ لم تزد مخصصات الحكومة لهذا الغرض عن ٨.٠١٪ من مجموع ميزانيتها في ١٩٣١– ١٩٣٢[١٨]. ولهذا كان عدد المدارس واللوازم المدرسية قليلاً، إذ لم يكن هناك في عموم العراق خلال ١٩٣١ أكثر من (٢٧٤) مدرسة إبتدائية لم يتجاوز عدد طلابها (٢٤٩٠٠)[١٩]، و(١٥) مدرسة ثانوية عدد طلابها (١٨٦٣) طالباً[٢٠]، ولم يزد مجموع عدد المعلمين عن (١٣٥٠) معلماً[٢١]. وكانت حصة كُردستان من التعليم قليلة جداً، حيث لم يتجاوز عدد المدارس الإبتدائية في كافة انحاء كُردستان (٤١) مدرسة منها (١٣) مدرسة للتركمان[٢٢] وهم اقلية ضئيلة جداً اذا ما قورنت بالشعب الكُردي – الذي يشكّل أكثر من ربع مجموع سكان العراق. ونفس الشيء ينطبق على مستوى الصحة العام، فإضافةً الى ندرة وقلة المستشفيات والصيدليات والاطباء والمرضات، فقد كانت مجملها تقريباً يتركز في المدن الرئيسية، خاصة في بغداد. ويكفي القول أنه في ١٩٣١ كان مجموع الأطباء في العراق لايتعدى (٨٢) طبيباً[٢٣] وكان هذا العدد من الاطباء مخصصاً لما يصل من السكان الى أربعة ملايين نسمة. وليس هناك حاجة للقول بأن الريف

(١٨) H. Foster, The making of Modern Iraq, London, 1936. P259
(١٩) Ibit, p. 258
(٢٠) Special Report, 1931, p. 232
(٢١) Foster, P.259
(٢٢) عبدالرزاق الهلالي، معجم العراق الحديث، ج١، ص٢٨٦.
(٢٣) Special Report, 1931,P.230.

العراقي لم يسمع بالخدمات الطبية.

إن وضعاً متدهوراً بهذا الشكل كان كفيلاً بزيادة إستياء الشعب العراقي الذي عزز في تلك الفترة نضاله ومعاداته للنظام القائم. وزادت مقاومة الشعب للسلطة بسبب من وحشية السلطة وإرهابها، حيث مارست إرهاباً دموياً على الشعب العراقي لدرجة كانت فيها المكالمات التلفونية خاضعة للرقابة الشديدة[٢٤]. وهكذا إجتمعت عوامل الاضطهاد القومي والاجتماعي في كُردستان لدرجة حرمان الشعب من استخدام لغته الكُردية في تعليم اطفاله. وهذا الوضع دفع الحركة الوطنية الكُردية وزاد من ثورتها وقابليتها على الإشتعال، حتى لقد شبّه أحدهم كُردستان في هذه الفترة بأنها برميل من البارود ينتظر عود ثقاب لينفجر[٢٥].

ونظراً لأن منطقة السليمانية التي كانت قلب الحركة الوطنية الكُردية صارت أكثر هدوءً من السابق بسبب فشل ثوراتها وآخرها ثورة الشيخ محمود في ١٩٣٠، ونظراً لأن ماضي بارزان حافل بالنضال أيضاً، فقد بدأت تتحول شيئاً فشيئاً الى مركز إنطلاق للحركة التحررية الكُردية، وشرعت تحتل المركز الذي إحتلته السليمانية في السابق. وليس هذا وحده بل يمكننا القول بأن بارزان تحولت لقربها من كُردستان تركيا الى مركز إتصال بالقوى الثورية الكُردية في كُردستان تركيا وحلقة وصل لربط نضال الشعب الكُردي هناك مع كُردستان العراق. ولهذا أصبحت محور تجمع عدد من الوطنيين الكُرد من كُردستان تركيا ما أثار مخاوف السلطات التركية، خاصة وأن الشعب الكُردي في هذه الفترة كان يستعد لخوض نضال ثوري مسلح ضد السلطات التركية. فالإستعدادات التي كانت تجري في بارزان أرعبت السلطات التركية من أن تسبب لها مضاعفات ومشاكل، ولهذا مارست ضغوطاً دبلوماسية كبيرة على الحكومة العراقية لضرب بارزان وطرد الوطنيين الكُرد منها. فقد أعلن رئيس الوزراء العراقي أمام مجلس النواب فيما بعد، أي في ٢٢ مايس ١٩٣٢، هذه الحقيقة بقوله إن السلطات التركية طلبت من العراق ابعاد كرد كُردستان تركيا الذين إلتجأوا الى بارزان وتسليمهم إليها[٢٦].

لقد كان كل من الحكومتين على ثقة بأنّ شيوخ بارزان سيرفضون إعادتهم، وهو ما حصل بالفعل. وحاولت السلطات الإنكليزية بموافقة الحكومة العراقية القيام

(٢٤) الحسني. تأريخ الوزارت العراقية، ص٣٠٠.
(٢٥) شخريني، خبات، العدد ٢٩٨، ٢٨ آب ١٩٦٠.
(٢٦) جريدة العالم العربي. العدد ٢٥١٣، ٢٤ أيار ١٩٣٢.

بعمليات مشتركة للهجوم على بارزان في ١٩٣٠، لكن حال دون ذلك إندلاع ثورة الشيخ محمود، فإضطرت لتركيز قوتها في السليمانية لإخماد تلك الثورة. وعندما تم لها ذلك تحولت نحو بارزان وصار الهجوم عليها أمراً مفروغاً منه، وذلك في خطة عامة مدروسة تهدف الى ضرب الحركة الوطنية الكُردية في جميع أنحاء كُردستان العراق. وحتى السلطات العراقية نفسها لم تُخفِ هذا الأمر والإستعدادات للحركة القادمة ضد بارزان. فقد دعى الملك فيصل الأول الى تقوية الجيش وإكمال إستعداداته للهجوم على بارزان في ربيع ١٩٣١[٢٧].

كان بإمكان البارزانيين توجيه الضربة قبل ان تكمل الحكومة إستعدادتها، وذلك بالاشتراك في ثورة الشيخ محمود والقيام بإنتفاضة وفتح جبهة ثانية أمام قوات الحكومة قبل أن يتم القضاء على ثورة الشيخ محمود. ومن الضروري هنا الإشارة الى أن قوة البارزانيين كانت قد ضعفت بسبب الهجمات ومعاركهم المستمرة مع السلطات لدرجة لم يكن بامكانهم القيام بالإنتفاضة في الوقت الذي شملت ثورة الشيخ محمود كل منطقة السليمانية وبعض مناطق كركوك. ولكن الحكمة وبعد النظر كانا يوجبان على البارزانيين، بغضّ النظر عن عدم إستعدادهم وضعف، مهما كان شديداً، الإشتراك في ثورة الشيخ محمود. ولو أن ذلك كان قد حدث حينها لكان من الممكن أن يتغير تأريخ العراق الحديث ولتغيّر مصير الشعب الكُردي. ولكن ذلك لم يحدث، فأدت تلك الفجوة الى تشتت النضال الكُردي المسلح، مما سهّل بالتالي على السلطات القضاء على الإنتفاضتين تباعاً.

إن السلطات العراقية والإستعمار البريطاني كانا على علم بالوضع السيء والحرمان الفضيع الذي يعيشه الشعب الكُردي، وكانا على ثقة أيضاً من دوافع إنتفاضة الشعب الكُردي وبأن ثورته لن تنتهي مادام هذا الوضع مستمراً. وقد تأكدا من أن غيوم إنتفاضة كُردية جديدة تتجمع في بارزان، ولهذا شرعوا منذ ١٩٢٧ بحملة دعائية واسعة النطاق في الداخل والخارج ضد بارزان بهدف تبرير حملاتهم العسكرية ولإضفاء مسحة من الشرعية عليها من جهة. كما سعوا من أجل تأليب الشعب الكُردي على بارزان وشقّ صفوفه! وإستمرت تلك الحملة على بارزان بنشر الدعايات ضدها حتى بعد القضاء على إنتفاضتها. فعلى سبيل المثال عندما ذهبت بعثة انكليزية لوضع تقرير عن العراق ولمعرفة وضع الكُرد في ١٩٢٧، في الوقت الذي اشتدت فيه محاولات إنكلترا لإسكان الآثوريين وحثّ السلطات العراقية لشنّ

(٢٧) عبدالرزاق الحسني، تأريخ العراق السياسي، المقدمة.

هجوم عام على بارزان، كتبت تلك اللجنة في تقريرها عن بارزان ما يلي:

«لقد ظهرت حادثة اظهرت العقلية العجيبة للشيخ والعقلية البدائية لعشيرته، فقد أعلن ملا المنطقة ملا عبدالرحمن، الذي كان في خدمة الشيخ، فجأة بأن الشيخ هو الرب وأنه نبيّه. وكان هذا الملا يطوف بالقرى المجاورة مبشراً بعقيدته الجديدة ولقد آمن الكثير من الناس بالرب الجديد ونبيه وأدخلوا إسميهما في صلواتهم. وفي اول ايلول، عندما كان الملا عبدالرحمن يطوف بالقرى، طلب من مؤذن مسجد إحدى القرى تغيير إسم الله ومحمد بإسم الشيخ أحمد وملا عبدالرحمن وذكرهم في الصلاة من منارة المسجد لكن المؤذن رفض أن يقوم بذلك ونتيجة لرفضه حدث عراك قُتل فيه الملا عبدالرحمن مع آخرين ولم تستطع السلطات البريطانية التدخل في النزاع خوفاً من سفك دماء أكثر، وماتت العقيدة الجديدة بموت صاحبها. وعند حلول الشتاء إختفى الشيخ احمد عن أعين السلطات الحكومية وجبروت موظفيها ومن الممكن ان يكون الى الآن مؤمناً بألوهيته[٢٨]».

وعندما بدأت الإنتفاضة وتدخلت إنكلترا بقوتها الجوية أعادت هذه القصة الخرافية الى الاذهان وصارت هذه الأسطورة غير المعقولة وغيرها مسند الكثير من المؤلفين الإنكليز للتقليل من أهمية إنتفاضة بارزان سعياً وراء إخفاء دور الإستعمار البريطاني المشين وحجب الأهداف الوطنية للإنتفاضة ودوافعها القومية والإقتصادية. إذ يقول لونكريك مثلاً أن:

«الشيخ احمد قرر أن يتحول الى الدين المسيحي وطلب من دراويشه أكل لحم الخنزير، غير أن الزعماء الروحيين الآخرين من المتمسكين بالدين هاجموا الشيخ فإضطرت الحكومة الى التدخل أخيراً»

ويعيد إدموندز الدعايات على نحو آخر فيقول:

«أعلن الشيخ احمد نهاية الدين ونهاية العالم وأن ظهور المهدي قد حان، فأدى ذلك الى نشوب قتال بينه وبقية الرؤساء النقشبنديين المنافسين الذين يحترمون الدين إحتراماً كبيراً[٢٩]».

إن هذا التناقض الواضح في سرد هذه الأسطورة دليل على سطحيتها وبطلانها،

(٢٨) Report by his majesty's government of Britain to the council of the leaque of nations on the. administration of lraq for the year 1927. London 1928, P.28.

(٢٩) Longrigg. lraq 1900- 19050.L1953.P.195

وأنّه لا يُقصد من ورائها سوى تبرير تدخل بريطانيا بذلك الشكل الوحشي. من المعلوم ان وجود منارة في قرية كُردية شيء نادر جداً إن لم يكن مستحيلاً وهذا دليل قاطع على كون الخبر مدسوساً. أما هروب الشيخ أحمد وإختفاؤه فهو نتيجة معقولة لخوفه من فرض ضرائب جديدة وعقوبات اشد قساوة، وهي أشياء كانت دائماً تأتي مع الموظفين الرسميين للحكومة. وفي الحقيقة كان هذا الظلم الاداري سبباً قوياً لإندلاع الإنتفاضة. وخير دليل لإظهار كذب هذه الاسطورة هو تقرير متصرف الموصل الذي ارسلته الحكومة خصيصاً للتحقيق في هذه الإشاعة عن بارزان وشيوخها. فقد نفى المتصرف في تقريره وجود أي شيء من هذا القبيل وأعلن صراحةً تمسك البارزانيين بالدين وإحترامهم الفائق له. والغريب في الأمر أن المتصرف تعرض لنقمة السلطات والإنكليز معاً بعد تقريره الصادق، حيث أُبعد حالاً من الموصل[٣٠]. كما لم تنطلِ الأسطورة على الشعب الإنكليزي أيضاً، البعيد عن موطن الإنتفاضة والمعتمد على ما تذيعه السلطات البريطانية في جرائدها من معلومات واخبار مشوهة. نقول حتى إن الشعب الإنكليزي لم يستطع تصديق الإساءات والتهم بهذه الدرجة من السطحية، ففي مجلس العموم البريطاني طلب أحد النواب من وزير المستعمرات الإنكليزي بعض المعلومات عن تحركات بارزان. وعندما شرح وزير المستعمرات محاولة الشيخ أحمد فرض دينٍ جديد على الناس مما أجبر السلطات الإنكليزية على التدخل، ضجّت القاعة بالضحك[٣١].

إن القضية كانت أبعد من الدين ومن هذه التفاهات الاسطورية، كانت قضية نزعة الشعب الكُردي الى الحرية والتخلص من الإستعمار والحكم الرجعي، والتمتع بحقوقه القومية. فقد صرح الشيخ أحمد البارزاني اثناء إندلاع الإنتفاضة لأحد المشتركين الكبار معه:

«يجب أن لاتكون إنكلترا سيدة على كُردستان[٣٢]».

إن الخوف من هذه العقلية المعادية للإستعمار ومطالبة الثوار بالحكم الذاتي لكُردستان ورفض الهيمنة الإنكليزية، في الوقت الذي كانت فيه الشركات البريطانية مستمرة في حفر آبار النفط في كُردستان، تحول الى دافع لهذه الحملة من التشويهات وكذلك الدافع الى قيام إنكلترا ببناء قاعدتين جويتين ١٩٣٠ في سهل

(٣٠) Edmonds. Kurds and the revolution. Middle east.

(٣١) The Times, April 7.1932

(٣٢) مخطوطة قەناتی کوردۆئیف، البارزانيون وإنتفاضاتهم، مذكرات.

ديانه الستراتيجي[٣٣] واستخدامه ليس لقصف بارزان (١٩٣٢) وكل قراها ومزارعها وإبادة سكانها فحسب، بل لتهديد الحركة التحررية الكُردية المعادية لها وإستخدامها ضدها أيضاً.

كانت أولى تحرشات الحكومة غير المباشرة طلبها تعداد مواشي البارزانيين دون أن تطلب ذلك في المناطق الأخرى، وكان ذلك يعني المزيد والمزيد الضرائب وفي نفس الوقت طلبت السماح لها ببناء مخافر للشرطة في مناطق بارزان، الأمر الذي يعني ضمناً التدخل الفظّ في شؤون السكان، وتلقي الرشاوى، وتجنيد شبابهم تحت مختلف الأعذار. وكل ذلك كان يعني تقييد بارزان امام أعدائها التقليديين من العشائر المحيطة بهم. وأخيراً طلبت الحكومة تجريد المنطقة من السلاح، ويعني ذلك بقاء البازرانيين دون وسيلة دفاع في وجه الطامعين ببارزان من الاقطاعيين المجاورين لهم.

أخيراً وجدت الحكومة أن خير وسيلة لخلق المبررات لتدخلها هو دفع العشائر لمهاجمة بارزان. ولهذا حرّضت العشائر المجاورة لهم وخاصة (رشيد لولان) الرئيس الديني المعروف والمنافس للبارزانيين وزودته بالمال والسلاح. وعندما إضطرت قوات بارزان للدفاع عن نفسها وهزمت القوات المهاجمة شرّ هزيمة تدخلت القوات الحكومية لا لحسم النزاع، بل للقضاء على بارزان بدعوى وجود إنحراف ديني فيها. ومنذ تشرين الثاني ١٩٣١ بدأت تحرشات الحكومة وتدخلاتها المكشوفة، ومنذ هذا الشهر اندلعت الإنتفاضة بشكلها المسلح.

لقد قامت قوات الحكومة في منطقة (بله) بهجوم على بارزان وأرفقت بهذه الحملة التي اصابها الفشل الذريع بيانا أذاعته على الشعب كررت فيه قيامها بالحركات حيث جاء فيه:

«نظرا للهجوم الذي قام به شيخ أحمد مع أتباعه على بعض القرى المجاورة وقيامه بقتل الناس ونهب أموالهم، قررت الحكومة تأديبه بإرسال الفوج المرابط في بله للهجوم عليه. وفي ٩ تشرين إصطدمت القوتان وكانت النتيجة قتل (١٣) جندياً وضابطاً وجرح (٩) آخرين ومن قوات الشيخ أحمد قتل (٢٠) وجرح (٣٠). إن الحكومة عازمة على إعادة الأمن الى هذه المنطقة[٣٤]».

(٣٣) محمد البريفكاني، حقائق تأريخية عن القضية البارزانية، بغداد١٩٥٧، ص١٤.
(٣٤) سنجاري. ص١٦٦.

والواقع ان عدد القتلى من البارزانيين كان شخصاً واحداً فقط وليس (٢٠) وأن القوة الحكومية هذه اصابها الفشل ولم يكن بإمكان الجيش العراقي، خاصة بعد ما أصابه من خسائر منذ ثورة الشيخ محمود، مواجهة هذه الثورة الكُردية الجديدة وكان من الواضح انه ليس بإستطاعة الحكومة مطلقاً حسم الموقف. ولذ فإن تطور المعارك والموقف والرغبة في الثأر والإستياء البالغ لدى الشعب الكُردي للعمليات العسكرية ضد بارزان، وإستعداده لمشاركته ومساعدته مادياً ومعنوياً أوجد موقفاً خطيراً ودقيقاً بالنسبة للسلطات.

لهذا رأى الإستعمار البريطاني ضرورة التدخل فقامت قواته الجوية منذ ٢٦ نيسان ١٩٣٢ بقصف شديد على مناطق بارزان. ولم يحسم القصف الموقف أيضاً ولم يعطِ نتيجة مرضية للسلطات. فالقوات العراقية التي أملّت من وراء مساندة القوات الجوية الملكية البريطانية لها إحراز نصر سريع، لذا قامت بهجوم شديد على مناطق بارزان، غير أن هذه القوة قد حوصرت من قبل الثوار وكادت أن تفنى عن بكرة أبيها لولا تدخل القوات الجوية ومساندتها المباشرة[٣٥] لها كما يعترف لونگريك ولهذا إستمرت في قصف مناطق بارزان بقوة أكثر وعلى نطاق اوسع حتى نهاية حزيران ١٩٣٢، حيث خصصت قاعدتيها الجويتيْن في سهل ديانه لهذا الغرض فقط. وكانت ترمي من وراء قصفها الوحشي احراز النصر السريع في القضاء على بارزان بالسرعة الممكنة ومن دون حدوث مضاعفات ومشاكل للعراق تشوه سمعته وتحول دون قبوله في عصبة الأمم. ولهذا حاولت إخفاء جريمتها وكذلك إنتفاضة بارزان عن الرأي العام العالمي وعن عصبة الأمم، ولهذا الغرض، كما يقول نهر:

«حاولت القضاء على هذه الحركات بقوة النار وجعلت من قوتها الجوية قوة بوليسية[٣٦]».

غير ان مقاومة بارزان، واستمرارها في النضال، رغم كل الصعوبات، ادت اخيرا الى وصول أنباء هذه المجازر الى اسماع شعوب العالم والشعب البريطاني بالذات، ففي مجلس العموم وجه احد النواب استفساراً عن حقيقة تدخل إنگلترا وقتل الكُرد، فاضطرت الحكومة البريطانية للاعتراف بالامر الواقع المشين وبواقع مساعدة القوة الجوية الملكية البريطانية للقوات العراقية في مهاجمة ثوار بارزان[٣٧].

(٣٥) Longrigg.P.6.
(٣٦) جواهر لال نهرو، لمحات عن تأريخ العالم، بيروت ١٩٥٧، ص٣٣٦.
(٣٧) ميريسكي، ص٧٩، (بالروسية).

وبقدر ما كانت قوات السلطات قاسية ووحشية فإن البارزانيين قد عطفوا على طيار بريطاني أسير الذي جاء يقصف اطفالهم ونسائهم، وعاملوه معاملة انسانية وطلبوا له الطبيب من المعسكر الإنكليزي وذلك بعدما أسقطوا طائرته. إن شعوراً انسانياً كهذا هو طابع كل من يحمل السلاح من اجل قضية وطنية عادلة وانسانية، وحتى امام القصف الجوي الشديد الذي جعل مناطق بارزان مرة اخرى ساحة لتدريب القوات الجوية البريطانية.

إن الإنتفاضة إستمرت في سيرها واضطرت إنكلترا الى استعمال القنابل الموقوتة التي ألحقت أضراراً بليغة بالسكان الآمنين والمواشي. فالثائر البارزاني كان يضطر في النهار للإلتجاء الى الكهوف، ويستغل الليل للرجوع الى قريته والتزود بالمؤن. فكانت البيوت تنفجر على غير إنتظار، ولهذا اضطرت القوات البارزانية وعائلاتهم للإلتجاء ليلاً ونهاراً الى الكهوف والعيش على ثمار الأشجار والأعشاب. إن ويلسن الذي كان حاكماً بريطانياً في العراق في سنوات مابعد الحرب العظمى يعطينا صورة حقيقية لتأثير هذه القنابل بلهجة فيها السرور والفخر الذي يعكس العقلية الإستعمارية فهو يقول:

«إنه لمما يبعث السرور للغاية ان نعلم انه بالإستطاعة إبادة (٤٠) قرية بخسائر غاية في القلّة، خاصة وان القنابل الموقوتة حالت دون رجوع السكان الى دورهم، وحتى بعد شهر كانت هذه القنابل تنفجر وتقتل وتبيد السكان[٣٨].»

لقد إستطاع البارزانيون لمدة من الزمن الحصول على بعض المساعدات من بقية انحاء كُردستان تركيا، إلاّ أن نجاح القوات العراقية في تطويق بارزان أدى الى قطع تلك المساعدة. أما تركيا من جهتها فقد قامت بتنفيذ طلب إنكلترا وسارعت في غلق حدودها خوفاً من إمتداد لهيب الثورة الى اراضي كُردستان تركيا، بل وأكثر من ذلك كانت تقوم من حين لآخر بمذبحة كلما اضطرت جماعات من البارزانيين لعبور الحدود تحت ضغط القصف الشديد. ففي احدى المرات إلتجأت جماعة كبيرة من البارزانيين الى تركيا فما كان من السلطات التركية إلاّ وأنْ ألقت القبض عليهم وأعدمتهم جميعاً في الحال بدون محاكمة بدعوى كونهم مطلوبين بتهم إرتكبوها قبل ١٨ سنة عندما كانت المنطقة تابعة لإدارة تركيا[٣٩].

(٣٨) خصباك. ص٣٩.
(٣٩) يوسف ملك، كُردستان. او بلاد الكُرد، بيروت ١٩٤٥، ص ١٤.

أمام هذه القسوة، لم يتحرك ضمير العالم المتمدن ولم يوجه لوماً او نقداً للسلطات العراقية والإنكليزية، وإنّ وثوق إنكلترا والسلطات العراقية من ذلك كان السبب في أنها اطلقت يديها في الحرق والتدمير والإبادة. يقول ويلسن:

«إن وضع الاقليات في العراق يختلف عن غيرها نظراً لعدم وجود عضو أو ممثل في عصبة الأمم يوصل أصواتهم الى جنيف.»

وإضطر الزعماء البارزانيون أخيراً الى ترك موطنهم والإلتجاء الى تركيا رسمياً فعبروا الحدود. وقبلتهم تركيا كلاجئين سياسيين لأغراض سياسية وارسلتهم الى أدنه، وبلجوء الشيخ أحمد وعدد من أتباعه الى تركيا إنتهت إنتفاضة بارزان ١٩٣١-١٩٣٢ مؤقتاً. لقد تم للإستعمار البريطاني والسلطة العراقية الرجعية العميلة القضاء على الإنتفاضة لمدة من الزمن، غير أن أهدافهم لم تنجح وفشلت خططهم في إسكان الآثوريين. ولم يفلحوا في القضاء على الشعور القومي والنزعة الثورية التي زادت إنتفاضة بارزان من شدتها، كما لم يتحقق لهم مطلقاً فرض الهدوء في هذه المنطقة، لأن الأعمال الحكومية الإنتقامية بحق السكان كانت تدفعهم كثيراً الى حمل السلاح مرة أخرى، فإضافة الى ترك مناطق بارزان بعد الإنتفاضة خراباً محروقاً، حيث احرقت وخرّبت في مناطق شيروان ومزوري وبادوش ما يقرب من (١٣٦٥) بيتاً وهذا العدد يساوي ٦٠٪ من مجموع بيوت هذه المناطق الثلاث[٤٠].

نقول، إضافة الى هذا، إنّ القوات الحكومية والعشائر الموالية لها، زادت من التخريب ومن حرق المزروعات وإعتدت عليهم بشكل ينافي الضمير، ونهبت ما بقي من المواد والمواشي، واهانت كرامات السكان وقامت السلطات كذلك بزجّ عدد كبير منهم في السجون وأعلنت الاحكام العرفية وحكم على عدد منهم بالاعدام، ووجد الإقطاعيون خير فرصة لتقسيم مناطق بارزان فيما بينهم. إن كل هذا زاد وشدد من كراهية واستياء سكان منطقة بارزان مما قدم خير فرصة لإندلاع إنتفاضة أخرى، أو بالأحرى إستمرار الإنتفاضة، حيث قام خليل خوشوي واولو بگ خال الشيخ أحمد مع عدد من أتباعهم بالمقاومة المسلحة والهجوم على القوات العراقية، وإن تقاطر المسلحين وافراد المقاومة للإلتحاق بخوشوي على الرغم من فشل انتفاضتهم والتي حدثت قبل مدة في منطقتهم، كان دليلاً على الإرهاب الأسود الذي فرضته قوات الحكومة، وعلى الوضع السيء والمزري للبارزانيين. هذه الأوضاع التي كانت تغذي على الدوام كل مقاومة مسلحة مهما كانت ضعيفة لتتحول الى إنتفاضة

(٤٠) Rambout, P.64.

واسعة. وعلى الرغم من الدعاية الحكومية التي كانت ترمي الى زرع روح اليأس والإنهزام في صفوف الكُرد، وخاصة البارزانيين، كإستمرارهم في ترديد القول بأن الشيخ على وشك الإستسلام للسلطات العراقية والرجوع الى العراق[٤١].

ورغم الإرهاب الدموي، فان المعنويات إستمرت في الصعود وزاد عدد الملتحقين بخوشوي ليصل عددهم في مدة قصيرة الى (٤٠٠) مسلح، وهو عدد كبير بالنسبة الى منطقة جبلية وعرة كبارزان وبعد إنتهاء الإنتفاضة الفاشلة التي قتل فيها عدد كبير من السكان، كما تعرض عدد أكبر للنفي والسجن، مارست قوات خليل خوشوي حرب العصابات وألحقت أضراراً فادحة بقوات الحكومة وألقت الرعب في قلوبها. وإن إزدياد عدد قواته، وعدد مرات تعرضه للجيش الحكومي، قد أدى الى تحجيم كبير نسبياً لإرهابها الذي مارسته في أول ايام إحتلالها لبارزان وفي بداية إنتفاضة خوشوي. كما أن هذه الإنتفاضة قضت نهائياً على حلم السلطات الإنكليزية في إسكان الآثوريين. ففي هذه السنة بالذات ١٩٣٣، قامت الحكومة بنفسها بضرب الآثوريين والإنتهاء منهم كقضية في العراق إضافة لهذا فإن إنتفاضة خوشوي هيأت الظروف اللازمة لإيقاض الجنوب العربي.

فالحكومة العراقية التي صارت عمالتها للإستعمار اقوى من السابق واصبحت تهتم بالإقطاعية والرجعية المحلية سارعت بدرجة أوسع من السابق لتحقيق مصالح هذه الطبقة في العراق وتقوية مركزهم في كُردستان وكذلك في جنوب العراق. ومن جهة اخرى فإن الإنتفاضات الكُردية المتلاحقة أضعفت الحكومة عسكرياً وجعلتها تخصص إعتمادات كبيرة للجيش والشرطة من أجل القضاء على الحركة الوطنية الكُردية ولأجل فرض نظام إرهابي في عامة العراق يحرم المواطن العراقي من كل حقوقه الإنسانية والديمقراطية. ففي السنوات ١٩٣٤– ١٩٣٥ وبينما كانت إنتفاضة خوشوي على أشدها خصصت الحكومة ٢٢٪ من الميزانية للجيش و١٥٪ للشرطة وقللت كالعادة من ميزانية الخدمات الإجتماعية والثقافية فلم تخصص للتعليم والصحة معاً أكثر من ٨,٨٪[٤٢] في الميزانية.

إن نية الحكومة في فرض نظام رجعي على العراق وتقوية الإقطاع وما حصل من أحداث وإنتقام من أبناء الإنتفاضة الكُردية، كان سبباً مباشراً لقيام الفلاح العربي في الجنوب سنة ١٩٣٥ بأقوى وأوسع واخطر إنتفاضة له، ومما زاد في خطورة هذه

(٤١) كوردوئيف، المخطوطة.
(٤٢) يوسف ملك. ص١٤.

الإنتفاضة إشتراك أهل المدن من العمال والفقراء فيها على أمل إنتصارها وتحقيق مطالب الشعب الديمقراطية التي داست عليها السلطة. كان هذا في الواقع دليلاً على مقدار إستياء الشعب العراقي بعربه وكُرده من السلطة الملكية الرجعية. وأمام خطر توسع الإنتفاضة التي إستمرت حتى ١٩٣٦، إضطرت السلطات الى مفاتحة تركيا لتوحيد الجهود رسمياً وتوجيهها للقضاء عليها بصورة مشتركة. وقامت القوات العراقية والتركية بمساعدة فعالة من القوة الجوية الملكية البريطانية بمحاربة قوات خوشوي، وإستطاعت بعد شهور ومعارك كثيرة محاصرتها في ١٣ آذار ١٩٣٦ وقتل خوشوي نفسه في هذا الحصار، وبمقتله بدأت الإنتفاضة تتلاشى بالتدريج. لقد كان تعاون تركيا والعراق الرسمي بداية لتعاون أوسع بينهما لتوحيد الجهود ضد الحركة الكُردية بعد سنة من هذا التاريخ في ١٩٣٧، وأُبرمت معاهدة سعد آباد المشؤومة بين تركيا وإيران والعراق وافغانستان، وكان الغرض منها كما جاء في أحد بنودها توحيد جهود الأطراف المقتسمة لكُردستان في مواجهة كل حركة كُردية تظهر في أحد هذه الاطرف.

من خلال بحث أسباب فشل هذه الإنتفاضات تبرز لنا صورة عن الأوضاع في كُردستان خاصة والعراق عامة، وعن قواها الوطنية والثورية التي كانت اسباباً رئيسية لفشل هذه الإنتفاضات. فالى جانب العامل العسكري ساعدت الظروف الموضوعية في العراق بدورها في فشل هذه الإنتفاضات. إن معظم المصادر وحتى المتحيز منها يؤكد على أن الجيش العراقي لم يكن من القوة بحيث يؤهله للقضاء على الحركة ولو جزئياً. فالعامل الحاسم، إضافة الى مساعدات الدول المجاورة كتركيا، كان بصورة خاصة القوة الجوية الملكية البريطانية التي والى جانب تأثيرها كما يقول ميرسكي على نتائج المعارك، انقذت القوات الحكومية من الفناء المحتوم[٤٣]. وحتى المصادر الإنكليزية الرسمية إعترفت بضعف الجيش العراقي وعدم مقدرته على مواجهة الثورات الكُردية. إن هذا الإعتراف وإنْ استخدم دائماً كتبرير لتدخل قوات بريطانيا، إلاّ أنه اعتراف يدلّ على الواقع. فالسير هنري دوبس يقول بأن:

« الجيش العراقي لايستطيع القيام بالعمليات الحربية في الجبال والحكومة العراقية ليست لديها القوة التي تساعدها على مقاومة أي هجوم تقوم به جماعة من الكُرد[٤٤]»

(٤٣) ميرسكي، ص ٧٩.
(٤٤) يوسف ملك، ص١٤.

أما فيما يتعلق بالعوامل الموضوعية من عربية وكُردية فيمكن تلخيصها بما يلي:
إن المجتمع العربي في جنوب العراق حيث تشكل طبقة الفلاحين الأكثرية الساحقة التي تعيش في ظروف قاسية وتعاني اضطهاداً طبقياً، هذه الطبقة لم تكن في تلك الفترة منظمة فالأحزاب الوطنية في العراق الجنوبي كان لمعظمها ان لم نقل كلها تأثير بدرجات مختلفة على الفلاحين وكان قادة الأحزاب من رؤساء العشائر والمرتبطين بهم أو من عائلات كبار الملاكين. وبهذا كان كل ما أدوه للفلاح وللحركة الوطنية هو تقوية نفوذهم الإقطاعي والإثراء على حسابهم مما زاد في تأخر وعي هذه الطبقة وسطحية شعورها بالمصالح الوطنية. وحداثة الحزب الشيوعي الذي لم يكن حينها وحتى عام ١٩٣٤ يتعدى بضع جماعات ماركسية متفرقة. ولهذا بقيت هذه الطبقة جاهلة تمام الجهل بالقضية الكُردية ولم تستطع مد يد المساعدة إليها والى ثورات الشعب الكُردي والبارزانية منها بالأخص وأكثر من ذلك لم تستطع بسبب إفتقارها للقيادة المخلصة والواعية والمجربة تنظيم إنتفاضة ١٩٣٥ ووصلها بحركات بارزان في فترة إنتفاضة خوشوي.

إن انعدام العلاقات والتجارب ساعد العدو المشترك، الإستعمار والرجعية المحلية، على إستغلال هذه الهوة وضرب الإنتفاضات الواحدة تلو الأخرى، إن الطبقة البُرجوازية العراقية، خاصة الصناعية منها، كانت ضعيفة للغاية. وكذلك البُرجوازية التجارية رغم كونها أكثر نمواً إلاّ أنهما معاً لم ينظرا بعين العطف الى المسألة الكُردية حيث كانت تخيفهما وتزعجهما. إن البُرجوازية العربية كانت مخدوعة الى حدّ بعيد لا بمصالحها الطبقية فقط بل وبأكاذيب ودعايات الإستعمار الى حد بعيد ومرتبطة بالعراق قسراً حتى لو كان هذا الإرتباط الجبري يؤدي الى التعاون مع الإستعمار، وفي هذا المجال تلاقت وجهات نظرها مع وجهات نظر الطبقة الإقطاعية الحاكمة التي يعبر (ليڤين) عنها بقوله:

«لم تكن تعتقد بإمكانية سيطرة العراق على الكُرد دون مساعدة الإنگليز[٤٥]»

وهذه الطبقة، خاصة التجارية منها تعتبر كُردستان سوقاً رابحة لها، ولهذا كانت كل حركة كُردية تحدث عندها رد فعل قوي خوفاً منها على فقدان هذا السوق بالإنفعال أو عن طريق تقوية البُرجوازية الكُردية في حالة حصول الشعب الكُردي على الحكم الذاتي. إن هذا الاعتقاد الخاطيء أعطى نتائج خطرة على الطرفين، أي

(٤٥) ليڤين، ص١١١ (بالروسية).

الشعبين الكُردي والعربي معاً، ونتيجة هذا الإعتقاد كان إندفاع هذه الطبقة في المساومة مع الإستعمار، متنازلة بذلك عن الكثير من مصالحها وعن المصالح الوطنية العليا. قادهم هذا الإعتقاد الى الإيمان بأن كل حركة كُردية هي إنفصالية ويضيع العراق بفقدانه أكثر المناطق غنىً وستراتيجية. ولقد قدم هذا الإعتقاد الذى روجه الإستعمار البريطاني خير فرصة له لإستغلال القضية الكُردية والتلويح بها كسلاح تهديد في وجه هذه الطبقة كلما نزعت الى التمرد عليه وحاولت فرض إرادتها عليه. ولهذا كله مالت البُرجوازية العربية الى اليمين وألحقت بذلك ضرراً بليغاً بالقضية المشتركة والقضية الوطنية وقللت من جماهيريتها، وبالتالي أخّرت حصولها على السلطة مدة طويلة الى سنة ١٩٥٨، حيث كانت الطبقة العاملة تنمو ببطء.

فالحيلولة دون تطور العراق صناعياً كان يعرقل تطورها في جميع المجالات، ومع ذلك فقد دخلت مرحلة تنظيم نفسها وحاولت دخول الساحة السياسية غير أنّ هدفها كان تحسين ظروفها المعيشية ولم تكن لها علاقة مطلقا بالحركات الكُردية، لذا بقيت هذه الطبقة أيضاً في هذه الفترة بعيدة عن المسرح السياسي وأحداث كُردستان.

ولم يكن المجتمع الكُردي يختلف في أساسه عن المجتمع العربي في الجنوب، إلاّ في كون البُرجوازية الكُردية أضعف وأكثر هُزالاً من مثيلتها العربية في الجنوب وأن هذه الفئة الكُردية لم تكن منظمة تنظيماً حزبياً يدافع بجدية عن مصالحها ووجودها، ناهيك عن مقدرتها في قيادة الحركة الوطنية الكُردية او مساعدتها مساعدة فعالة على الأقل. ونظراً لضعف وعيها وتنظيمها كانت مرتبطة بتجار بغداد، حيث وضعت المصلحة الطبقية في أحيان كثيرة فوق المصلحة القومية. والطبقة الإقطاعية الكُردية التي كانت تسود المجتمع الكُردي، وإذا طرحنا جانباً بعضاً من أفرادها الوطنيين الذين حافظوا بقوة على علاقاتهم العشائرية مع عشائرهم، فإن هذه الطبقة تحولت الى طبقة رجعية مساومة مع الإستعمار المعادي للحركة الوطنية الكُردية، بل وكانت عاملاً رئيسياً في القضاء عليها وذلك أثناء مساعدتها للقوات الحكومية. لقد كان موقف هذه الطبقة منطلقاً من اعتقادها الذي يحدده ميرسكي بقوله:

«رأت بأن النضال المسلح لن يؤدي الى النجاح بل سيؤدي فقط الى تهديد مصالحهم وإستغلالهم للفلاحين في كُردستان مستقبلاً[٤٦].»

ولم يكن هذا على كل حال من مصلحتهم، ولهذا لجأوا الى معاداة الحركة الوطنية الكُردية أسوة بأي عدو أجنبي غاصب لكُردستان.

(٤٦) ميرسكي، ص٨٠ (باللغة الروسية).

كذلك فإن الجمعيات والمنظمات الكُردية لعبت دورها السلبي أيضاً، حيث كانت في دوامة من الإضطرابات الفكرية وكان عددها قليلاً ولم يظهر أي منها على مسرح الحوادث ليلعب دوراً يستحق الإعتبار. إن عدم وجود حزب جماهيري كُردي يلم شمل القوى الثورية في كُردستان العراق ويقود أو يساند على الأقل بفعالية، إنتفاضات بارزان ويوسع من عمق مطاليبها وأهدافها، ويجمع على صعيد واحد الأهداف الإجتماعية والقومية معاً كان سبباً رئيسياً في فشل الإنتفاضات البارزانية.

إن حمل الفلاح الكُردي السلاح سواء بأمر الحكومة وتحريضها له مادياً أو بأمر من الإقطاعي ورئيس العشيرة ضد الحركات الكُردية لايعد دليلاً قاطعاً على قوة العلاقات العشائرية ولكن دليلاً على خلو الإنتفاضات البارزانية من شعار رئيسي لها بقدر ما هو دليل على ضعف المنظمات والجمعيات الكُردية وعدم تغلغلها في البناء التحتي للمجتمع والهيكل الأساس له، أي للفلاح.

وعدا هذه الأسباب فإن العوامل المحلية البحتة كان لها تأثير كبير في فشل هذه الإنتفاضات. فمحاصرة الإنتفاضة من كل الجهات ومنع كل مساعدة عنها والقصف الشديد وتدمير المزروعات وإبادة المواشي وضع الثوار في مواجهة خطر الجوع، فلم يستطيعوا والحالة هذه الإستمرار لمدة طويلة، خاصة وأن الذي عانى الجوع لم يكن المسلحون من الثوار فقط بل والسكان عامة. لقد قدمت الظروف الدولية عوامل مساعدة للسلطات لتوسيع نطاق عملياتها الوحشية، فالدول الأوروبية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية والأزمة الإقتصادية العالمية وبظهور الفاشية إضافة الى أن هذه الدول عدا الإتحاد السوفيتي قد وزعت عليهم مناطق النفوذ بعد الحرب حيث أغمضوا عيونهم عن نوع السياسة التي تمارسها أية واحدة منهم في منطقة نفوذها.

إن هذه الإنتفاضات من ١٩١٩–١٩٣٦ ومثيلاتها فشلت في تحقيق أهدافها الرئيسية وهي طرد الإستعمار وتحقيق الحقوق القومية للشعب الكُردي، إلاّ أنها أعطت من النتائج والدروس للحركة الوطنية الكُردية مقداراً كبيراً من الخبرة. فلقد زادت يقظة الشعب الكُردي وشحذت نضاله وحركته الوطنية وتبينت أهمية النضال المشترك الكُردي– العربي كحجر أساس للنضال ضد الإستعمار والرجعية المحلية وكشفت الإنتفاضات حقيقة الإستعمار وتستره وراء الرجعية المحلية من كُردية وعربية وعداوته للحركة التحررية الكُردية واثبتت بشكل ظاهر ضرورة وجود حزب جماهيري كُردي يقود الحركة الوطنية الكُردية، ويخلصها من القيادات العشائرية. ولقد عمّقت هذه الإنتفاضات من التناقضات بين السلطات والشعب العراقي عامة

والكُردي خاصة. وأخيراً اظهرت بأن الحركات الكُردية في المستقبل لن يُكتب لها النجاح دون حمل شعار رئيسي للفلاح تستند عليه مباشرة. ولقد حدثت القطيعة النهائية بين الشعب الكُردي والإستعمار البريطاني، فالأخير تأكد تماماً بأن الحركة الوطنية الكُردية لن تكون ألعوبة بيدها مطلقاً وهو ما أدى الى عدائه الصريحة لها، وهذا بدوره كشف عن ألاعيبه ونياته التي كان يلجأ إليها كلما أحاطت به المتاعب لغرض خداع الجماهير الكُردية.

إن حركات بارزان ١٩٣١–١٩٣٢ وإستمرارها حتى ١٩٣٦ بما حملت من أهداف قومية ومطلب الحكم الذاتي لكُردستان، ومحتوها المعادي للإستعمار وسيادته ولعميلته الحكومة العراقية، وبما أدت إليه من نتائج تعتبر إنتفاضة وطنية ثورية تقدمية في محتواها وأهدافها وهي تشكل حلقة مهمة في سلسلة الثورات الكُردية.

الفصل الرابع

بارزان من ١٩٣٦ - ١٩٤٥

لقد كانت تركيا تتوجس شراً من نية السلطات العراقية والإنكليزية إسكان الآثوريين بالقرب من حدودها، خوفاً من إستخدامهم كسلاح لتهديدها بإستمرار. ومما لاشك فيه أن تركيا حين وافقت على منح حق اللجوء لشيوخ بارزان وبعض اتباعهم في أواسط ١٩٣٢ لم تفعل ذلك بدافع إنساني أو بدافع العطف على الشعب الكُردي، بل كان لغرض إستخدامهم كسلاح مضاد لتهديد السلطات العراقية والإنكليزية. وفي ١٩٣٣ وصلت محاولة إسكان الآشوريين أقصاها، غير أن إنتفاضة خليل خوشوي ألحقت الفشل الذريع بتلك المحاولة. وفي تلك السنة بالذات تم لإنكلترا تثبيت سياستها وأقدامها في العراق، ولم تبقَ هناك حاجة للآثوريين وإستخدامهم لتهديد العراق، ولهذا تركتهم إنكلترا جانباً وتخلّت عنهم، وقامت حكومة العراق بضربهم وتشتيت شملهم بمساعدة الكُرد، وهكذا إنتهت مشكلة الآثوريين كقضية سياسية على مسرح الحوادث في العراق! وهذا من جهته أدى الى تقارب بين تركيا والعراق والقيام بمباحثات واتصالات من اجل توحيد جهود الطرفين لضرب الحركة التحررية الكُردية النامية، ونتج عن ذلك موافقة الحكومة التركية على تسليم شيوخ بارزان الى السلطات العراقية. وهكذا رجع الشيخ أحمد البارزاني مع (٨٦) من خيرة أتباعه الى العراق! فزجّت السلطات العراقية بهم في السجون في مدينة الموصل وعاملتهم معاملة غير إنسانية، ونظراً لوقوع الموصل في كُردستان وقربها من مناطق بارزان، آثرت السلطات نفيهم الى المناطق الجنوبية الحارة، وكانت تأمل من وراء ذلك قتلهم ببطء نظراً لعدم تعوّد هؤلاء على المناخ الحار. ولقد أثار وضعهم المعاشي والمعنوي الذي فرضته السلطات عليهم موجة من الإستياء العارم لدى الشعب الكُردي وتحت ضغط مطالب الشعب الكُردي إضطرت السلطات الى نقلهم الى مدينة السليمانية الكُردية، وهي في هذا النقل كانت تهدف الى تحقيق الكثير من أغراضها العدائية الخبيثة تجاه الشعب الكُردي. فقد هيأت السلطات لهم ظروفاً صعبة للغاية من معيشية ومعنوية، وخلقت جداراً بينهم وبين جماهير الشعب الكُردي في السليمانية، وكانت تهدف من وراء ذلك بث اليأس في نفوس البارزانيين وجعلهم يعتقدون بعدم جدوى النضال من أجل شعب يعجز عن مدّ يد المساعدة لهم. وبذلك

تستطيع السلطات أخيراً شراء ذممهم وإدخالهم في تبعيتها. وهكذا قامت السلطات العراقية بتطبيق هذه الخطة اذ لم تخصص للفرد الواحد منهم سوى (٣٠) فلساً[١] في اليوم ولهذا اضطر البارزانيون الى أكل الخبز اليابس فقط كما إعترف الشيخ أحمد نفسه بهذه الحقيقة[٢]. وفي نفس الوقت قامت بتأجير بعض الخونة للإعتداء عليهم وإهانتهم، وقد إستغلت السلطات هذه الفترة الصعبة الدافعة الى الشك واليأس فعلاً، فالكابتن لاين المفتش الإداري في وزارة الدخلية وجد الظرف مناسباً لزيارة الشيخ أحمد ووضع مبلغ من المال تحت وسادته[٣] كمظهر من مظاهر عطف إنكلترا عليهم.

غير أن هذه الخطة باءت بالفشل، فلم يبدُ على البارزانيين ما يشير الى انهم يشكون بشعبهم وقضيته، لأن جماهير الشعب الكُردي ومنظماته في السليمانية مدت يد المساعدة لهم بكل الطرق والأساليب، ولأن خطة الحكومة كانت مكشوفة حتى لشيوخ بارزان أنفسهم، فالشيخ احمد إعترف بقوله بأن ما يجري بحقنا من إعتداء وإهانات، وما يخصص لنا من مبالغ زهيدة هو من فعل السلطات ومتصرف السليمانية، إنهم يحولون دون مساعدة الأهالي لنا[٤]. ولقد ظهر إهتمام الشعب الكُردي في السليمانية بالبارزانيين ووضعهم السيء في المساعدة الفعالة والمباشرة التي قدمتها لهم المنظمات الكُردية وخاصة الشيخ لطيف إبن الزعيم الكُردي المعروف الشيخ محمود الحفيد، الذي هيأ كل الظروف المناسبة لتهريب مصطفى البارزاني من السليمانية الى منطقة بارزان في ١٩٤٢، هذا التهريب الذي ادى الى وصول البازراني وقيامه بإنتفاضة ١٩٤٣.

إنقلاب رشيد عالي وعلاقته بالبارزانيين سنة ١٩٤١

رغم أن حكومة العراق اعطت تأكيدات أثناء قبولها عضواً في عصبة الأمم بشأن الإعتراف ببعض حقوق الشعب الكُردي القومية كحق التكلم في المحاكم والتدريس في المراحل الابتدائية باللغة الكُردية، إلاّ ان تلك الوعود لم تكن في الواقع سوى حبر على ورق، فهي لم تكن تنوي من تلك الوعود سوى اظهار نفسها بمظهر الدولة

(١) چياووك، ص١٥٣.
(٢) .Rambout, P.27
(٣)چياووك، ص١٥٤.
(٤) چياووك، ص١٥٣.

الديمقراطية وبالتالي تمهد الطريق لنفسها للدخول الى عصبة الأمم، وفي نفس الوقت فإن السلطات العراقية بدأت بتطبيق سياسة اللاكُردية تجاه الشعب الكُردي وحقوقه القومية المشروعة، وحاولت إضفاء صبغة عربية قومية على نفسها، لا إيماناً منها بالقومية العربية وأهدافها، بل إمعاناً منها في تحفيز رد فعل الشعب الكُردي وتغذية شعوره بالنفور والعداوة تجاه الشعب العربي، وبذلك يتسنى للسلطة ومن ورائها الإستعمار الإنگليزي تطبيق سياسة (فرق تسد) وإبعاد الشعبين الكُردي والعربي عن طريق نضالهما ضد عدوهما المشترك، أي الرجعية المحلية والإستعمار.

ومما لاشك فيه ان بعض مظاهر رد الفعل ظهرت لدى الشعب الكُردي، وزادت نسبة رد الفعل هذا في سنوات ما قبل ١٩٤١، أي قبل تسلم رشيد عالي وزمرته القومية المتعصبة زمام الحكم. فقبل هذه السنة بمدة، ظهرت بوادر التعصب القومي الشديد في مختلف مراكز السلطة الإدارية وخاصة في الجيش.

لقد أدى التعصب القومي لدى هؤلاء الى الحقد على الشعب الكُردي، وإتباع سياسة إضطهادية تجاهه. إن هذه السياسة من جهة، والشعور بالمرارة لدى الشعب الكُردي نتيجة فشل ثوراته المستمرة من جهة أخرى، قد ولدا عنده شعوراً بعدم الرضا والحقد الشديدين نحو السلطات العراقية، وزاد من تمسكه بوطنه وقوميته. يقول لونگريك في هذا الصدد:

«إن الشعب الكُردي كان ينظر الى السلطة نظرة حقد، ولم تكن هناك قوة تحمله على التخلي عن قوميته ووطنه[٥].»

إن هذه الاساليب، وكذلك عامل نمو فئة المثقفين الكُرد النسبي، والتحولات التي شهدها المجتمع الكُردي، كلها خلقت مداً ثورياً ووعياً أكثر تنظيماً واندفاعاً في الحركة التحررية الكُردية تمخضا عن ولادة الجمعيات والمنظمات الكُردية واهمها جمعية (هيوا) التي تأسست في ١٩٣٧–١٩٣٨. وقد قامت هذه الجمعيات خاصة (هيوا) بتهيئة الظروف المناسبة لثورة كُردية في المستقبل، ومقاومة سياسة الحكومة اللاكُردية ونشر الوعي القومي في صفوف الشعب الكُردي وتنظيمه. يقول ألفيستون:

«إن الشعب الكُردي رغم عدم قيامه بإنتفاضات من ١٩٣٢ لغاية ١٩٤٣ لم يخلد للهدوء ولم يقبل الإستسلام للسلطة، وكانت هذه نتيجة طبيعية لنمو فئة المثقفين، ورد فعل طبيعي تجاه سياسة پان أرابيزم[٦].»

(٥). Longrigg

(٦) گەلاویژ ژمارە (١) سالی١، ١٩٤٨، ل٤٣-٤٤.

إن التفاف المثقفين الكُرد والجماهير الكُردية كذلك حول جمعية (هيوا) بعد تأسيسها بفترة قصيرة – حيث بلغ عدد أعضاءها (١٥٠٠) عضو– كان خير دليل على رغبة الشعب الكُردي في تنظيم نفسه والقيام بما من شأنه الحصول على ما حُرم منه من حقوق قومية مشروعة. إن يقظة الشعب الكُردي، وإشتداد حركته التحررية زادا من خوف البلدان المتقاسمة لوطنه كُردستان، فدفعهم هذا الخوف الى توحيد صفوفهم لمواجهته والقضاء على كل محاولة تبدر منه. فكانت معاهدة سعد آباد ١٩٣٧ بين تركيا وإيران والعراق، والتي اشتركت فيها افغانستان أيضاً قمة هذا التجمع الرجعي المعادي للشعب الكُردي. إذ كان هدف هذه المعاهدة كما عبرت عن ذلك جريدة فرنسية، إفناء الشعب الكُردي[٧]. فالبند السابع من هذه المعاهدة نص صراحة على توحيد جهود الأطراف المختلفة لهذه المعاهدة ضد الشعب الكُردي وكل إنتفاضة تظهر في أي جزء من كُردستان.

وبينما كانت الحركة القومية العربية في العراق بقيادة رشيد عالي وزمرته العسكرية قبل ١٩٤١ تتجه في تيارها نحو القومية التعصبية وتعكس بشكل ظاهر إنسجامها مع الأفكار النازية، فإن الحركة التحررية الكُردية كانت قد خطت خطوات واسعة في ميدان انتشال نفسها من قوقعة القومية الإنعزالية فالأفكار العنصرية الكُردية كانت أكثر تقدمية وديمقراطية في محتواها ومضمونها، وذلك بعد ان تلقت الأفكار الثورية وإستطاعت ان تحدد عدويها الرئيسيين في شخص الإستعمار والرجعية المحلية: ودعت بكل صراحة وأمانة الى توحيد جهود الشعبين الكُردي والعربي ضدهما. لقد ظهرت هذه الأفكار في كراس أصدره لفيف من المثقفين الكُرد، حيث جاء فيه:

«فلنتحد ونتضامن أكثر من السابق، فليتحد الشعبان الكُردي والعربي ويوحدا نضالهما ضد الإستعمار بمختلف اشكاله، فلنوحد نضالنا من أجل أهداف شعبينا المشتركة[٨].»

ومع أن هذه الأفكار لم تستطع أن تتحول الى منهج لجمعية كُردية، إلاّ أن ذلك لم يمنع من أن تلعب دوراً رئيسياً في انارة الطريق ودفع الحركة القومية الكُردية الى الامام، وفتح آفاق اوسع أمامها وتقديم طرق واساليب أكثر ضماناً لنجاحها.

إن افكار هذه الفئة كانت في الواقع ضربة قوية لسياسة فرق تسد الإستعمارية،

(٧) مجلة (ڕۆژی نوێ) العدد ٤، آب ١٩٦١، السليمانية.

(٨) ابراهيم أحمد، الاكراد والعرب، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٦١، ص٢٩.

التي طالما أخفت نياتها السيئة وعدوانها وراءها، ضد حركة الشعبين الكُردي والعربي معاً، وإستخدمتها على نطاق واسع في توجيه عداوتهما ضد بعضما البعض، خصوصاً أن الحركة القومية العربية كانت أضيق حدوداً في افكارها الديمقراطية واقل انجذاباً نحو النضال المشترك وأكثر اندفاعاً نحو تيار القومية المتعصبة الإنعزالية. غير أن الشعب الكُردي وحركته القومية كانا اوسع افقاً وانجذاباً نحو توسيع مجال التعاون والنضال بين الشعبين، وأكثر اندفاعاً نحو تيار القومية الديمقراطية والاممية: ولاشك أن هذا هو السبب الذي دفع بالشعب الكُردي الى إتخاذ موقف صلب وحازم تجاه الأفكار النازية والقومية الشوفينية، فلقد دعا ذلك الكراس بكل صراحة الى نبذ النازية ومحاربتها، حيث جاء فيه:

«على المثقفين الكُرد والعرب أن يحافظوا على انفسهم من الأفكار العنصرية والقومية التعصبية، وأن يركزوا جهودهم في محاربتها ومحو هذه الأفكار الهدامة التي يروج لها أعداء الشعوب[٩].»

ولهذا كان من الطبيعي ان لاتلقى الأفكار النازية قبولاً لدى الشعب الكُردي، وأن لاتجد النازية حسب تعبير شمزيني (مكاناً لها في كُردستان)[١٠]. وعلى العكس من ذلك فإن تيار القومية التعصبية، والإنجذاب نحو الأفكار النازية وجد إستجابة فعلية لدى فئة رشيد عالي والزمرة العسكرية، التي إستولت على السلطة واستحوذت عليها، وهذا بلاشك السبب في عدم ترحيب الشعب الكُردي بحكومة رشيد عالي واتخاذه موقفاً عدائياً منها.

لقد ظهرت الشوفينية العربية بشكلها الصريح في هذه الفترة، أي ١٩٤١ عندما تسلم رشيد عالي الحكم. إن تيار معاداة الإستعمار الإنكليزي ومحاربته من قبل فئة رشيد عالي لم يكن كافياً لإضفاء صفة الوطنية والديمقراطية عليها، كما لم يكن كافياً لتجريدها من افكارها النازية والعنصرية وعطفها الصريح على ألمانيا الهتلرية.

لقد كان الشعب العراقي يناهض على الدوام الإستعمار وسيادته على العراق، وحتى في فترة الحرب، فإن الشعب عرباً وكرداً لم يتوقف عن النضال من أجل المطالبة بالحقوق الأساسية للشعب وإنهاء الهيمنة الإستعمارية في البلاد. ولقد استغلت فئة رشيد عالي هذا الشعور الشعبي المناهض للإستعمار الإنكليزي، فقاومت الإستعمار الإنكليزي بالسلاح، ولقد قدم الشعب العراقي مساندته وتأييده

(٩) إبراهيم أحمد، ص١٠.
(١٠) شمزيني، النضال (خهبات)، ٣١ تموز ١٩٦٠، العدد ٣٠٧.

لها، غير أن طغيان الفكرة النازية وشدة النزعة القومية الشوفينية عندها، وعطفها الصريح على ألمانيا، ادت جميعاً الى القطيعة بينها وبين الشعب، حيث كفّت المنظمات والاحزاب الثورية التقدمية عن تقديم مساندتها لهذه الفئة، وكان الشعب الكُردي ومنظماته في مقدمة هؤلاء، وهذا هو سبب سقوطهم السريع.

إن إتصالات رجال السلطة الجديدة مع ألمانيا كانت على درجة كبيرة من الصراحة، وكانت تتم عن طريق إلتقاء السفير الألماني (فون پاپن) بالسفير العراقي في (إستنبول). وقد نجحت المباحثات وداعب هتلر الأمل في إحتلال العراق والسيطرة عن طريقه على الشرق الأوسط وقطع منابع النفط عن إنكلترا. لقد قدمت مساعدات عن طريق إيطاليا الفاشية على شكل طائرات الى العراق[١١]. ولقد اعتُبر هذا النجاح النازي في العراق نصراً كبيراً لجبهة الفاشية وخطراً جدياً يهدد الحلفاء، فقد اعتبر السير بولارد، بأن سيطرة رشيد عالي على السلطة في العراق، والذي كان من الواضح أنه يريد الإنضمام الى ألمانيا، كان من الممكن ان تؤدي الى انكسار اضعف حلقة في سلسة مناطق الشرق الأوسط[١٢].

إن هذا الإتجاه الجديد والصريح كان يهدد مصالح الشعب العراقي نفسه، ولهذا تخلت القوى الوطنية عن مساندتها لرشيد عالي، وحاول رشيد عالي إستغلال الشعور الكُردي المعروف بمناهضته ونضاله الطويل الشاق ضد الإستعمار الإنكليزي، فقدمت الوعود لكثير من رؤساء الشعب الكُردي للمساهمة مع الحكومة في حربها ضد الإنكليز ومساندتها. وقوبلت وعود الحكومة وطلبها بالرفض الشديد، فالشيخ محمود الحفيد الزعيم الكُردي المشهور الذي كان آنذاك منفياً في بغداد رفض طلب الحكومة واستغل الفرصة وهرب الى كُردستان، وكذلك فعل الشيخ احمد البارزاني حيث رفض طلب الحكومة. وآثر البقاء في منفاه بالسليمانية على الوعود الحكومية في إعطائه المال والسلاح وإرجاعه الى منطقته، ولم يقبل بوعود الحكومة سوى بضعة اقطاعيين داعبهم الأمل في الحصول على المزيد من الأراضي والاقطاعيات كما يقول محمودوف[١٣].

وكان من الطبيعي ان يتخذ الشعب الكُردي هذا الموقف المعارض، فالسلطة الجديدة مارست منذ ايامها الاولى سياسة الحقد على الشعب الكُردي، فالحرب ضد

(١١) عبدالرزاق الحسني. أسرار حركة ١٩٤١، صيدا. ص٥١.
(١٢) Reader Bullard. Britian and the middle east L. 1925.P.131.
(١٣) نادر محمودوف، الحركة التحررية، يريفان ١٩٥٩، ص١٤٦ (باللغة الأرمنية).

القوات الإنكليزية كانت تجري تحت شعار (فليقتل الكُرديَّ الإنكليزي والإنكليزيُّ الكُرديَّ ففي هذا فائدة لنا). وهكذا كانت السلطات تزج بالقوات التي يشكل الكُرد أكثريتها في المعارك التي جرت ضد القوات الإنكليزية في الحبانية والشعيبة وغيرها.

إن انقلاب رشيد عالي كان بداية رسمية لظهور النزعة العربية الشوفينية تجاه الشعب الكُردي، فلقد أوحى هذا الإنقلاب للشعب الكُردي بأن سياسة عربية متعصبة ودموية، أسوة بالشوفينية العنصرية التركية، على وشك الظهور في العراق وانها على إستعداد ان تمارس سياسة دموية تجاهه وتجاه حركته الوطنية في حال نجاحها. وهذا هو السبب في مقاومته لزمرة رشيد عالي، فلقد هرب الشيخ محمود ووصل منطقة السليمانية، وحاول جهده تنظيم ثورة عارمة ضد السلطة الجديدة وإنكلترا وتحقيق ما يصبو اليه الشعب الكُردي غير انه فشل في ذلك. وكان الشيخ أحمد البارزاني ينتظر البادرة من الشيخ محمود حتى يساهم في ذلك بالرجوع الى منطقته، غير ان فشل الشيخ محمود، وسقوط الحكومة ورجوع السلطة الإنكليزية بشكلها العسكري الدموي حال دون ذلك. ان موقف الشعب الكُردي كان سبباً اساسيا في فشل إنقلاب رشيد عالي وسقوطه السريع، هذا الإنقلاب الذي لو تسنى له النجاح التام لكان تهديداً مباشراً للحركة الوطنية في العراق والشرق الأوسط، بما كان يهدف اليه من تحويل العراق الى مهد للأفكار النازية ومركز لزحفها العسكري، وبذلك قدم الشعب الكُردي وحركته التحررية خدمة كبرى ليس للحلفاء فحسب، بل وللحركة الوطنية في هذه المنطقة المهمة.

إن مظاهر القومية المتعصبة التي اظهرتها هذه الفئة، ورد الفعل القوي الذي صدر عن الشعب الكُردي حيث اثارت شعوره القومي أيضاً، ونتيجة لإنتشار الأفكار القومية بتأثير الجمعيات والمنظمات الكُردية خاصة جمعية (هيوا) ومجلة (گەلاویژ) التي تأسست ١٩٣٩، فإن مداً ثورياً جديداً طغى على المجتمع الكُردي بعد سنة ١٩٤١. وبعد فشل الشيخ محمود في مسعاه لاثارة ثورة كُردية تحولت الأنظار مرة أخرى الى البارزانيين وبارزان لجعلها نقطة إنطلاق للحركة الكُردية. ولهذا فقد تم تهريب مصطفى البارزاني وإثنين من رجاله المسلحين من مدينة السليمانية الى بارزان وذلك في ١ مايس عام ١٩٤١، حيث قطع بنجاح وفي فترة قصيرة طريقاً ملتوية تمتد من پنجوين الى بانه وسردشت ومسوى ولاجان وناودشت وسپيلك وسريشمه، ومن ثم بارزان. وبوصوله الى منطقته بدأ التهيؤ لإنتفاضة كُردية جديدة.

ولقد تم تهريبه بمساعدة مباشرة من شيخ لطيف إبن الزعيم الكُردي الشيخ

محمود، وكان هذا دليلاً حاسماً على رغبة الشعب الكُردي في الوحدة ولمّ الصفوف والجهود من أجل مستقبل أفضل، حيث لم يصل التعاون والتفاهم بين شيوخ الطريقة القادرية التي يمثلها ويتزعمها شيوخ برزنجة بقيادة الشيخ محمود وشيوخ الطريقة النقشبندية التي يمثلها شيوخ بارزان، هذه الدرجة من قبل. ولقد سُرَّ الشعب الكُردي حقيقة لهذه البداية الحسنة.

الوضع العام في العراق وكُردستان

الاسباب المهيأة لإنتفاضة بارزان ١٩٤٣

إن الشعب العراقي بعربه وكرده حين كان يناضل ضد النازية شدد نضاله ضد الإستعمار ومواقعه وطالب بحقوقه القومية والديمقراطية. أما انكلترا الإستعمارية التي كانت تحارب في جبهة الشعوب المناهضة للنازية فلم تغير هذه الصنعة في طبيعتها مطلقاً، وإستمرت في سياستها المعادية للشعب وعملت دون كلل لتعزيز مواقعها ومحاربة الديمقراطية، ونهب ثروات البلاد تحت ستار متطلبات الحرب. وزاد الإستعمار البريطاني من اضطهاده ومعاداته للشعب بعد نجاحه في القضاء على جماعة إنقلاب ١٩٤١. وعلى صعيد كُردستان ضاعف الإستعمار البريطاني محاربته للحركة التحررية الكُردية، خاصة بعد إحتلال الجيش الأحمر إيران وقسماً من كُردستان إيران، حيث واجه الإستعمار خطر نفوذ وتوسع الأفكار الماركسية والموجة الثورية التي عمت كُردستان إيران الى كُردستان العراق. لهذا حاربت الجمعيات والمنظمات الكُردية وطاردت رؤساءها وقادتها، وشددت الحكومة الملكية العراقية العميلة من سياستها اللاكُردية، لدرجة ان رئيس الوزراء جميل المدفعي تجرأ وصرح بأن استقلال كُردستان كلمة لا وجود لها في القاموس وأنها مجرد خرافة[١٤].

ولقد شملت سياسة اللاكُردية محاربة الشعب الكُردي لا في مجال الحقوق القومية والديمقراطية فحسب، بل في جميع المجالات الأخرى أيضاً. فمن أجل إبقائه متأخراً غير متطور اقتصادياً حاربت الحكومة وبشدة تطور الصناعة والزراعة في كُردستان لدرجة ان إستخدام الرأسمال في الصناعة كان من شروطه والتي سنت من قبل الإستعمار البريطاني عدم استثماره في كُردستان[١٥].

(١٤) سجادي، ص١٤٠.
(١٥) النضال (خەبات)، العدد ٣٩٤ ٢٧/٧/١٩٦٠

وإستمرت السلطات في تقوية النظام الإقطاعي وسنّ المزيد من القوانين التي تحرم الفلاح من الارض وتزيد من سلطة وسيادة الملاكين. وزادت الازمة الإقتصادية في العراق عامة والتي كانت أكثر عمقاً وشدة في كُردستان! إن العراق بسبب دورانه في فلك الإستعمار البريطاني وتبعيته المباشرة له قد تأثر مباشرة بالأزمة الحربية، حيث خلت أسواقه من البضائع الرئيسة والضرورية للحياة. فحتى المواد الغذائية الضرورية التي كانت البلاد تشكو من نقصها الشديد كانت السلطات تأخذ ما تطاله يدها لتعطيه للجيوش الإنكليزية المحتلة، وبذلك أصبح العراق مهدداً بالمجاعة (حصلت نفس الازمة في كُردستان بسبب طبيعة منطقتها الجبلية وبسبب إهمال الحكومة المتعمد!) فسكان المناطق الجبلية في كُردستان كان من الصعب والنادر ان يحصلوا على المواد الغذائية الضرورية والاقمشة. ولقد زاد من سوء الوضع الفساد الإداري وتفشي الرشوة، يقول الفيستون في هذا الشأن:

«لقد جلبت الحرب مشاكل عديدة، فالانتاج اصبح قليلاً لايفي بالحاجة، ولم يكن عند الفلاح الكُردي ما يسد به رمقه، وما زاد من صعوبة الحالة عدم وجود نظام معين لتوزيع الاغذية على السكان بسبب عدم وجود طرق المواصلات، إن هذه الحالة قد زادت من الشعور بعدم الرضى لدى الشعب الكُردي وهيجانه...[١٦]»

وعلى صعيد التعليم والثقافة كان الشعب الكُردي يشكو نقصاً شديداً في المدارس والمعلمين، واضافة الى ذلك كان محرّماً على ابنائه ان يدرسوا بلغتهم الأم الكُردية. ويكفي القول ان في مدينة السليمانية وهي قلب كُردستان كانت هناك مدرسة واحدة للاطفال لم يتجاوز عدد تلاميذها ١٠٧ تلاميذ. وفي مدينة اربيل لم تكن هناك مدرسة واحدة[١٧]. وفي مدن اربيل وكركوك والسليمانية لم يتجاوز عدد المعلمين للمدارس الابتدائية الـ(٤٠٢) معلما[١٨]، وان المجموع العام للعراق كان (٤٣٤٠) معلماً، أما عدد المدرسين للمدارس المتوسطة لهذه المدن الثلاث فلم يتجاوز الـ(٣٨) مدرساً[١٩]. وفي منطقة بادينان والتي تشكل نصف مجموع سكان لواء الموصل لم يكن فيها

(١٦) الفستون. گەلاویژ، العدد، ١٩٤١.
(١٧) أنظر المجموعة الاحصائية الرسمية العراقية، ١٩٤٤- ١٩٤٥، الجدول رقم ٤٠- ص٢٣ ورقم ٤١- ص٣.
(١٨) نفس المصدر السابق، الجدول رقم ٤٠، ص٢٣.
(١٩) نفس المصدرالسابق، الجدول رقم ٤١. ص٣.

شخص واحد قد أكمل المدرسة الرسمية كما يقول همزة عبدالله[٢٠]. هذا مع العلم ان الشعب الكُردي كان عدد سكانه يزيد عن المليون ونصف المليون في وقت كان فيه نفوس العراق العام خمسة ملايين نسمة!

وكان الشعب الكُردي محروماً من الخدمات الصحية كذلك، فكانت هناك بعض المستشفيات في المدن الرئيسية التي لم تكن حديثة وتشكو من النقص الشديد في الأسرّة والاطباء والخدمات والأدوية! أما القرى فلم تكن تعرف معنى الخدمات الطبية، ويكفي القول انه في لواء السليمانية كان هناك (١٨٥٢٩) مصاباً بالملاريا أي حوالي (١٣,١٪) من مجموع سكان اللواء، وفي اربيل (٢٠٨١٩) أي (١٤٪) من سكان اللواء[٢١]، هذا عدا الأمراض الفتاكة والخطيرة الاخرى! وهكذا كان الشعب الكُردي يعيش في دوامة من الاضطهاد القومي والطبقي، فكان والحالة هذه يبحث عن منفذ يندفع منه الى طريق الخلاص، وكانت ثوراته السابقة التي لم تمر عليها مدة طويلة ماتزال ماثلة في اذهانه وتدافعه أكثر للتحرك والاندفاع. يقول إدموندز إن ثورة بارزان الاخيرة سنة ١٩٤٢ كانت إلهاماً بالنسبة للشعب الكُردي، حيث كان يعيد الى اذهانه ثورات الشيخ محمود:

«إن الوزارات وتصرفات الادارة كانت قاسية لدرجة اصبح من غير الممكن تحملها من قبل الشعب الكُردي.»

وجد الشعب الكُردي منقذه في بارزان: فمصطفى البارزاني لم يستطع إلاّ ان يرفع صوته ممثلاً عن شعبه مطالباً بالإصلاح، وذلك حال وصوله الى بارزان. فلقد طالب رسمياً الحكومة برفع الظلم عن الشعب الكُردي وإنقاذه من ازمته الإقتصادية والإعتراف بحقوقه القومية المشروعة! ولم يكن ينوي مطلقاً فرض مطالبه هذه بالقوة والسلاح طالما كان يجد وسيلة سلمية لإقناع الحكومة. فقد اكد في رسالة له الى السلطات بأنه سوف لن يرفع السلاح في وجه حكومة تنظر بعطف وجدية الى مشاكل الشعب[٢٢].

غير أن الحكومة العراقية إعتبرت رجوعه الى بارزان هروباً ومطاليبه تحدياً لها وخروجاً على القانون ومحاولة منه لإثارة الشغب. ولهذا سارعت الى انذاره وإرسال القوات لقمعه. ونظراً لخلو المنطقة من السلاح، حيث جردت الحكومة سكانها منه منذ

(٢٠) همزة عبدالله، ص٣٢.
(٢١) جعفر خياط، القرية العراقية، موسكو ١٩٥٣، ص ٤٥ (باللغة الروسية).
(٢٢) القرداغي، ص ٢٧.

سنة ١٩٣٢، إتبع مصطفى البارزاني أسلوب مهاجمة مخافر الشرطة التي كانت الحكومة قد أكثرت منها في هذه المنطقة. إن هذه المخافر كانت تعتبر من الإصلاحات الأكثر شيوعاً لدى السلطات العراقية والتي لم تلق ترحيباً لدى الشعب الكُردي، خاصة في مناطق بارزان. فهذه المخافر أثارت مشاكل عديدة، وقد زاد من عدم رضا الشعب الكُردي في هذه المنطقة الحساسة من كُردستان ومن تذمره ممارسة افراد الشرطة في هذه المخافر سلطات مطلقة وإعتداؤهم على السكان الآمنين وإرتشاؤهم وجبايتهم الضرائب منهم بنسبة أكبر من المعتاد، وتجنيدهم شباب القرى ... الخ. ولهذا كانت تصفية هذه المخافر وافراد شرطتها من اولى شروط ومستلزمات القيام بإنتفاضة مسلحة ضد الحكومة! ومن جهة اخرى فإن تصفية هذه المخافر كان يعني الحصول على المزيد من الأسلحة التي كانت قوات البارزاني تفتقر اليها. والى جانب القيام بالهجمات على هذه المخافر والإستيلاء عليها وتصفية المنطقة من القوات البوليسية الحكومية، قام البارزاني في محاولة منه لخلق قاعدة قوية للإنتفاضة بجمع شمل العشائر المتناحرة في المنطقة، فعقد معهم تحالفات. وأعطت هذه الخطوة نتائج ايجابية، حيث ادت الى عزل هذه العشائر عن الحكومة ومحاولاتها لجذبهم الى جانبها واستخدامهم ضد الإنتفاضة.

وبهذا، وبعدد قليل جداً من المسلحين بدأت إنتفاضة بارزان في ١٩٤٣، حيث هاجمت قوات البارزاني المخافر وإحتلت معظمها، كما هاجمت القوات البوليسية التي ارسلتها الحكومة لمواجهة الموقف. يقول أحد المشتركين في الإنتفاضة (محمد ميرخان ميرگەسوري):

«إستولينا في بداية الامر على مخفر (شانَدَر)، لقد كنا ٣٠ شخصاً ولم يكن نصفنا مسلحاً ومع هذا تم الإستيلاء على المخفر الذي كان فيه ٢٠ شرطياً. فأخذنا منهم اسلحتهم وبعد ذلك إستولينا على مخفر (خيرزوك) في مايس ١٩٤٣ وكان فيه (٦٠-٧٠) شرطياً وإستولينا على اسلحتهم ورشاشاتهم، ووزعنا هذه الأسلحة على انصارنا الذين كانوا ينتظرون السلاح[٢٣].»

كان عدد الثوار المسلحين يزداد يوماً بعد يوم، وتتسع معه رقعة ومساحة منطقة الإنتفاضة، وزادت هذه الانتصارات من معنويات الثوار خاصة والشعب الكُردي عامة، مما شكل خطر جدياً على الحكومة!

رغم الفشل الذي لحق بقواتها، أصرّت السلطات العراقية على إرسال قوات

(٢٣) انظر، كوردوئيف، المخطوطة.

البوليس والإحجام عن زج الجيش في المعركة لغرض إظهار الإنتفاضة بمظهر المحلية الضيقة والضعيفة والقليلة الشأن امام الرأي العام العراقي. غير أن إستيلاء الثوار على معظم المخافر، وازدياد عددهم بإستمرار، وتحطيم هجمات قوات الشرطة واحدة تلو الاخرى، وإتساع رقعة الإنتفاضة وإنضمام عدد كبير من العشائر اليها وتعاطف الشعب الكُردي الزائد نحوها، كل هذه العوامل زاد من مخاوف الحكومة وأدى الى إرسال القوات العسكرية والقيام بعمليات حربية واسعة النطاق. وعند ذاك أُعلن وبشكل غير رسمي عن وجود إنتفاضة كُردية قوية واسعة في مناطق بارزان. هذه الحقيقة التي حاولت الحكومة جهدها إخفاءها وعدم الاعتراف بها.

إن الدفعة الأولى من القوات العسكرية التي ارسلتها الحكومة أبيدت بالكامل، وحصل الثوار بالنتيجة على (٥٠٠) بندقية و(٤٥) رشاشاً[٢٤]، وهذه نسبة كبيرة جداً وخطيرة لثوار يسكنون مناطق جبلية وعرة كبارزان. لقد زادت هذه المعركة من عدد المسلحين، كما رفعت معنوياتهم، وبالمقابل هبطت معنويات قوات الحكومة والعشائر المحاربة لبارزان، وقد شكل هذا تهديداً خطيراً للحكومة! وعلى نطاق الشعب الكُردي في كُردستان العراق فقد إرتفعت المعنويات وانتعشت الآمال وحفزتهم هذه الإنتصارات على الإندفاع والانضمام للثورة، ويكفي القول أن ٤٠-٤٥ شخصاً كان يلتحق يومياً بالثورة[٢٥]. وقامت الجمعيات الكُردية ومنظماتها خاصة جمعية (هيوا) بتوسيع نطاق نشاطاتها، فقدمت عدداً من المذكرات والعرائض وقامت بجمع التواقيع، وقدمتها الى السلطات الأجنبية في بغداد موصلة بذلك صوت الشعب الكُردي وانتفاضته الى العالم. وبهذا بدأت الإنتفاضة تستقر على قاعدتين من أهم قواعد الإنتفاضات وهما القاعدة الفكرية التنظيمية والقاعدة العسكرية! ولقد تبين للسلطات بعد هذا الإنتصار الذي حققه الثوار، بأن سحقهم والقضاء عليهم غير ممكن إن لم يكن مستحيلاً، وكان هذا سبباً في تخلي السلطات عن وسائل الحرب وطلب المفاوضة مع البارزاني. إن هذا الطلب في حد ذاته كان نصراً للثورة وللشعب الكُردي ودليلاً على وجودهما وقوتهما، ودليل على ضعف الحكومة. الواقع ان طلب الحكومة للتفاوض كان بسبب ضعفها ومشاكلها الداخلية وظروف الثورة.

فالشتاء كان على الابواب، وقوات الثورة بعد تصفيتها لأكثرية المخافر حاصرت اقوى مخفر حكومي وهو (مخفر بله) وكان المخفر على وشك التسليم، فلقد جاء في

(٢٤) كوردئيف، المخطوطة.
(٢٥) نفس المصدر.

رسالة من قائد قوة المخفر الى السلطات انهم لايستطيعون المقاومة والإستمرار[٢٦].

هذا من جهة، ومن أخرى فإن خوف الحكومة من فشل حملة عسكرية ثانية ومن ثم توسع نطاق الثورة، وكذلك الخوف من أن تؤدي إنتصارات الثوار المتتالية الى مطالب أكثر حدة وشمولاً وأخيراً أن تؤدي إنتفاضة بارزان الى تصدع داخلي خطير بسبب المشاكل الداخلية الإقتصادية والاجتماعية الحادة التي كانت الحكومة تعانيها. إن هذه الاسباب دعت ودفعت الحكومة لطلب المفاوضة، وغرضها في ذلك لم يكن قطعاً حل القضية حلاً عادلاً سلمياً والاعتراف بمطالب البارزاني، التي لم تتعد آنذاك بعض االحقوق القومية والإدارية المشروعة للشعب الكُردي.

ولم يكن من السهل معرفة نوايا الحكومة الحقيقية، فالظروف التي خلقتها الحرب العالمية الثانية ودور إنكلترا الإستعمارية فيها، قد ادت الى ظهور بعض الاعتقادات الخاطئة حول صحة قيام ثورة ضد إنكلترا او عدم صحتها. وعدا هذا فقد كانت هناك جملة من الاسباب دفعت بالثوار للموافقة على المفاوضة والمباشرة بها.

أول هذه الاسباب كان الوضع السياسي العام الذي تشخص في وضع إنكلترا كدولة تحارب في جبهة الشعوب ضد الفاشية مما أضفى عليها صفة المحارب الذي لايصح الإتنفاض عليه. وكما ان تركيا بقيت حتى ذلك الوقت على الحياد، في الظاهر طبعاً، ولهذا فإن كل حركة كُردية كانت تخيفها جداً وكانت على إستعداد لتأخذ من ذلك مبرراً لدخولها الى جانب ألمانيا، ولهذا فان إنكلترا اعطت لنفسها الحق بمحاربة كل حركة كُردية وكل حركة وطنية ضدها او ضد سيادتها بإسم الحلفاء ومصلحة الحلفاء. ويظهر هذا الموقف جلياً في رسالة السفير البريطاني في بغداد والمليئة بالتهديدات الى البارزاني حيث جاء فيها:

«يجب وقف القتال، لأن هذا القتال مضر بمصلحة الحلفاء، وفي حالة عدم تنفيذ البارزاني رغبة بريطانيا فعليه إعتبار نفسه مذنباً تجاه العراق والحلفاء وإنكلترا[٢٧].»

ومما زاد من حدة وقساوة إنكلترا أن طريق البصرة – كُردستان العراق – كُردستان إيران كان الطريق الوحيد في الشرق الاوسط لتموين الإتحاد السوفيتي، وبإسم المحافظة على هذا الطريق اعطت إنكلترا لنفسها الحق بتوجيه النار وإستخدام اقسى الاساليب وأكثرها وحشية في مقاومة الحركة الثورية الكُردية.

(٢٦) كوردؤئيف، المخطوطة.
(٢٧) سجادي، ص١٧٧.

ومما جعل قادة الإنتفاضة، وخاصة البارزاني، يقعون في خطأ دخول المفاوضة، أن الجمعيات الكُردية خاصة (هيوا) لم تصل لتلك الدرجة من الوعي وبعد النظر اللذين يؤهلانها لدراسة الظروف دارسة جيدة وإتخاذ الموقف الصحيح على اساسها وضوئها. ومما زاد من تأثير هذه الأفكار على البارزاني أن جمعية (هيوا) نفسها وقعت فريسة التناقض في الآراء والمواقف، اذ ان جناحاً فيها كان يعتقد بعدم صحة الإنتفاضة ضد الإنكليز ورأت أن عدم مساندة الإنتفاضة هو الموقف والرأي الصحيح والصائب. وثاني هذه الاسباب هو أن الثوار خلال معاركهم مع قوات الحكومة تبينوا مدى ضعف هذه القوات وعدم مقدرتها على حرب الجبال، كما لاحظوا مبلغ كره الضباط والجنود لزجّهم في حرب إقتتال الاخوة، وقاد هذا زعماء الإنتفاضة الى الاعتقاد بأن ضعف الجيش والسلطة وصل درجة يستحق فيها الإعتماد على المفاوضة وتصديق وعودها، وقد فاتهم بأن غرض السلطة وإنكلترا من المفاوضة لم يكن سوى اعادة الكرة بعد اعداد العدة لذلك. ويؤكد احد الكتاب الإنكليز هذا بالقول:

«شعر الإنكليز بعد هزيمة الجيش العراقي أمام الثوار في خريف ١٩٤٣ بضرورة تهيئة وتسليح قوات الحلفاء واعدادها[٢٨].»

ولم يكن هذا الإعداد سوى للجيش العراقي وضد إنتفاضة بارزان. وثالث هذه الأسباب داخلي يتعلق بالظروف المعاشية للثورة ذاتها. فالبرد الشديد والنقص الشديد في المواد الغذائية ضايق الثوار الى حد بعيد، وكان النقص في السلاح واضحاً أيضاً، فمصدرهم في الحصول عليه لم يكن سوى الجيش العراقي ذاته، وهذا كان اقل مما يمكن إستخدامه في ثورة واسعة. واضافة الى كل ذلك فإن الرغبة الصادقة في تحقيق المطلب بأسلوب سلمي دون سفك الدماء دفع الثوار للدخول في المفاوضات. ومع وجود كل هذه المبررات المنطقية فإن الدخول في المفاوضة كان خطأ فادحاً وفرصة أضاعتها الإنتفاضة، فالدخول في المفاوضة كان يعني نهايتها.

لقد كان الشتاء قارصاً، غير أنّه كان خير سلاح للقضاء على قوات الحكومة غير المعتادة عليه. وكان خير فرصة لتصفية المنطقة تماماً من كل موقع حكومي وتوسيع نطاق الإنتفاضة قدر الإمكان. ومع ان الملبس والمأكل كان غير كافٍ إلاّ أن منطق الثورات هو التضحية والحرمان، هذا اضافة الى ان الثوار كان بإمكانهم الاستفادة

(٢٨) كوردوئيف: المخطوطة.

من المواد والاسلحة التي كانت طائرات الحكومة ترميها من الجو لقواتها، فكثيراً ما كانت لا تقع في مواقعها المخصصة، بل تقع في أيدي الثوار. ففي إحدى المرات كما يؤكد احد المشاركين في الإنتفاضة حصلوا على وجبة فيها (٤٥) رشاشاً مع عتاد كثير ومواد غذائية وفيرة[٢٩].

وظهر مدى استهانة الحكومة بالإنتفاضة وبالمفاوضة في قيام أحد الملالي بدور المفاوض وكانت المطاليب محلية، كإرجاع البارزانيين الى موطنهم وتحريرهم من السجن وإجراء الإصلاحات في بارزان، ومن ثم كان هناك مطلب عام في نوع من الحكم الذتي لكُردستان من دون تفصيلات وتمهيدات. وكان رد الفعل لدى السلطات قوياً، فلم تكن تتصور بأن المطالب ستصل الى حد الحكم الذاتي، ولهذا إتخذت موقف المماطلة والخداع، فسقطت وزارة نوري السعيد وتشكلت وزارة جديدة برئاسته في ٢٥-١٢-١٩٤٣ وأشرك فيها وزير كُردي بلا وزارة وهو ماجد مصطفى وعين مشرفاً عاماً ومسؤولاً عن المفاوضات. ويظهر تماماً أن الغرض من إسقاط الوزارة لم يكن سوى تعيين هذا الشخص الكُردي وإستخدامه كواجهة لخداع الثوار. فخطة الحكومة في هذا المجال كانت دقيقة ومضبوطة، حيث إستطاعت خداع حتى قادة جمعية (هيوا)، لأن ماجد كان ذا ماضٍ وطني وفي نفس الوقت مسؤولاً ادارياً في مناطق العماديه وله خبرة كافية فيما يخص هذه المنطقة. وعن طريق ماجد إستطاعت السلطات اشراك جمعية (هيوا) في المفاوضة، وبذلك إستطاعت الحكومة إظهار نفسها بمظهر الداعي الى الحل السلمي والمعترف بالشعب الكُردي وحقوقه. فإستطاعت بذلك إطالة امد المفاوضة دون أن يؤدي ذلك الى إثارة شكوى قادة الثورة والشعب الكُردي. ولقد تم تعيين ثلاثة عسكريين أعضاء في جمعية (هيوا) كأطراف في المفاوضة وهم عزت عبدالعزيز، عزيز شمزيني، أمين الرواندزي، تم تعيينهم كضباط ارتباط بين قادة الإنتفاضة والحكومة. لقد إستطاع هؤلاء التأثير على محتوى وأهداف الإنتفاضة، لهذا جاءت مطاليبها التي قُدمت هذه المرة رسمياً الى السلطات أكثر دقة وشمولاً وتطابقاً مع مطامح الشعب الكُردي. لقد إنعكست في هذ المطاليب قوة وتأثير فئة المثقفين الكُرد التي حاولت منذ هذه اللحظة إيجاد موقع قدم ثابت وصوت مسموع لها في الإنتفاضة، وكانت المطالب التي قدمت الى السلطات هي:

١- تأسيس إدارة ذاتية لكُردستان تشمل مدن كركوك، السليمانية، اربيل، وخانقين.

(٢٩) Gerald de gaury. Three kings in Baghdad 19211958, lL,1961, p.147.

وأقضية مدينة الموصل الخمسة الكُردية متمثلة في دهوك.

٢- تعيين وزير كُردي في الوزارة يكون مسؤولاً عن ادارة شؤون كُردستان.

٣- تعيين شخص كُردي كوكيل للوزير في كل وزارة.

٤- جعل اللغة الكُردية لغة رسمية. وتحسين الوضع الاقتصادي والزراعي في كُردستان. أما ما يخص الادارة والجيش فتبقى على ما كانت عليه[٣٠].

إن هذه المطالب بدقتها وشمولها كانت تعكس مطامح الشعب الكُردي الحقيقية في نيل حقوقه القومية ورفع مستواه المعيشي والثقافي وتأمين تطوره الاقتصادي، وبهذا خرجت إنتفاضة بارزان في ١٩٤٣ من نطاقها المحلي في بارزان الى نطاق كُردستان العراق عامة. ولهذا أيضاً أصبحت بحق رمزاً حياً للحركة التحررية الكُردية في العراق. ويقول (كافان) بهذا الشأن:

«إن إنتفاضة ١٩٤٣ كانت إنطلاقة للحركة القومية الكُردية التي وجدت لها منفذاً في بارزان، وكانت في بدايتها لاتتعدى كونها حركة قامت ضد الظلم وسوء الإدارة المحلية. وكانت أهدافها محدودة غير انها تطورت فيما بعد وإتخذت لنفسها طابع الإنتفاضة، التي وان كانت محلية في أهدافها إلاّ أنها قومية في محتواها[٣١].»

وقامت جمعية (هيوا) بإحتضان هذه المطالب على شكل عريضة وجهتها الى العديد من رؤساء العشائر الكُردية وقادتها وحصلت على موافقتهم، وبذلك صارت هذه المطالب مطالب الشعب الكُردي بحق، كما وأعطت نسخاً منها الى البعثات الدبلوماسية في بغداد.

إن تطور الأحداث بهذاالشكل وهذه المطالب الدقيقة الدالّة على سعة الفكر والتنظيم أخافت الحكومة الى حد بعيد، فإستعانت بالحيل والخدع وإستخدمت لهذا الغرض ماجد مصطفى، الذي سافر الى بارزان لإجراء محادثات إنفرادية مع البارزاني. ولقد أذاعت السلطات إتفاقية جديدة بينها وبين البارزاني كانت بنودها كالتالي:

١- تشكيل ادارة جديدة في أقضية: الزيبار، رواندز، العماديه، واطراف ميركه سور وشيروان مَزن وبارزان، وتعيين من عرفوا بالكفاءة والنزاهة لإدارتها، واذا لزم الأمر تعيين ضباط بإسم ضباط إرتباط.

(٣٠) سجادي، ص١٨٠.

(٣١) Gavan.p.37-36.

٢- إرجاع الشيخ أحمد البارزاني وأتباعه من منفاهم الى بارزان.
٣- ذهاب مصطفى البارزاني الى بغداد لغرض تسليم نفسه وتقديم طاعته للسلطة وإبعاده عن بارزان.
٤- بناء مخافر الشرطة وفتح الطرق بينها.
٥- تسليم ما بحوزة الثوار من الأسلحة الى السلطة، سواء التي حصلوا عليها من القوات أو ما كان لديهم قبل ذلك.
٦- العفو العام عن البارزانيين عدا الموظفين الذين إنضموا الى الإنتفاضة، والحكومة تعلن موعد العفو في الوقت الذي تراه مناسباً[٣٢].

مما يلفت النظر أن هذه المطالب تختلف عن سابقاتها، وتتصف بالمحلية الصرفة والخذلان التام. كان نشر هذه الإتفاقية خطة خداع دقيقة أعدتها الحكومة بإهتمام وإحكام لنشر الفوضى والإنقسام في صفوف الإنتفاضة. فمما لاشك فيه أن هذه المطالب كانت تعني إجهاض الإنتفاضة وتجريدها من محتواها القومي ونطاقها الكُردستاني، وهو ما كان عند الشعب الكُردي ومنظماته مرفوضاً رفضاً باتاً، وبذلك يحدث الشقاق الذي هيأت له الحكومة، وكذلك تجد المبرر للهجوم المقبل على بارزان في حال رفض الثوار مطالب كهذه وكانت متأكدة من هذا الرفض. إن الظروف وكذلك الاحداث كانت تؤكد بطلان هذه الاتفاقية وخلوها من الحقيقة وعدم مصادقتها من قبل البارزاني. فالحكومة اولاً لم تكن في موقف تستطيع معه فرض نفسها وبنودها إذ كانت أضعف من ذلك. وثانياً لم يكن بإستطاعة احد ان يصدق ان مصطفى البارزاني يقدم على تنفيذ بنود كهذه، وبذلك يعرض الإنتفاضة وبارزان نفسها للخطر وهذا يعني نهايته، وهو ما لم يكن بإستطاعة البارزاني قبوله مطلقاً. ومما يؤسف له أن الثوار لم تكن لديهم وسائل نشر كافية للرد على الحكومة وإظهار زيف إدعاءاتها ونيتها السيئة. إن الذي لاشك فيه أن الثورة أيضا أقدمت على تنازلات بحكم الظروف المحلية، فتلك المطاليب الاولى كانت أكثر مما تستطيع الحكومة تنفيذها. ولم يكن لدى الثورة من الوسائل الثورية ما يكفل لها تحقيق تلك المطاليب بقوة السلاح، لهذا اقدمت على تنازلات من جهتها. ولقد كانت الاتفاقية الجديدة بهذا الشكل وكما يؤكد عليها رامبو، وهي:

١- بقاء منطقة الإنتفاضة تحت سيطرة الثوار.
٢- إطلاق سراح كل السجناء ممن لهم علاقة بالإنتفاضة.

(٣٢) سجادي، ص ١٨٢.

٣- الإحتفاظ بالأسلحة وبضمنها ما حصلوا عليه من قوات الحكومة.
٤- توزيع الأغذية على المناطق الكُردية بشكل عادل.
٥- تعيين الموظفين الكُرد مكان الموظفين العرب.
٦- إعطاء الحقوق الثقافية للشعب الكُردي.
٧- فتح المستشفيات والمدارس حسب حاجة كُردستان[٣٣].

ولقد سافر البارزاني مع بعض أتباعه الى بغداد، ولم يكن غرضه من ذلك تسليم نفسه كما إدعت الحكومة، بل كان الغرض إيجاد فرص جديدة لإقناع الحكومة ودفعها لتحقيق مطاليب الشعب الكُردي. إن الإستقبال الحافل الذي لقيه البارزاني في بغداد من قبل الكُرد فيها، والحفلة الرائعة التي اقامها نادي الإرتقاء الكُردي على شرفه، كان خير دليل على ما كان لإنتفاضة بارزان من مكانة في نفوس الشعب الكُردي، ودليل ثابت على فشل دعايات الحكومة في اقناع الشعب الكُردي بإنحراف الإنتفاضة عن طريقها وإستسلامها للسلطات.

وظهرت من جهة أخرى نيات السلطات الخبيثة وإستغلالها للفرصة للكيد للبارزاني والقبض عليه وهو الضيف المفاوض لديها، فلقد أوعزت السلطات الى بعض الجرائد المحلية لإثارة الشعور ضد البارزاني، وقد زعمت إحدى الجرائد المحلية أن البارزاني وأتباعه المسلحين يمشون في شوارع بارزان ويخيفون السكان ويهينون شعورهم وحاولت السلطات استغلال هذا لتجريدهم من السلاح وإلقاء القبض عليهم.

تحت ضغط الظروف والاحداث، ولذرّ الرماد في العيون حققت الحكومة بعض المطاليب ومنها إرجاع الشيخ أحمد البارزاني الى بارزان. وكان رجوعه نصراً للإنتفاضة، فبالإضافة الى كونه الزعيم الروحي للبارزانيين فإن أتباعه الذين كانوا معه، أضافوا قوة جديدة الى قوات الإنتفاضة، كما ان الحكومة قامت بإرسال المؤن واللوازم الى منطقة بارزان التي كانت مهددة حقاً بالجوع. وزادت من أعداد ضباط الإرتباط الى سبعة ضباط وهم: (عزت عبدالعزيز لمنطقة بله)، (مصطفى خوشناو لمنطقة بارزان)، (ميرحاج احمد لعقره)، (مجيد علي للعمادية)، (سيد عزيز شمزيني لميرگه سور) (فؤاد عارف لپشدر)، (أمين الرواندزي لبارزان ورواندز)[٣٤].

عدا هذا فإن الحكومة لم تفعل من جانبها أي شيء يؤمن تنفيذ النقاط والبنود

(٣٣) Rambout. p.93. Takme.Memorandun Sun ba Situation des kurdes et leurs Revendion, paris. 1948.P.28.
(٣٤) قرداغي، ص٣٣ - ٣٤.

الاخرى، والثوار من جهتهم رفضوا مطاليب الحكومة في تسليم الاسلحة والسماح ببناء مخافر الشرطة. إن تحقيق بعض هذه المطاليب على بساطتها حقق انتصاراً للثوار، فهم قد حصلوا على الاغذية التي كانت تنقصهم بشدة، كما ان ازدياد عدد ضباط الارتباط زاد من مجال مساهمة جمعية (هيوا) في إنتفاضة مقبلة ووضع تكتيك وخطط عسكرية لها.

اما السلطات العراقية، وبتوجيه مباشر من إنگلترا، فقد قامت باستغلال فترة الهدوء هذه خير إستغلال للدعاية لنفسها ونياتها الحسنة تجاه الشعب الكُردي. وقد كان لسفر رئيس الوزراء نوري السعيد الى مناطق كُردستان وخاصة كركوك واجتماعه مع رؤساء الكُرد وتاكيد نياته ونيات الحكومة الحسنة واعتبارها الكُرد والعرب شركاء في الوطن، جزءً من خطة الدعاية هذه، غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل، لأن افعال الحكومة كانت على النقيض من أقوالها. فتسليح وتجهيز الجيش كان يجري على قدم وساق، كما ان محاولة الحكومة الفاشلة للقبض على البارزاني في بغداد جردتها من ريائها الكاذب وكشفت حقيقتها ونياتها السيئة. كما ان سقوط وزارة نوري السعيد في حزيران ١٩٤٤ وهي صاحبة الوعود الكثيرة، ومجيء وزارة حمدي الپاچچي في ٣ حزيران ١٩٤٤، التي مارست المماطلة وعدم الإعتراف بوعود الوزارة السابقة كان خير برهان على ذلك وخير دافع لتجمع غيوم إنتفاضة جديدة في بارزان.

وبالإضافه الى عدم اعترافها بمفاوضات ووعود الحكومة السابقة على قلتها، فإن حكومة الپاچچي مارست سياسة متهورة جداً، فعادت الشعب الكُردي صراحة، واعتبرت مطاليبه بداية للإنفصال، وتصورت بأن تحقيق بعض مطاليب الشعب سيؤدي الى المطالبة بالمزيد من الحقوق حتى تصل حد الإنفصال. وتمخض هذا المفهوم الخاطيء عن انتهاج سياسة معادية للشعب الكُردي وإضطهاده وفرض الارهاب عليه. ويقول لونگريك:

«بعد عام ١٩٤٣ إشتدت سياسة معاداة الشعب الكُردي وكراهية الكُرد شملت حتى الاوساط والأندية السياسية الحاكمة، والتي كانت نتيجة لإحساس بالخوف من انفصال الكُرد، وبأن تحقيق بعض المطاليب سيؤدي الى مطاليب أكثر حدة من قبل الزعماء الطموحين للشعب الكُردي[٣٥].»

تحت ستار هذا المفهوم الخاطيء والبعيد عن الصواب، كانت الحكومة تغض

(٣٥) Longrigg.P.366.

الطرف عن قصد عن حرمان الشعب الكُردي من حقوقه القومية والديمقراطية، وسوء الادارة والازمة الخانقة التي تعانيها البلاد، والتي كانت تنتظر الحل السريع. لقد إعترف صالح جبر وهو أحد رؤساء الوزرات العراقية فيما بعد بهذه الحقيقة بقوله:

«إن سوء الإدارة والإقطاع والإضطرابات كانت هي الأسباب الرئيسية للإنتفاضات البارزانية[٣٦].»

ولقد دلت الوقائع على أن الحكومة تخلت عن وعودها ولن تفعل مامن شأنه رفع مستوى الشعب الكُردي، ففيما يخص التعليم بقيت اللغة العربية ولم يُعترف باللغة الكُردية لغةً رسمية، وبقى مستوى التعليم على حاله، فعلى الرغم من وعود الحكومة سابقاً لم يزد عدد المعلمين خلال عامي ١٩٤٣و ١٩٤٤ سوى بسبعة معلمين فقط في كُردستان، اما المدرسين فقد زاد عددهم الى أربعة والمعلمات فزدنَ من (٥) الى (٦) معلمات[٣٧].

وبقي مستوى الخدمات الصحية، على حاله المهدد لحياة السكان، فلقد كان هناك (٦١٩) طبيباً في كل العراق نصفهم في بغداد. وبقيت كُردستان في اشد الحاجة لأبسط الخدمات الصحية. وفي الوقت الذي كان فيه على الحكومة تنفيذ وعودها، ادت إستعدادتها العسكرية والاموال التي كانت تصرفها على ذلك الى نتائج عكسية وسيئة للغاية في كُردستان. فإضافة الى عدم زيادة عدد المدارس أو بناء المستشفيات، فإنها على عكس ذلك حولت ما كان موجوداً منها الى ثكنات عسكرية، ووجهت كل امكانياتها نحو الحرب والصرف عليها. ففي ميزانية ١٩٤٤ خصصت ٨,٦٪ و٦,٧٪ على التوالي للتعليم والصحة، بينما خصصت ٢٩,٥٪ للجيش[٣٨]. وكان هذا مضراً في الواقع بمصلحة العراق عامة بقسميه الكُردي والعربي. ولم تعمل الحكومة ولم تخطُ خطوة واحدة لتحسين الوضع الاقتصادي وتخفيف حدة الأزمة الإقتصادية، فقد هبط مستوى المعيشة بدرجة فضيعة حتى أن لجنة مالية لمجلس النواب العراقي إعترفت بأن حصة الفرد لاتزيد عن ٣٠-٤٠ فلساً في اليوم[٣٩]، وهذا ادنى مستوى معيشي. واختفت مع الأزمة المواد الضرورية من الاسواق وارتفعت اسعارها الى مستويات خيالية، حيث وصلت الى ٧٥٠٪[٤٠]. وكما

(٣٦) حسين حزني موكرياني، ص٤١.
(٣٧) المجموعة الإحصائية الرسمية، الجدول رقم ٤٠، ص ٢٣-٢٥.
(٣٨) محمد توفيق حسن، ص١١١.
(٣٩) عبدالرحمن الجليلي: محاضرات في اقتصاديات العراق، القاهرة، ١٩٥٥، ص١١١.
(٤٠) جعفر خياط، ص٢٩ (بالروسية).

تقول جريدة القاعدة لسان الحزب الشيوعي وبأنه في سنة ١٩٤٤ ارتفع ثمن (ربه) القمح (تعادل ٣٥ كيلوغراماً) من ٧ دراهم (٣٥٠ فلساً) الى ٦ دنانير وثمن (ربه) الرز من دينار واحد الى ١٣ ديناراً[٤١].

وكان عبء هذه الازمة يقع على عاتق الكادح الكُردي والعربي على السواء، في المدن والارياف. وبدلاً من أن تفعل الحكومة شيئاً لتخفيف الازمة، إستمرت بالسير على سياستها التقليدية في تقوية الإقطاع وتوسيع نطاق نفوذه وسلطانه على حساب الفلاحين وسنّ قوانين تعزز مصالحهم، وخطت في كُردستان خطوات واسعة في هذا المجال. فعدا توزيعها للأراضي على الاقطاعيين، فقد خصصت لهم رواتب ضخمة، وكل ذلك لجذبهم الى جانبها في محاربة البارزاني. فالشيخ رشيد لولان وهو زعيم روحي وإقطاعي كان يتسلم شهرياً (٧٠٠٠٠) تومن أي (٣٥٠٠) دينار عراقي[٤٢].

ولهذا فان الشعب العراقي عامة قد ملّ من الأوضاع الشاذة وشدد من نضاله وطالب بحقوقه، وقامت الحكومة بفرض الإرهاب، وتكميم الأفواه، وسجن المعارضين ومطاردة الوطنيين وفرض نظام بوليسي رهيب في البلاد. وكخطوة أولى قامت بمطاردة ومحاسبة هؤلاء الضباط الذين عينتهم هي نفسها كضباط ارتباط. وكان شعور هؤلاء الضباط بسياسة الحكومة المخادعة وإستعدادها للإنقضاض على بارزان، ومطاردة الحكومة لهم دون مبرر قانوني، دافعاً اساسياً لهروبهم وإنضمامهم الى البارزاني، إذ وصل عدد الملتحقين من الضباط في شهر شباط ١٩٤٥ الى (٨) وقد زاد وجود هؤلاء الضباط عند البارزاني من إمكانية القيام بإنتفاضة مسلحة جديدة منظمة عن طريق الإستفادة من قدراتهم العسكرية، كما أنّ وصول هؤلاء ومن ثم آخرين الى بارزان فتح الطريق امام الفئة المثقفة الكُردية للمساهمة بشكل أكثر فعالية في الإنتفاضة المقبلة ومحاولة قيادتها في ميدان الفكر والمعارك. وهذا بدوره انعش آمال الوطنيين الكُرد عامة ودفعهم الى الإلتحاق ببارزان، وكان عدد الملتحقين من مختلف الفئات يزداد يوماً بعد يوم، حتى أنّ احد المصادر يقدر عدد الذين إلتحقوا بإنتفاضة بارزان بـ(٤-٥) آلاف شخص[٤٣].

لقد أثارت سياسة معاداة الشعب الكُردي، الفئة البرجوازية الكُردية التي بدأت تنمو قبل واثناء الحرب، وغدت تحس بمصالحها الطبقية أكثر من السابق، ونظراً

(٤١) جريدة القاعدة، لسان الحزب الشيوعي العراقي ١٩٩٤، العدد ٣-١٦.
(٤٢) نجفقلي، ص٩٨.
(٤٣) Rambout.P.44.

لامكانياتها المالية النسبية، كانت تحس بضرورة اخضاع سوق كُردستان لنفوذها المالي. ولهذا رأت في حصول الشعب الكُردي على نوع من الإستقلال المحلي الاداري تحقيقاً لهذا الحلم بفتح الطريق أمامها للتطور والتوسع واستقلال سوق كُردستان في المستقبل وبناء العلاقات التجارية مباشرة من دون تدخل البرجوازية التجارية العربية مع الرأسمالية الغربية. لهذا فان هذه الفئة حملت بقوة الأفكار القومية الكُردية ورأت في تحقيقها نجاحاً لمصالحها الطبقية. وتظهر هذه الأفكار والمواقف والشعور بالامتهان القومي ودرجة حرمان الشعب الكُردي من حقوقه، ويظهر كذلك صراع الحكومة وحربائيتها من مقالة لأحد البرجوازيين الكُرد في مجلة (گەلاویژ) رداً على خطاب نوري السعيد في كركوك امام جماعة من رؤساء الكُرد والضباط، يقول هذا البرجوازي الكُردي في مقالته:

«إن فخامة نوري السعيد رئيس الوزراء قد عبر في خطابه للضباط العراقيين بأن –العراق شركة بين الكُرد والعرب– ونظراً لأن الطرفين اعضاء في هذا فالحق يفرض أن يتاح للكُردي الفرصة للتفاخر بقوميته كما يفعل العربي، غير ان اعطاء حق التفاخر القومي للعربي وحرمان الكُردي منه، بأن يسجن، أو يُفصل من وظيفته ويُطرد من مدرسته أو ينفى الى جنوب العراق اذا تفوه بكُرديته يجعلنا ان نفكر أية شراكة هذه، أشراكة أم إستغلالية؟[٤٤].»

إن هذه التفرقة القومية، وهذا الإضطهاد في وقت كان الجيش الأحمر فيه يحاصر برلين، وجبهة الشعب تحرز الإنتصارات الحاسمة على الجبهة الفاشية، وفي وقت إشتد فيه نضال الشعوب المضطهدة وتطلعها نحو الإستقلال والتحرر، كان يدفع بالشعب الكُردي بمختلف فئاته الوطنية الى الشعور بالمرارة الزائدة، والى سلوك طريق النضال حتى ولو كان نضالاً مسلحاً لتحقيق ما يصبو إليه ويعتبره حقاً مشروعاً وطبيعياً له. وكان وهو في موقفه ينظر الى بارزان نظرته الى المنقذ. يقول إدموندز في هذا الصدد:

«نتيجة سياسة پان أرابيزم فإن (ملا مصطفى) كان يدخل في قلوب الكُرد ويغوص في عاصفة النضال والثورة[٤٥]»

دفعت هذه الظروف جمعية (هيوا) لتوسيع نشاطاتها، وتعدت هذه النشاطات حدود كُردستان العراق وبارزان لتصل الى كُردستان إيران وسورية، على أمل

(٤٤) گەلاویژ، حزيران ١٩٤٤، العدد٧.
(٤٥) Edmonds: Kurds and the revolution, P.5.

توحيد الجهود لهذا الشعب المشتتة قواه الوطنية ولمّ نضاله في جبهة واحدة. لهذا أرسلت الجمعية مندوبيها ورسلها الى كُردستان إيران للإتصال بجمعية (ژ.ك) (ژیانەوەي کورد – بعث الكُرد) وجمعية (خوييبون) في سورية. إن هذا النشاط السياسي من جهة، وكذلك تحرير جزء من كُردستان إيران من قبل الجيش الاحمر ومحاولات الشعب الكُردي هناك تقرير مصيره وبناء مستقبله من جهة أخرى، شكل مخاطر جدية للحكومة العراقية والإستعمار الإنكليزي. لهذا استعجلت في إستكمال إستعداداتها العسكرية للقيام بالهجوم الربيعي على بارزان قبل أن تستكمل عناصر الثورة إستعداداتها هناك. اضافة الى كل ذلك فان الوضع السياسي العام في العالم، ووضع وستراتيجية الإستعمار الإنكليزي في الشرق الاوسط، وإحتلال اوروپا الوسطى من قبل قوات الجيش الاحمر، وبداية ظهور العالم الإشتراكي وبالتالي ظهور الخطوط الاولى لإنقسام العالم الفعلي الى عالمين متناقضين. إن وجود جيوش سوڤيتية في إيران وفي قسم من كُردستان شكل مخاطر فعلية لإنكلترا ومصالحها ومستقبلها في هذه المنطقة. فإستوجب ذلك تحركاً سريعاً من قبل إنكلترا متمثلاً في الحكومة العراقية لضرب بارزان والحركة التحررية الكُردية النامية المعادية لها على نطاق كُردستان.

إن إنكلترا الإستعمارية كانت في حاجة ماسة الى ثروات العراق لتعيد بناء امبراطوريتها التي جعلتها الحرب على وشك الإنهيار والإفلاس الكامل، لذلك كانت بحاجة الى الإستقرار والأمن في العراق، وبالتالي الى إستخدام الحديد والنار ضد الحركة التحررية الكُردية التي تمركزت في بارزان. وكان تأسيس جمهورية كُردستان الديمقراطية في مهاباد في كُردستان إيران وظهور الحزب الديمقراطي الكُردستاني كقائد موجه لهذه الجمهورية الكُردية الفتية قد شكل تهديداً خطيراً لمصالح الإستعمار في هذه المنطقة. فمما لا شك فيه ان تأثير جمهورية كهذه على مجموع الشعب الكُردي لا يمكن تحديده، إذ ستكون دافعاً ملهماً لدفع بقية الشعب الكُردي في اجزاء كردستان الممزقة بين تركيا والعراق وسورية لإعادة تلك التجربة.

إن وجود جمهورية كُردية في قلب كُردستان لها علاقات ودية حسنة ومتعاطفة مع الإتحاد السوڤيتي، لم يكن حادثة يمكن لإنكلترا الإستعمارية هضمها بسهولة، خاصة اذا عرفنا بأن كُردستان بلد يطفو على بحيرة زاخرة من النفط. إن الخوف من مصير النفط ووقوعه في يد الكُرد كما يقول (رامبو) كان دافعاً قوياً للإستعمار الإنكليزي في الهجوم على بارزان وكذلك على مهاباد. فلقد فرضت الستراتيجية

البريطانية ان تتخلص من تلك الجمهورية بأسرع ما يمكن وبأية وسيلة كانت وكذلك التخلص من بارزان قبل ان تنجح في الإلتقاء مع مهاباد. لقد صرح وزير الدفاع العراقي وإعترف بهذه الحقيقة بقوله امام البرلمان:

«لقد كنا على ثقة بأن بارزان سوف تلتقي مع ثورة أذربيجان لهذا سحقناها قبل ان تنجح في ذلك[٤٦].»

لقد كانت بارزان بثوريتها ومحاولاتها إعادة التجربة مع مهاباد شوكة في جنب إنكلترا، كما وأن اسهل الطرق وأحسنها لمهاجمة مهاباد كان عن طريق مناطق بارزان، لهذا كان من ضرورات الستراتيجية الإنكليزية سحق بارزان ومنها الإنطلاق لسحق مهاباد.

ولقد كانت السلطة تنوي مهاجمة بارزان منذ سنة ١٩٤٣ غير ان نقص الاسلحة وعدم إستعداد الجيش العراقي الذي لم يستطع إكمال إستعدادته حتى آب ١٩٤٥، وفي هذا الوقت بوشر بالهجوم على بارزان، ويعترف احد الضباط العراقيين المشاركين في الجيش العراقي آنذاك بهذه الحقيقة بقوله:

«كانت الحكومة تنوي منذ سنة ١٩٤٣ مهاجمة بارزان، غير أن نقص الأسلحة حال دون ذلك، وكان من المؤمل ان يتم التجهيز والإستعداد في ايلول ١٩٤٥[٤٧]»

غير أن الرغبة في الإستعجال كما يظهر جلياً جعل الإستعداد يتم بسرعة اكبر مما كانوا يأملون.

وقام تنظيم المقاومة المسلحة أيضاً على نفس هذا المستوى، ففي شباط ١٩٤٥ تم تأليف لجنة للإشراف على الثورة سميت (ليژنەي ئازادي= لجنة الحرية) برئاسة البارزاني وعضوية الضباط. وفي هذا الشهر أيضاً وفي ١٢ منه تقرر القيام بإنتفاضة مسلحة ضد الحكومة، إنتفاضة تُقاد من قبل عناصر عسكرية، تجد لنفسها رابطة قوية وعلاقات متينة مع المنظمات الكُردية، لغرض ربط الإنتفاضة بالمدن وجماهيرها، أي وصل النضال المسلح في القرى والجبال بالنضال الثوري والفكري في المدن. ولقد قامت اللجنة بتحديد منهج الإنتفاضة وأهدافها ومحتواها القومي والديمقراطي ورسم حدودها ونطاقها. وقامت في نفس الوقت بعمليات وخطوات في

(٤٦) جريدة كُردستان، لسان حال الحزب الديمقراطي الكُردستاني وجمهورية مهاباد في كُردستان إيران، ١٧ نسان ١٩٤٦، العدد ٣٦.
(٤٧) حسن مصطفى، البارزانيون، بغداد ١٩٦٣، ص٨٣.

ميدان التنظيم وإصدار بعض القرارات الهامة التي كانت في الواقع المنهج الاساسي للإنتفاضة، وهذه القرارات هي:

١- توحيد صفوف العشائر في مناطق بازران، ومن ثم توحيد جميع العشائر والقرى في كُردستان عامة.

٢- تحرير كُردستان العراق بالطرق الدبلوماسية والسلمية بقدر الامكان.

٣- إيجاد صلات مع التنظيمات الكُردية الوطنية.

٤- تقديم مطاليب الشعب الكُردي الى الدول الاجنبية عن طريق سفاراتها في بغداد.

٥- نشر أهداف الشعب الكُردي ومطاليبه عن طريق الجرائد والمجلات.

٦- مقاومة السياسة الإستعمارية الاحتلالية.

٧-تنظيم القوة المسلحة[٤٨].

من هذه البنود إنطلقت ثورة بنضال الشعب الكُردي عامة، وأخرجتها هذه البنود عن نطاق منطقة بارزان لتمثل الشعب الكُردي في كُردستان العراق وتعبر عن أمانيه في الحرية والديمقراطية، وفي ضوء التحديد الشامل لعدو الشعب الكُردي وهو الإستعمار والتأكيد على محاربته والقضاء على هيمنته في العراق، غدت الإنتفاضة رمز نضال الشعب العراقي، بعربه وكُرده، ضد الإستعمار وعمالة الملكية الرجعية الحاكمة. ولقد عبّر قائد الإنتفاضة خير تعبير عن هذا الرمز رداً على اتهامات السلطة ودعاياتها المغرضة بتصوير الإنتفاضة وكأنها قائمة ضد الشعب العربي، حينما صرح قائلاً:

«إنني لم ولن أحارب الشعب العراقي الذي أنا منه، بل حاربت وسأحارب الإستعمار والرجعية اللذين يعتديان على كرامة وطننا ويمتصان دماءنا. إنني أدعو الشعبين الكُردي والعربي لتوحيد نضالهما ضد الإستعمار...[٤٩]»

لقد ساندت المنظمات والجمعيات الكُردية الوطنية إنتفاضة بارزان ووضعت كل امكانياتها الفكرية والنظامية لخدمتها وايصال صوتها الى الشعب العراقي وشعوب العالم عن طريق سفارات اميركا والسوفيت وفرنسا والصين، والتي عبرت فيها بحق عن آمال الشعب الكُردي وعدالة قضيته وظروفه الصعبة وحرمانه من ابسط حقوقه القومية والانسانية، كما بينت الدوافع الأساسية للإنتفاضة، التي حاولت السلطات

(٤٨) قرداغي، ص٤٢.

(٤٩) جريدة النضال (خه بات)، ١نيسان ١٩٦٠، العدد ٢٨٤.

عن طريق ابواق دعاياتها تشويهها الى أبعد حد. فلقد جاء في المذكرة:

«قدمنا لكم في شهر نوڤمبر ١٩٤٣ مذكرة أوضحنا فيها وضع الشعب الكُردي ومطاليبه... إنكم تتذكرون دون شك بأنه في السنة الماضية قامت إنتفاضة في بارزان كتعبير عن السخط وفساد الادارة، إن السلطات تحاول جهدها إخفاء الحقيقة وإظهار القضية وكأن اصابع اجنبية تحركها. إن السلطة تحاول إخفاء سياستها وافعالها الشائنة وراء هذه الدعايات، ولكن الوثائق التي تكذب هذه الإدعاءات كثيرة وهي في حوزتنا. إن كل ثورة تحدث في كُردستان غرضها لايتعدى تحرير الشعب الكُردي وتحقيق أهدافه والخلاص من الحرمان. إن هذا هو هدف كل كُردي وكل ثورة كُردية»

وقامت منظمات أخرى في نفس الوقت بنشاط واسع لغرض شرح القضية الكُردية وأهداف إنتفاضاته للشعب العربي في العراق، محاولة بذلك ربط كفاح الشعبين وسد المنافذ امام سياسة فرق تسد الإستعمارية، كما وقامت بفضح الحكومة والكشف عن سياستها الحربائية تجاه الشعب الكُردي ومطاليبه، وما تجرّه إستعدادات الحكومة للقيام بحرب ضد الشعب الكُردي من مآسي ومشاكل وحرمان ومصاريف لا ضرورة لها. ومن ذلك نشرة مفصلة لمنظمة (شباب الكُرد) التي وجهت فيها نداءً الى الشعب العربي في العراق جاء فيها:

«لقد مرت سنة ونصف على الوضع غير الطبيعي والقلق في شمال العراق، إن السياسة التي تمارسها السلطات العراقية أدت الى حمل السلاح والقيام بثورة... إن السلطات تعيد وتكرر في دعاياتها تأثير الدين والقومية والمذاهب وما الى ذلك لغرض شق وحدة صفنا، وغرضها من ذلك تمرير مؤامراتها وسياستها اللاشعبية علينا، إنكم تعلمون انه في المدة الاخيرة قدم مصطفى البارزاني بعض المطاليب الى السلطات كفتح المدارس والمستشفيات والصيدليات وفتح الطرق وإفساح المجال لحرية الرأي ومقاومة الجوع في كردستان... الخ. غير ان السلطات لم تلبِّ هذه المطالب وكانت سياستها تناقض تماماً مطالب الشعب الكُردي. إن السلطة نتيجة لإنتفاضة بارزان سنة ١٩٤٣ خسرت (٦٠٠) ألف دينار كما صرح وزير المالية بذلك في ١٩٤٤، هذا عدا الارواح والاموال الكثيرة التي ذهبت ادراج الرياح، ومع هذا فانها سائرة في سياستها الهوجاء، فالوطنيون الكُرد يملأون السجون بدعوى انهم يريدون الإنفصال وإنتفاضاتهم تحركها أصابع أجنبية...»

وتاتي النشرة، بعد سرد تفاصيل اخرى للاسباب الرئيسية لإنتفاضات بارزان، وتشطب دعايات الحكومة التي إستهدفت تعكير صفو العلاقات بين الشعبين بالقول:

«إننا نفاخر باخواننا العرب ونأمل ان يتفهموا وضعنا وكذلك السياسة الهوجاء التي تمارسها الحكومة، هذه السياسة التي ليس فيها سوى خراب الشعب العراقي عربه وكُرده. إن السلطة تحاول بذر الشقاق بين هذين الشعبين الشقيقين. إننا لا نحاربكم، فمصاعبنا هي مصاعبكم والعراق وطننا المشترك ونحن نشارك بعضنا في الأفراح والأتراح[٥١]»

ويلاحظ في النشرات وجود روح جديدة وتفهم أكثر عمقاً لمشاكل العراق وظروفه، والسياسة التي يجب اتباعها لخلاصه من السيطرة الاجنبية، إن هذه الأفكار والأساليب النضالية الجديدة، كانت عاملاً مباشراً في تبلور أهداف إنتفاضة ١٩٤٥، ودفعها الى الامام الى مستوى رفيع من المحتوى الديمقراطي والثوري التقدمي.

فهذه هي المرة الأولى التي تحاول فيها إنتفاضة كُردية وبشكل رسمي وعلى هذا النطاق الواسع ربط مصيرها بمصير الشعب العربي في العراق، فقد وضعت هذه الإنتفاضة الحجر الاساس لشعار الأخوة العربية الكُردية ونضالهما المشترك ضد الإستعمار والرجعية. لقد كانت هذه الخطوة ضربة قوية موجهة الى صرح سياسة فرق تسد الإستعمارية، والتي دكت نتائجها كل أركانها.

إن الذي دفع بهذه الجمعيات الى إتباع هذا الأسلوب الجديد في النضال، والى تبني هذه الأفكار والمباديء الثورية، هو في الواقع الصراع الآيديولوجي والتأثير الذي احدثته النظريات الثورية على نطاق واسع في كُردستان. فإنتشار الأفكار الاشتراكية في كُردستان والتأثير الذي احدثه إنتصار الجيش الاحمر على قوى العدوان النازي وهزيمة ألمانيا التي كانت وشيكة وعلى الابواب، وتحرير شمال كُردستان إيران، والتلاحم بين الكُرد، كل هذه الأفكار دفعت بالحركة التحررية الكُردية الى الأمام، وشددت من ضراوة النضال الطبقي، وأثرت بدرجات متباينة على مختلف القوى الوطنية الموجودة لمختلف الفئات في كُردستان، وإنعكست بالتالي على مجمل نشاطها واسلوب نضالها.

حتى ذلك الحين كانت هذه المنظمات تقود نضال الشعب الكُردي بشكله السري، ومع ذلك إستطاعت ان تجمع حول راياتها مختلف فئات الشعب الكُردي وأن تقوم

(٥١) قَرداغي، ص٩٦ - ٧٢.

بدورها في تنظيمها ودفعها الى النضال. يقول (فيدجينكو):

«كانت المنظمات الكُردية من ١٩٤٣-١٩٤٥ سرية ولعبت دوراً كبيراً في ايام الحرب العالمية، كما إستطاعت جمع جماهير غفيرة حولها من فئات مختلفة من المثقفين الى الضباط وبرجوازيي المدن ورؤساء العشائر[٥٢]»

إن التطور هو دائماً نتيجة للصراع وتطور المجتمع الكُردي، وتلقيحُه بالأفكار الثورية قد اوجد منظمات وجمعيات مختلفة. وزاد من شدة الصراع، الصراعُ العالمي الفكري وانقسامه الى كتلتين متناحرتين، وكان لابد للجمعيات والمنظمات الكُردية التي كان كل واحد منها يهيّء نفسه لقيادة الشعب الكُردي من تحديد موقفه من هذه الظروف العالمية الجديدة، وإيجاد أسلوب نضالي جديد على ضوئها. وعلى ضوء مباديء أكثر تطابقاً مع روح العصر والتطور معبراً في نفس الوقت بأكثر ما يكون من الشمول عن مطامح الشعب الكُردي. وقد حدث نتيجة لذلك في هذه الفترة العصيبة من تأريخ الشعب الكُردي صراع آيديولوجي بين هذه المنظمات، بين القديم والجديد، وإنعكس ذلك على إنتفاضة بارزان أيضاً.

وكانت أبرز صور هذا الصراع في جمعية (هيوا) حيث حدث أكبر تنظيم سياسي في المجتمع الكُردي (إضافة الى هيوا كان هناك فرع الحزب الشيوعي في كردستان العراق، أي حزب وحدة النضال، وحزب (ژ.ك)، ومنظمة شباب الكُرد، وجمعية جيش الكُرد) إن حزب (هيوا) الذي أسسه بعض الضباط والمثقفين الكُرد بين ١٩٣٨-١٩٣٩، كان حزباً قومياً صرفاً في أفكاره وطابعه وطريقة واسلوب نضاله، ولم يعر اهتماماً للنضال الطبقي ودوره، ولهذا كان رصيده في تنظيم الفلاحين ضعيفاً وكان منتشراً وسائداً وله جماهير واسعة في اوساط الطبقة الوسطى وأهل المدن، وكان هدفه الأكبر توحيد كُردستان وإنشاء دولة مستقلة، ولم يحدد اسلوباً نضالياً معيناً لذلك، فالمهم عنده تحقيق هذا الهدف حتى ولو تمَّ بمساعدة مباشرة من الغرب الإستعماري. ولم يعر هذا الحزب اهتماماً يُذكر بسبب افكاره القومية للنضال المشترك العربي والكُردي، كما لم يستطع فهم الدور الذي يمكن ان يلعبه نضال الشعبين المشترك في تحقيق أهداف الشعب الكُردي، على الأقل في كُردستان العراق. وحتى في اسلوب نضاله وقبوله للأعضاء كان متزمتاً يتبع الأساليب القديمة، إذ كان قبول العضوية عن طريق الحلف والقَسَم أمام القرآن وخنجر، وفي نفس

(٥٢) أي. إف. فيدجينكو، العراق والعرب في النضال من أجل الإستقلال، موسكو ١٩٥٧، ص٣٩٩ (باللغة الروسية).

الوقت كان لرئيس الحزب قدسية خاص، إذ يذكر إسمه ويحلف ويُقسم به. وكان للحزب شبيبته الخاصة حتى بين الاطفال ومما لاشك فيه إن الظروف العالمية والداخلية الجديدة قد أثرت على حزب هيوا وأوجدت الشقاق في صفوفه. ويحدثنا الدكتور سعيد عزيز شمزيني الذي كان عضواً مرموقاً في هذا الحزب، عن اسباب هذا الشقاق ويحدده بنقطتين هما:

١- هل يجب مساعدة إنتفاضة بارزان، أم يجب إتخاذ موقف حيادي تجاهها، على أساس أن المساعدة ستؤدي الى إستياء الإنكليز خاصة، والسلطة العراقية عامة.

٢- لأجل تحقيق الأهداف القومية للشعب الكُردي هل يجب الإعتماد على إنكلترا أم على السوفييت[٥٣].

والجانب الذي ايد وساند إنتفاضة بارزان وتلاحم بشدة معها ووقف ضد الإستعمار الإنكليزي تحول الى جناح يساري، فيما إتخذ الجناح الآخر موقفاً مضاداً وأصبح بذلك يمثل الجناح اليميني في الجمعية. وعلى الرغم من ظهور الصراع الفكري بين الجانبين وإشتداد حدته، فإن حزب (هيوا) عامة إضطر (أي الجناح اليميني) وتحت ضغط الأحداث والجناح اليساري وجماهير الشعب الكُردي الى مساندة إنتفاضة بارزان.

أكد هذا الصراع ضرورة ولادة حزب كُردي جديد يعبّر بشكل أكثر إتقاناً وشمولاً عن مصالح وأهداف الشعب الكُردي القومية والطبقية، وقادر في نفس الوقت على قيادة حركته التحررية بكفاءة. ولقد كان هناك إعتقاد ولفترة من الوقت أن حزب شورش الذي إعتبر نفسه حزباً شيوعياً كُردياً بجمعه النضال الطبقي والقومي هو الحزب المنشود، غير أن بقاء المجتمع الكُردي مشتتاً بين عدة جمعيات ومنظمات وعدم قدرة هذا الحزب على لم شملهم وإنحلال الحزب نفسه قد دلّ على عدم كفاءته للقيام بهذا الدور، كما دلّ على إستمرار الأزمة الفكرية وصراعها في كُردستان.

إن هذا الصراع الفكري والإنشقاقات التي بدأت تظهر في الحركة الكُردية قد أضرّت بحركة بارزان ونضوج إنتفاضتها. ولقد دفعت الضرورة بعد مدة الكثير من هذه الجمعيات للإتحاد في حزب جديد هو حزب رزگاري في ١٩٤٥. لقد كان رزگاري خير معبّر عن رغبة الشعب الكُردي وطلائعه التقدمية في الوحدة ولمّ الصفوف في وقت كانت فيه حركته التحررية على وشك الإنطلاق في بارزان. لقد قام رزگاري بدور واسع في تهيئة الرأي العام الكُردي والحزبي لمساندة بارزان والقضية

(٥٣) شمزيني، النضال (خهبات)، ١٩ تموز ١٩٦٠، العدد ٣٠٦.

الكُردية داخل العراق وخارجه. وكان من نتيجة دعاياته إلتحاق عدد كبير من المدنيين والضباط ببارزان. إن المنهج الذي أعده هذا الحزب كخطة لنضاله وأهدافه كان انعكاساً لذلك الصراع الفكري ورغبة الشعب الكُردي وتطور مجتمعه والتغيرات الفكرية فيه. ولقد صار المنهج والى حد كبير منهجاً للإنتفاضة التي انطلقت في بارزان بعد مدة في آب ١٩٤٥. وقد جاء في هذا المنهج الذي كان بياناً من اللجنة التأسيسية للحزب ما يلي:

١- هدفنا الكبير هو توحيد كُردستان الكبرى ونظراً لأن مجال نشاطنا هو كُردستان العراق، فإننا نناضل من اجل تحرير العراق من الهيمنة الرجعية والإستعمارية، التي هي العقبة الوحيدة امام الشعب الكُردي لتحقيق آماله وتقرير مصيره.

٢- النضال من أجل الحصول على الحكم الذاتي هو أول خطوة نحو تقرير المصير.

٣- النضال من اجل رفع الظلم والاضطهاد والظروف القومية الصعبة المفروضة على الشعب الكُردي وكافة الاقليات الأخرى.

٤- النضال من أجل توثيق العلاقات وربط نضالنا مع بقية الاحزاب والقوى الوطنية في كُردستان العراق ولمّ الشمل من أجل الحصول على حق تقرير المصير.

٥- النضال من اجل الإصلاحات العامة، واصلاح الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي وتطوير الحقوق الديمقراطية ورفع مستوى الزراعة والصناعة والثقافة، وإحياء الثقافة الكُردية من أدب وتأريخ.

٦- إستخدام اللغة الكُردية في كل المناطق الكُردية في الدوائر والمدارس.

٧- النضال من اجل توضيح المسألة الكُردية لدى الشعوب، خاصة شعوب الشرق الأوسط.

٨- النضال من اجل ايجاد العلاقات وربط الكفاح والتعاون مع بقية الاحزاب والقوى الوطنية في العراق.

٩- يعرقل تحقيق الحرية للشعب العراقي عامة والكُردي خاصة[٥٤].

إن هذه الأهداف الواضحة والدقيقة كانت حدثاً في تأريخ الشعب الكُردي ودافعاً قوياً لتطوير حركته التحررية وتعميق محتواها الثوري وتوسيع آفاقه الديمقراطية. فالنضال الصريح ضد الإستعمار والرجعية، ومحاولة التعاون وتوحيد النضال مع الشعب العربي، واخيراً الاعتراف بحقوق الأقليات، كان امراً ذا شأن، دفع بهذه الاقليات للإنضمام لإنتفاضة بارزان، وإبداء عطف أكبر على الحركة التحررية

(٥٤) محمد شيرزاد، نضال الاكراد، القاهرة ١٩٤٦، ص ٢٨.

الكُردية، التي وجدت فيها صديقاً ومدافعاً لا عدواً. كما وفسحت المجال امام الشعب العربي للمساهمة الفعالة جنباً الى جنب مع الشعب الكُردي لأن قضيتهما واحدة، ويعترف (فيدجينكو) بهذه الحقيقة بقوله:

«إن الوطنيين الكُرد لم يطالبوا بالحكم الذاتي الثقافي الكردستاني فقط، بل إنهم ساندوا فكرة إيجاد جبهة نضال عربية كُردية موحدة ضد الإضطهاد الداخلي، ومن أجل الإستقلال والتطور الديمقراطي لكُردستان وللاقسام العربية من البلاد كذلك[٥٥]»

ولقد إنعكست هذه الأفكار في إنتفاضة بارزان، وصارت هذه البنود من أهدافها الرئيسة فهي أيضاً طالبت بالحكم الذاتي، ودعت الى النضال الكُردي العربي المشترك لدكّ القواعد الإستعمارية والرجعية وتحقيق ديمقراطية حقيقية في العراق تحقق للشعبين ما يصبوان إليه. لقد أوجدت هذه الأفكار، وهذا التجمع الجماهيري بقيادة (رزكاري)، وإنعكاسها في بارزان رد فعل قوي لدى السلطات التي أحسّت بالخطر الداهم يهدد سلطانها. فأسرعت بتجهيز قواتها، وقامت قيادة الإنتفاضة بالتهيؤ والإستعداد فزادت من نشاطاتها ووسعت مجال التعاون بينها وبين حزب (هيوا) وتبادلت الرسائل واعدت الخطط. وقامت القيادة بارسال جملة من الارشادات والتوجيهات والاوامر الى هذا الحزب، لأجل الإستعداد ليوم الإنتفاضة. ولقد جاء في احدى الرسائل هذه التوجيهات:

يجب تنفيذ هذه الخطوات حال سماعكم بإنطلاق الإنتفاضة، وهي:

١- إعداد الطلبة للقيام بدورهم الثوري.

٢- القيام بالمظاهرات ونشر البيانات.

٣- تخريب الطرق وأسلاك التلفون، والهجوم على مراكز الشرطة والمخافر.

٤- قطع الطريق على الأجانب للتسلل في صفوف الشعب والثورة.

٥- إنذار الشركات التي تساعد الحكومة، وفي حالة رفضها يجب القضاء عليها.

٦- الأموال التي تحصلون عليها يجب صرفها حسب اوامر قائد الثورة ولجنة الحرية ولمصلحة الشعب، وأثناء احتلال المناطق التي تدعم السلطة العسكرية يجب ان تكون المعاملة طيبة للموظفين الحكوميين وللسكان بحيث لايكون ثمة شكوى[٥٦].

ومن جهة اخرى قامت لجنة الحرية بجولة واسعة مع مصطفى البارزاني في

(٥٥) فيدجينكو، ص٣٧١، (باللغة الروسية).
(٥٦) قَرَداغي، ص٦١ - ٦٢.

مناطق العشائر المحيطة ببارزان ومنطقة بهدينان وفي كُردستان العراق برمتها لأجل التفاهم مع القوى الوطنية ورؤساء العشائر وتوحيد الصفوف وضمها كلها الى إنتفاضة بارزان الموعودة.

وكانت الحكومة على علم من جهتها بهذه الإتصالات والنشاطات، فزاد تعاونها مع السلطات الإنكليزية للإستعدادات والتجهيزات. لقد كانت معركة فاصلة على وشك الوقوع بين قوى التقدم والتطور في بارزان وبين قوى الإستعمار والرجعية الداخلية، وعلى ضوء نتائج هذه المعركة كان يتوقف مصير الطرفين. ولاشك أن هذا هو الذي حدا بأحد الكتاب الكُرد الى إعتبار إنتفاضة بارزان في ١٠ آب ١٩٤٥ ثورة الشعب العراقي. ثورةً تحتل المكانة الطليعية بين ثورات شعوب الشرق الأوسط[٥٧]. ففي حالة نجاحها فإن كل ما بناه الإستعمار الإنكليزي والرجعية كان سيسير الى الزوال وبذلك يشرق على العراق عهد جديد من الحرية والديمقراطية طالما تاق اليه الشعبان الكُردي والعربي. وفي حال فشلها كانت تعني ركود وهزيمة القوة الثورية الكُردية لمدة طويلة من الزمن وتقوية ركائز الإستعمار والرجعية. ولقد تأكدت هذه الحوادث، فبعد فشل ثورة بارزان في آب ١٩٤٥، اصبحت ركائز الإستعمار أكثر قوة وإنتعشت الرجعية، وركدت الحركة المسلحة الكُردية ما يقرب من (١٦) عاماً.

بداية الإنتفاضة

حاولت السلطات مراراً إغراء قادة الإنتفاضة وجربت مختلف الاساليب من اغراء ورشوة وتهديد، غير انها فشلت في ذلك. وقبل ان تستكمل إستعدادتها العسكرية بدأت بالتحريات منذ بداية شهر آذار مع بداية الربيع فأصدرت اوامرها الى كل المخافر والمراكز بالقبض على كل بارزاني وتجريده من السلاح. وعلى إثر ذلك حدثت بعض الصدامات. ومن آذار حتى نهاية تموز ١٩٤٥، إستمرت الحكومة في تحرشاتها الجانبية الهادفة الى اشغال الثوار والحيلولة دون إستعدادهم. وقد أدت حادثه محاولة قتل (أولو بگ) خال مصطفى البارزاني والرجل الثاني بعده في احدى المصادمات، الى البدء بالإنتفاضة في وقت لم يستكمل الثوار فيه إستعداداتهم ولا مفاوضاتهم وإتصالاتهم مع بقية العشائر في كُردستان. ويكفي القول ان البارزاني كان في جولة مع بعض اعضاء لجنة الحرية في بعض المناطق الكُردية عندما وقعت تلك الحادثة وبدأت الإنتفاضة. فإنطلقت وهي غير مستعدة، وهذا ما كانت الحكومة

(٥٧) همزه عبدالله، ص٥٤.

تريده وتخطط له، وذلك في آب ١٩٤٥. عاد البارزاني على جناح السرعة الى مناطق بارزان للإشراف على سير المعارك، وقامت القوات العراقية بهجوم عام بمساندة قصف جوي شديد جوبه بمقاومة شديدة من قبل الثوار. وبجانب المقاومة المسلحة ارسلت لجنة الحرية مذكرة مسهبة بإسم قائد الثورة الى السفارات الاجنبية في بغداد شارحةً فيها وضع الشعب الكُردي وقساوة وبربرية السلطات، حيث جاء فيها:

«في الوقت الذي نكتب فيه هذه الرسالة تسحق قنابل الحكومة الاطفال والنساء، لهذا فإنني ارجوكم ان تُعلموا حكوماتكم بهذه المَسي كي تحول دون هذه العمليات الوحشية. اننا نطالبكم بأن تتذكروا بنود معاهدة الاطلنطي التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها[٥٨]»

ولم تؤد هذه النداءات الى نتائج سوى الى تشدد الحكومة، ومن ورائها الإستعمار الإنكليزي، في وحشيتها وقصفها وتوجيه كل ثقلها الحربي في هجوم عام ساحق ضد الإنتفاضة، حتى أنّ احد الضباط المشتركين في الحملة يعترف في مذكراته بأن كل قوات الحكومة قد زجت في الحرب ضد بارزان. وحاولت السلطة تبرير اعمالها الوحشية واضطهادها للشعب الكُردي وعدم اعترافها بابسط حقوقه، بإذاعة بيان على الرأي العام العراقي والعالمي جاء فيه:

«إن الحكومة حاولت كثيراً تقديم المساعدة لمصطفى البارزاني إلاّ أنه لم يقبل، ولهذا اضطرت الى وضع هذه المنطقة تحت الإحتلال العسكري.»

غير ان هذا البيان لم يقنع احداً، كما لم يستطع إخفاء معالم الجريمة التي كانت تُرتكب بحق الشعب الكُردي.

كانت خطة القيادة العسكرية العراقية تتمثل في شنّ هجوم عام على بارزان من اليمين ومن اليسار لإحاطتها، مستخدمة في ذلك الفوجين الخامس والرابع، بينما إستهدفت خطة قيادة الثورة ضرب هاتين القوتين كل واحدة على حدة للحيلولة دون اتصالهما وتقابلهما. ولذلك ارسلت قوة تزيد عن ٤٠ مسلحاً لعرقلة مسيرة الفوج الخامس. ونجحت هذه القوة الصغيرة في مهمتها، حيث أشاعت الفوضى في صفوف الفوج وعرقلت تقدمه، وبذلك فسحت المجال أمام قوة أخرى لضرب وتدمير الفوجين تدميراً كاملاً.

وفي ٢٥ آب ١٩٤٥ حدث تصادم بين قوة مسلحة من الثوار لم يزد عددها عن (١٠) اشخاص مع الفوج الرابع العراقي. وإستطاعت القوة المذكورة تحطيم الفوج

(٥٨) قَرَداغي، ص٨٨.

في معركة طويلة إستمرت من الصباح وحتى المساء بلغ فيها عدد القتلى من الجيش (٢٠٨) قتلى بين جندي وضابط و(٣٠٠) جريح، وغنم الثوار فيها (٥٠٠) بندقية و(٣) رشاشات و(٢٠) صندوق عتاد وجهاز لاسلكي ومدفع هاون وعدداً من القنابل اليدوية مع رشاش ڤيكرز. وعدا جريحين لم تكن هناك أية خسائر في صفوف الثوار، وسميت المعركة بمعركة بادليان[٥٩].

اشاع هذا الانتصار الرعب في صفوف الجيش وزاد من هبوط معنوياته، وبالعكس فقد إرتفعت معنويات الثوار خاصة والشعب الكُردي عامة. لقد كان افراد الجيش يحاربون مكرهين لعلمهم بأنهم يساقون الى حرب لاتفيد سوى الرجعية والإستعمار، وكان الثوار من جهتهم يعطفون على الجنود ويدعونهم الى عدم رفع السلاح في وجه إخوانهم والى التسليم، فكان الجندي الذي يستسلم يُؤخذ منه سلاحه ويُطلق سراحه.

أما قوة الثوار الأخرى المؤلفة من اربعين مسلحاً، فقد اصطدمت بالفوج الخامس، وإستطاعت تحقيق النصر رغم القصف الجوي والبري من قبل الطائرات والدبابات والمدافع. قُتل في هذه المعركة حوالي (١٥٠) ضابطاً وجندياً وجرح حوالي (٤٠٠)، وغنم الثوار مدفعين جبليين ورشاشتين و(٢٨) بندقية و(١٦٨) قذيفة مدفع مع (١٠) صناديق عتاد و(٤٠٠) حمولة عتاد وغذاء وملابس[٦٠].

بقيت قوة الفوج الخامس محاصرة لثلاثة أيام وأوشكت على الفناء التام، ولم تنجح كل مساعدات الحكومة ولا قصفها في انقاذها. فلقد كان الثائر الكُردي يحارب عن عقيدة وإيمان بقضية شعبه ووطنه، ولهذا كان من السهل عليه – بل يعتبره شرفاً اذا ما إستشهد في ساحة المعركة – ولهذا لم تستطع أي قوة أن تزحزحه عن مكانه. وقد جاء في احدى رسائل (صادق البارزاني) الى عمه وقائده (مصطفى البارزاني):

«مادامت هناك دماء تجري في عروقنا فاننا لن نسمح للأعداء بان يطأوا أرض الاحرار[٦١]»

ويعترف أحد الكتاب الإيرانيين ببطولة البارزانيين وشدة بأسهم بقوله:

«إن البارزانيين كانوا يحاربون ولايتحركون من اماكنهم، فإما أن يجبروا

(٥٩) قَرَداغي، ص٩٥-٩٦.
(٦٠) قَرَداغي، ص٩٥-٩٦.
(٦١) كذلك، ص٩٦.

العدو على الإنهزام أو أن يموتوا في مواقعهم[٦٢]»

وعلى جبهة الشرق تحطمت قوات اللواءين الثالث والرابع، وحصل الثوار على كميات كبيرة من الاسلحة والعتاد بضمنها ثلاث مدافع كبيرة وعدد كبير من الرشاشات والبندقيات[٦٣]، أما عدد قتلى وجرحى الجيش فكان بالمئات.

إن هذه الانتصارات الرائعة والمعارك في المنطقة التي كان الضباط يقودونها بنجاح تام ضد القوات الحكومة، جعلت السلطات تفكر جدياً بأن القضاء على الإنتفاضة عن طريق الجيش والشرطة غير ممكن، وأحست بأن الإنتفاضة سيطول أمدها وفي ذلك يكمن خطر توسعها على نطاق كُردستان وفيه النهاية الحتمية للسلطة والإستعمار الإنكليزي. اضافة الى هذا، فإن ولادة جمهورية مهاباد الديمقراطية في كُردستان إيران، وخوف السلطات من إلتقاء هذه الجمهورية بالإنتفاضة وبالنتيجة ستستحيل السيطرة على الموقف. كل ذلك دفع السلطات للإستعانة المكشوفة بالسلطات البريطانية، وبكل ما لديها من امكانيات مالية وحيل وخداع. وكانت أولى الخطوات في هذا المجال التوجه نحو القبائل الكُردية المعادية والمشاركة في الإنتفاضة وإغرائها ورشوتها لترك صفوفها والإنضمام الى الحكومة.

وإستطاعت الحكومة بذلك شراء ذمم بعضهم، ومما زاد الأمر خطورة بالنسبة للثوار نجاح السلطة في شراء ذمم بعض الرؤساء الذين كانو يحاربون في صفوف الثورة. فعن طريق هذه العشائر واشراكها في المعارك إستطاعت إنقاذ قواتها من الحصار وتوجيه الضربات للثورة. فبمساعدة (٤٠٠) مسلح من مختلف العشائر إستطاعت الحكومة انقاذ الفوج الخامس من الطوق الذي كان يهدده بالفناء المحتم، وذلك في ١٦ أيلول ١٩٤٥.

ومنذ اليوم الذي تم فيه كسر الحصار المفروض على هذا الفوج، بدأت قوات الحكومة وبمساعدة مباشرة من العشائر في تنفيذ خطة الهجوم، واضطر الثوار الى الإنسحاب المنظم الى مواقعهم الأصلية! وبعد الشروع في الإنسحاب، حدثت معركتان قررتا مصير الثورة، وهما معركتا (هَرن و پيرس). هَرن هي قرية تقع على بعد ثلاث ساعات من بارزان أصبحت القرية مقراً وقاعدة لتجمع كبير للقوات الحكومية والعشائرية، لإستخدامها كقاعدة لانطلاق الهجمات على مناطق بارزان نفسها. وقد بلغ عدد قوات العشائر المسلحة (٧٠٠) مسلح وهو عدد كبير جداً.

(٦٢) نجفقلي، ص٤٣.
(٦٣) قَرَداغي، ص٩٧.

وشعرت قيادة الثورة بخطورة هذه القاعدة على مصيرها، ولهذا رأت ضرورة القضاء عليها بما فيها من قوات، الأمر الذي سيؤدي الى التخلص من تهديدها المباشر والخطير، والى القضاء على القسم الأعظم من قوات العشائر والحكومة. إن مصير الثورة في الواقع كان يتوقف الى حد كبير على نتيجة هذه المعركة. ولقد وضعت خطة الهجوم، وذلك بأن تحاط القرية بـ(٦٠) مسلحاً ثورياً، على ان يقوم مدفع ينصب بعيداً عن القرية بقصفها لغرض إشاعة الفوضى والإضطراب في صفوف قواتها ويسهل الهجوم عليها وإحتلالها. ومن المؤسف أن المدفع لم يقم بواجبه في الوقت المحدد. فإضطربت خطة الهجوم وفشلت وإنعكست النتائج تماماً، حيث إضطرت قوات الثورة الى الإنسحاب وبدأت قوات الحكومة بالهجوم المركز. وتوالت الهجمات حتى اضطر الثوار الى الإلتجاء الى آخر معقل لهم في منطقة جبال (پيرس) وتحصنوا فيها وعددهم لايزيد عن (٦٠) مسلحاً حاصرتهم قوات الحكومة المؤلفة من اللواء الخامس تسانده (٨) مدافع و(٥) طائرات و(١٢٠٠) مسلح من قوات العشائر الكُردية. وبعد معارك دامية دامت يوماً كاملاً إستطاعت قوات الحكومة احتلال الجبل بعد أن قرر الثوار الإنسحاب الى الحدود الإيرانية بعد إحساسهم بعدم جدوى القتال.

دام الإنسحاب الذي تخللته معارك حتى ١١تشرين الأول ١٩٤٥، حيث وصلت قوات الثوار مع عوائلهم الذين زاد عددهم عن (٣) آلاف شخص الى مركز (كيله شين) على الحدود العراقية الإيرانية.

نتج عن هذه المعارك التي دامت شهرين، إلحاق أضرار فادحة بقوات الحكومة، حيث وصل عدد قتلاها الى (١٣٢٨) شخصاً الى جانب (١٦٠٠) جريح، وفقدت قدراً كبيراً من أسلحتها قدر بـ(٨) مدافع و(٩) طائرات و(٢٠٠٠) قطعة سلاح[٦٤]. هذا عدا العتاد الحربي والمؤن والاغذية والملابس والحيوانات. بينما كانت خسائر الثوار (٥) شهداء وجرح (٨)، غير ان الاضرار التي لحقت بالسكان الآمنين وصلت درجة كبيرة لايمكن تحديدها. فمناطق بارزان تحولت الى خراب، ولم يبق منها بيت ولا مزرعة إلاّ وأُحرق أو دُمِّر، ويعترف احد المصادر المطلعة بأنه:

« لم تبق في منطقة بارزان قرية قائمة فكلها خُربت وأُحرقت، حتى الاشجار تحولت الى رماد[٦٥]»

(٦٤) Rambot.P.76
(٦٥) قَرَداغي، ص١٠٤-١٠٥.

وأصبحت المنطقة خالية من السكان، إذ إضطُر حوالي (١٥) ألفاً من النساء والأطفال الى الإلتجاء الى الكهوف، فيما قُتل وجُرح حوالي (١٠٠٠) شخص وخُربت (٣٥) قرية تماما وأُحرقت مئات المزارع وأُبيدت آلاف المواشي[٦٦].

إن دراسة لأسباب فشل هذه الإنتفاضات تلقي المزيد من الضوء على واقع الشعب الكُردي وظروفه وتياراته الاجتماعية والفكرية، ومجتمعه ونوعيته، وكذلك على نوعية المجتمع العراقي عامة ودور القوى التي لعبت دورها والتي لم تلعبها كما يجب.

وأولى هذه الأسباب إختلاف ميزان القوى بين الطرفين والذي كان سبباً هاماً ومباشراً في فشل الثورة. فالقوات الحكومية كانت متفوقة عددياً وساعدتها القوات العشائرية، هذا ناهيك عن القصف المركز من قبل الطائرات والذي حول المنطقة الى خراب. فالخوف من إتساع الثورة دفع الحكومة الى زجّ كل امكانياتها الحربية في ساحات القتال، حيث وصل عدد القوات المسلحة النظامية وغير نظامية الى حوالي (٤٢) ألف مقاتل[٦٧] تساندهم (٢٥) طائرة حربية كانت دائماً على إستعداد للقتال إنطلاقاً من مطاري الموصل واربيل[٦٨].

وكان عامل القصف من أشد هذه العوامل، حيث كانت (٧-١٤) طائرة تقوم بالقصف ثلاث مرات يومياً[٦٩]. إن استخدام القوة الجوية الملكية البريطانية المباشر وعلى نطاق واسع، والمساعدات المالية وغيرها التي قدمتها إنكلترا قد شكل العامل الحاسم في فشل الثورة. فلولا إنكلترا لما كان بإستطاعة العراق هذه المرة إحراز النصر على الثوار. لقد صرح قاضي محمد رئيس جمهورية مهاباد بأن:

«المساعدة الإنكليزية الفعالة أدت الى القضاء على كل تلك القوة الثورية والمعنوية العالية والعزيمة القوية لدى البارزانيين، هذه المساعدة التي لولاها لإنتصرت ثورة بارزان وحققت أهدافها وهي إستقلال كُردستان[٧٠]»

ولاشك ان استخدام العشائر الكُردية ضد الثورة، وشراء ذمم بعض العشائر الثائرة لم تؤد فقط الى ترجيح كفة الحكومة، بل تسببت في خسارة الثورة لقوى كبيرة، عدا ان هذه العشائر كانت مثل البارزانيين على دراية وخبرة بالمعارك الجبلية، وكان هذا العامل حاسما أيضاً في القضاء على الثورة. فالقوات الحكومية قبل ان

(٦٦) Memorandum Sun la situation PP.29-30
(٦٧) نادر محمد رؤوف، ص١٧٤.
(٦٨) Memorandum.P.29
(٦٩) Gavan. P.39
(٧٠) ڕۆژنامەی کوردستان، مهاباد، ژمارە ٤٧، ١٢ ف ١٩٤٦.

تجذب هذه العشائر الى جانبها لم تستطع احراز أي نجاح، حيث يقول فيدجينكو:

«إن القصف الشديد من قبل القوة الجوية العراقية او البريطانية – التعليق هنا من الكاتب– ومن ثم قرار الحكومتين التركية والعراقية بغلق حدودهما، وكثرة الجيش العددية وتسليحه الحديث، وشراء ذمم العشائر المحيطة ببارزان، كل هذه كانت عوامل أدت الى إنتصارالسلطة[٧١]»

وثاني هذه الاسباب، الإحاطة المحكمة والحصار القوي الذي فرضته السلطات على مناطق الإنتفاضة في بارزان، وحالت بذلك دون انتشارها خارج نطاق بارزان، كما منعت بذلك وصول أية مساعدات او امدادات اليها. وقامت القوة الجوية البريطانية كما يقول (فيدجينكو) بالإستيلاء على المدن والمناطق الستراتيجية لحصر الثورة في نطاق بارزان[٧٢].

لقد ألحق هذا العمل اضراراً فادحة بالثورة، فالبارزانيون لم تكن تنقصهم الأسلحة، غير أن هذا الحصار حال دون تزويد الثوار بالأغذية والملابس من قبل الشعب الكُردي، وهذا النقص كان الثوار يعانون منه بشدة، لأن القصف أحرق كل المزروعات وخرّب كل البيوت وقضى على المواشي. وزاد من سوء الوضع حلول الشتاء، مما اضطر الثوار للإلتجاء في كثير من الأحيان الى الكهوف وأن يقتاتوا بالحشائش والثمار وما تبقى من أشجار البلوط. ويصوِّر أحد البارزانيين هذه الحالة البائسة بقوله:

«كان الوقت شتاءً وعائلاتنا واطفالنا التجأوا الى الكهوف، وكنا نرتجف من البرد والجوع، كنا على شفا الموت...[٧٣]»

إن وضعية كهذه لاتساعد على إستمرار أية ثورة مهما كانت قوة عزيمة رجالها، فلقد كان بالإمكان الاستمرار في الثورة وإلحاق الخراب الاقتصادي بالحكومة لو كان بإستطاعة الثورة الحصول على مساعدة من أي جهة كانت. ومما زاد في خطورة وضعهم ان الضغط لم يُخفف عنهم بإنطلاق الثورة في اماكن أخرى من كُردستان. إن بقاء الاجزاء الاخرى من كُردستان هادئة كان بداية النهاية للإنتفاضة.

ومما يدهش له حقاً ان بارزان تشرف على حدود إيران، وهذه الدولة كانت في هذه الفترة على درجة كبيرة من الاضطراب وقد تركت حدودها مفتوحة، لعدم تمكنها

(٧١) فيدجينكو، ص٣٧٠ (باللغة الروسية).
(٧٢) نفس المصدر باللغة الروسية.
(٧٣) كوردوئيف، المخطوطة.

من المحافظة عليها، وأكثر من ذلك فقد كانت جمهورية مهاباد في دور التكوين وكان بإمكانها ان تمد يد المساعدة، إلاّ ان شيئاً من ذلك لم يحدث. فلو قامت مهاباد عن طريق الحدود بمد الثورة بالمساعدات لكان مصيرها سيتغير حتماً. وثالث هذه الاسباب الدعاية القوية التي كانت ابواق السلطة تبثها، فقد حالت دون وصول صوت الثورة الى خارج العراق بل وحتى الى داخله، وبذلك ضللت الرأي العام الداخلي والخارجي.

هذه الاسباب كلها ادت الى عزل الثورة عزلاً تاماً، فعلى الرغم من الفضائع التي كانت تُرتكب بحق الشعب الكُردي ظل الرأي العام العالمي هادئاً لايعلم شيئاً مما يجري. وبالمقابل كان دور دعاية الثورة لنفسها وما قامت به المنظمات الكُردية بسيطاً وطفيفاً، إذ لم يتعد بضعة نشرات في الداخل وعدد من المذكرات الى السفارات. إن الوسائل كانت تنقص الثوار، ففي ١٩٤٤ إستطاعت جمعية (هيوا) وبعد جهد جهيد إرسال ماكنة طبع مع راديو الى الثوار. ان عدم وجود منظمات كُردية خارج كُردستان لإيصال صوت الشعب الكُردي الى شعوب العالم فسح المجال واسعاً أمام الإستعمار والسلطة العراقية لإستخدام اقصى الوسائل وأكثرها وحشية في سحق الثورة، هذه الوسائل التي ما كان بإمكانها ان تستخدمها لو إستطاع الشعب الكُردي إثارة الرأي العام العالمي.

ورابع هذه الأسباب هو الظروف الموضوعية للشعب الكُردي والنظام الإقطاعي المستند على العلاقات العشائرية. فبساطة هذه العشائر وتفاخرها، وعمالة رؤسائها هيأت الجو لحمل بعضهم السلاح ضد أخيه الثائر الكُردي. وهو ما بيّن بوضوح ضعف الجمعيات الكُردية ومنظماتها، التي لم تستطع التوغل في صفوف العشائر والفلاحين وإحلال الشعور القومي والطبقي محل الرابطة والشعور العشائريين. إن عمل الفلاح الكُردي بأوامر سيده الاقطاعي والسلطة ليحارب ثورة قامت من أجله كان دليلاً أكيداً على عدم نضج الحركة التحررية الكُردية نضوجاً كاملاً.

وخامس هذه الاسباب، هو عدم وجود حزب ثوري طليعي مجرب في ميدان النضال القومي والطبقي بإستطاعته قيادة الثورة او على الاقل المساهمة فيها على نطاق واسع أو تنظيم الجماهير ودفعها الى النضال الثوري المسلح وغير المسلح. إن عملاً كهذا كان من شأنه اصابة الحكومة بالشلل في أكثر من جبهة، وكان يعني وضعها مع مجمل تناقضاتها في مواجهة الشعب الكُردي وعلى نطاق كُردستان.إلاّ أن إنعدام ذلك ساعد الحكومة في ان تضع مركز ثقلها ضد بارزان، وان تواجه

تناقضاتها مع الشعب الكُردي على نطاق بارزان فقط. وهذا ما كانت السلطة تعمل من اجله وتعتبره وسيلة فعالة لإنتصارها.

ومما يؤكد على ضعف هذه المنظمات وعدم أدائها دورها، حتى تلك المهمات التي ألقتها الثورة على عاتقها، أن حزب (هيوا) مثلاً يقم بتنفيذ أي من تلك الأوامر والخطط التي أرسلتها قيادة الثورة كما بيّنا سوى إرسال بعض المذكرات وهذا ما فعله حزب (رزگاري) أيضاً. ولهذا لم يستطع الشعب الكُردي التعبير عن سخطه على السلطة ومساندة الثورة. فبقيت إنتفاضة بارزان محصورة في نطاقها على الرغم من تعبيرها المباشر عن آمال الشعب الكُردي في كُردستان العراق. وإذا كان هذا دور المنظمات والجمعيات الكُردية فإن دور المنظمات العربية وجماهيرها كان أسوأ. إذ أن جماهير الشعب العربي ومنظماته الديمقراطية كانت ساخطة على الأوضاع وعلى الحكم الرجعي الإستعماري، ولهذا كانت تعطف على إنتفاضة بارزان وتعبّر عن تضامنها معها ومشاركتها في نضال الشعب الكُردي. غير أن هذا التعبير لم يتخطَّ نطاق التعبير النظري، فرغم قيام المنظمات الكُردية بإيصال صوت الشعب الكُردي الى شقيقه الشعب العربي، إلاّ أن منظمات الشعبين لم تستطع التعاون الفعلي وعقد جبهة موحدة فيما بينها. ولهذا بقيت إنتفاضة بارزان محرومة حتى من العطف الفعال من جانب الشعب العربي في العراق.

أما الاحزاب البُرجوازية العربية فعلى الرغم من ايمانها بكون الحركة ضد الإستعمار إلاّ انها صدّقت بدعايات الرجعية والإستعمار التي استهدفت تصويرها وكأنها انفصالية تنوي حرمان العراق من منابع نفطه الغنية. إن هذه الفئة من الشعب العربي حافظت على خوفها المتأصل في نفسها من أي حركة كُردية تطالب حتى بأقل ما يمكن من الحقوق القومية للشعب الكُردي، فالخوف من فقدان كُردستان جعل آذان هذه الفئة مستعدة لسماع اكاذيب السلطة، بل ومشاركتها مخاوفها ومساومتها في كثير من الأحيان لكي تؤمّن لنفسها ولو أقل حد ممكن من المشاركة في السلطة. وعلى هذا الاساس فإن ما حدث في ١٩٣٢ قد تكرر في ١٩٤٣ و ١٩٤٥ بأن إتحدت الرجعية المحلية والسلطة والإستعمار في جبهة واحدة ضد الحركات الكُردية الوطنية، بينما بقيت القوى الوطنية الداخلية مشتتة، وهو ما كان سبباً في توجيه الضربات للحركات وإلحاق الفشل بها، وقدمت بذلك للاستعمار والسلطة الرجعية المحلية عوامل البقاء والإستمرار.

هذه الإنتفاضات ورغم عدم تحقيقها أهدافها التي قامت من اجلها، وهي الحصول

على الحقوق القومية للشعب الكُردي في كُردستان العراق، وتأمين التطور الاقتصادي والاجتماعي له، إلاّ ان الدروس التي قدمتها للشعب الكُردي وحركته التحررية، كانت ذات قيمة عظمى.

إن فشل هذه الإنتفاضات لم يدفع بالشعب الكُردي الى اليأس كما كانت تأمل السلطات، كما ولم تؤد الى تهدئة الشعب الكُردي، صحيح أنه سادت فترة من الهدوء لم يقم فيها الشعب الكُردي بأية إنتفاضة مسلحة، غير ان ذلك الهدوء كان اشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة، هدوء يسوده التفاؤل بالمستقبل، ويسوده تطور متلاحق وتغييرات في الأفكار واسلوب النضال. فالدروس التي استنتجتها الحركة التحررية الكُردية من هذه الإنتفاضات لم تكن قليلة، فالقساوة التي اظهرتها السلطة والتعاون المباشر في المجزرة التي اقيمت ضد الشعب الكُردي من قبل الإستعمار الإنكليزي قد جرّد السلطة وكذلك الإستعمار من الستار الخادع والعطف الكاذب على الشعب الكُردي، وهذا ما دفع بالشعب الكُردي ومجموع حركته التحررية نحو اليسار والتخلي عن كل امل في الغرب وإنكلترا لمناصرته أو على الأقل إتخاذ موقف حيادي منها. لقد ظهر مقدار حقد وعداء الإستعمار على الشعب الكُردي وحركته بالادلة الدامغة على نطاق كُردستان وليس كُردستان العراق فقط.

إن الارهاب الأسود الذي فرضته السلطات بعد تصفية الإنتفاضة على الشعب الكُردي خاصة والعراقي عامة، وإجبارها البارزانيين على مغادرة وطنهم، وحرق مناطقهم وسجن ونفي مَن تبقى منهم وفعل كل ما يأباه الضمير الإنساني قد فجر حقد الشعب الكُردي ودفعه أكثر الى ميدان النضال الثوري، وقلل في نفس الوقت من هيبة ومكانة العراق المحلية والدولية. يقول فيدجينكو:

«بعد الإنتصار على إنتفاضة بارزان سلطت الحكومة الإرهاب على الوطنيين الكُرد وزجّت بالالوف منهم في السجون. ففي منطقة أربيل لوحدها قامت المحاكم العسكرية بالحكم على (٢٢) شخصاً بالموت وعلى (٧٠) بالسجن مدى الحياة. إن إرهاب الحكومة للوطنيين الكُرد وصل حتى الى خارج العراق وأثار استنكار جماهير الناس[٧٤]»

ان افعال الحكومة الاجرامية، واهاناتها المتكررة لكرامة الشعب الكُردي، ومباهاتها المستمرة بإنتصارها على إنتفاضة بارزان دفعها الى إطلاق إسم (المدافع

(٧٤) فيدجينكو، ص٣٧٠ (باللغة الروسية).

الملكية)[٧٥] على المدافع التي دكت كُردستان وخربت القرى والمزارع. بهذا الاسلوب كانت الحكومة تحاول إهانة الشعب الكُردي والذي زاد من سخط الشعب الكُردي ودفعه أكثر الى ميدان النضال. ولهذا فان كلام رئيس الوزراء جميل المدفعي، لم يكن يستند على أي اساس عندما صرح في القاهرة قائلاً:

«إذا كانت هناك إضطرابات في مناطق أكراد إيران، فان أكراد العراق لايشتركون في ذلك، إن الأكراد والعرب لديهم حقوق متساوية والأكراد يشتركون في مختلف مؤسسات الحكومة وبضمنها مجلس الاعيان والنواب، ان الأكراد يبذلون جهودهم للمحافظة على الوحدة العراقية[٧٦]»

إن ما أسماه بالإضطربات في إيران قد تمخض عن تشكيل جمهورية ديمقراطية للشعب الكُردي لأول مرة في تأريخه، والى هذه الجمهورية ومن اجل مساندتها والدفاع عنها والمساهمة فيها، لم تهاجر قوات البارزانيين المنسحبة فحسب، بل العشرات والمئات من الناس من مدن وقرى كُردستان العراق. فالشعور بوحدة المصير كان سائداً لدى الشعب الكُردي في إيران والعراق، والشعور بضرورة إعادة تجربة كُرد إيران في كُردستان العراق كان يقوى يوماً بعد يوم رغم الإرهاب ورغم مرور مدة قصيرة على القضاء على اكبر إنتفاضة له. وقد إعترفت جريدة (التايمس) اللندنية بهذه الحقيقة، حقيقة كره الكُرد للسلطة العراقية وعطفهم على مهاباد، وتأثير هذه الدولة الفتية على كُرد كُردستان العراق بقولها:

«إن احداث إيران تجعل كُرد العراق ينتفضون ضد حكومتها خاصة وانهم لايكنون لها سوى الحقد والكراهية[٧٧]»

لقد فشلت هذه الإنتفاضات، إلاّ أنها خلقت للسلطات العراقية مشاكل وهزات اقتصادية وسياسية قوية كادت تودي بها، ولاشك ان الازمة السياسية والإقتصادية التي وجدت الحكومة نفسها فيها والعزلة السياسية الخانقة التي وقعت فيها، حيث شعرت أنها مكروهة تماماً من الشعب بكرده وعربه. إن هذه الأزمة هي السبب في محاولة الحكومة تهدئة الخواطر، حيث قام الوصي على العراق بإلقاء خطبة وعد فيها بنظام ديمقراطي جديد وإصلاحات من شأنها تطوير العراق...[٧٨].

وقد بيّنت هذه الإنتفاضة ضرورة توحيد نضال الشعبين الكُردي والعربي معاً،

(٧٥) حسين حزني موكرياني، ص٣٢.
(٧٦) The Times, 25 march,1946
(٧٧) The Times, 25 march,1946
(٧٨) فيدجينكو، ص٣٧٠ (باللغة الروسية).

طالما أن عدوهم واحد وهو السلطة والإستعمار، ولقد صارت وحدة النضال المشترك شعار نضال الشعبين وبهذا هُدم تماماً اساس سياسة فرق تسد الإستعمارية.

لقد دفعت إنتفاضة بارزان ١٩٤٥ الحركة التحررية الكُردية الى الامام واوجدت لها الطريقة والاسلوب النضالي الضروري للمستقبل. فقد أثبتت بالأدلة أن الضرورة التاريخية للمجتمع الكُردي وحركته التحررية تحتم ولادة حزب ثوري جديد يمزج ظروف الشعب الكُردي بالظروف العالمية وبحركة الشعوب التحررية في العالم. وبيّنت هذه الانتفاضة أيضاً ضرورة التخلص من كل تلك الأحزاب التي لم تكن أهلاً لقيادة الشعب الكُردي، فأوجد هذا الفراغ وهذه الضرورة الحزب الديمقراطي الكُردستاني، إن ولادة هذا الحزب كان حدثاً تاريخياً، حيث تأسس في سنة ١٩٤٦.

لخّص هذا الحزب تجارب الشعب الكُردي وحركته التحررية ومنظماته فأوجد الاسلوب النضالي الواجب الإتباع لقيادة الشعب الكُردي نحو النصر، فربط نضاله بنضال الشعب العربي والفارسي والتركي والحركات التحررية التقدمية في العالم، وقام بتصفية كل النزاعات والتيارات الكوسموپوليتية الإنعزالية القومية في الحركة التحررية الكُردية ومزج العنصر الاجتماعي ودافعه والعنصر والدافع القومي وجعله أساس نضاله وبذلك وضع أساساً ثورياً عملياً ديمقراطياً للحركة التحررية الكُردية.

إن هذه الإنتفاضة قد أثبتت مرة أخرى رجعية الطبقة الإقطاعية وخيانتها لقضية الشعب الكُردي، وأن لا إنتصار للحركة التحررية الكُردية إلاّ بعد تصفيتها لآثار هذه الطبقة، وهو ما لايتحقق إلاّ بمزج الدافع القومي والإجتماعي الطبقي في الحركة، والإعتراف بوجود النضال الطبقي والدفاع عنه، والإعتماد الأساسي على قوى الفلاح وتأمين مطاليبه، وبذلك يتسنى للحركة تكوين جيشها وهدم الأساس الذي يستند عليه النظام الاقطاعي العشائري في محاربته للحركة الوطنية الكُردية.

وكان من شأن هذه الإنتفاضة إثارة عطف الشعب الكُردي في جميع أرجاء كُردستان، فصارت رمزاً حياً لكفاح الشعب الكُردي. إن مسيرتهم وإنسحابهم الى كُردستان إيران والإستقبال الحار الذي قوبلوا به ومساهمتهم الفعالة في بناء جمهورية كُردستان في مهاباد والدفاع عنها، لم يكن مجرد دليل على ذلك الشعور الموحد، بل دلّ كذلك على أن الحدود التي رسمها الإستعمار وقسّم بها كُردستان والشعب الكُردي ليست الاّ حدوداً مصطنعة لايعترف بها الشعب الكُردي ولايمكن ان تقف سداً في وجه إرادته في الوحدة، ولايمكن ان تُقسّم شعوره وأمانيه ومطامعه الموحدة كأمة كاملة مستقلة.

الفصل الخامس

جمهورية كُردستان الديمقراطية في مهاباد

لقد كانت كُردستان إيران مثل بقية أجزاء كُردستان تعيش في حرمان كامل من الحقوق القومية والديمقراطية. وإذا كانت سياسة (الأرابيزم = التعريب) هي المتبعة من قبل حكام العراق، فإن سياسة (پانئيرانيزم = التفريس) كانت سياسة تقليدية رسمتها السلطات الإيرانية وطبقتها بحق الشعب الكُردي في كُردستان إيران وتحت ستار وشعار أنّ الكُرد إيرانيون في الأصل. وكانت السلطات تناهض بشدة وتقابل بقساوة كل حركة ومطالب قومية كُردية مهما كانت بسيطة.

وإشتدت هذه السياسة وإتخذت سمة رسمية في عهد رضا شاه الپهلوي، لدرجة أن الكُردي حُرِّم عليه إرتداء ملابسه القومية الوطنية. وسجن هذا الشاه الإقطاعيين ورؤساء العشائر الكُردية وأفناهم في تلك السجون بالجملة، ولم يكن ذلك حباً بالفلاح ولا لغرض توزيع إقطاعياتهم عليه، بل لأن العلاقات الدينية والعشائرية كانت لاتزال تحتفظ بكثير من قوتها بين الفلاح والاقطاعي الكُردي أو رئيس العشيرة: هذه العلاقات التي كثيراً ما أدت إلى إعلان الفلاح لرغبات الإقطاعي وحمل السلاح من أجله، خاصة وأن بعض هؤلاء الرؤساء كانوا بدافع الشعور القومي يناهضون السياسة الإيرانية ويحملون السلاح ضدها.

لقد قوّى سجن وقتل هؤلاء الإقطاعيين الوطنيين، وشدّد شعور الفلاح الكُردي بالإضطهاد القومي والطبقي معاً، لأن زوال هؤلاء وضع الفلاح مباشرة تحت إستغلال الجندرمة الإيرانيين وملاكيهم الفضيعين. حيث تدهور وضع الفلاح الكُردي تدهوراً لا مثيل له فدخله السنوي لم يزد عن (٥) شايات[١] مما لايمكنه حتى من العيش على الخبز الأسود. وبالإضافة إلى هذا الإضطهاد الطبقي الإستغلالي، كان يجري إضطهاد قومي شديد. فقد حرّمت الرجعية الإيرانية الدراسة والتعليم باللغة الكُردية، بل أنها حرمتهم حتى من حق التعليم ذاته وذلك عن طريق قلة الاهتمام بفتح المدارس. ففي كل كُردستان الشمالية لم يزد عدد المدارس الثانوية عن مدرسة واحدة

(١) رحيمي قازي، كوردستان دێموكراتى بارتەيێ كوردستانک تجربه حركتنك صعيد إيران كوردستانده، سنة ١٩٤٥-١٩٤٦ الى ١٩٥٧، أطروحة ص١٢٧.

بينما يزيد عدد سكان هذه المنطقة عن مليون نسمة[٢]. وقد رافق التأخر الاقتصادي والثقافي انتشار الأمراض وقلة بل ندرة المستشفيات والخدمات الطبية، لدرجة حدت بإحدى الجرائد السنندجية إلى القول بأن كُردستان ١٩٥١ لا تختلف عن كُردستان ما قبل ٦٠ سنة[٣].

ان هذا الوضع الذي أضحى طابعاً بدائياً متأخراً على المجتمع الكُردي في كُردستان إيران قد زاد وشدد من شعور هذا الشعب بالمرارة والكراهية تجاه السلطة، ودفعه أكثر الى محاولة الخلاص من إرهابها واضطهادها، وقد شعر الشعب الكُردي، ممثلاً في فئة المثقفين، بخطورة هذه الوضعية على مصيره ووجوده، ولهذا وكما يقول (بيلينكون) عزم على الخلاص من ذلك الظلم القومي[٤]، مهما كلفه الأمر. وكلما زادت السلطات من مقاومتها لهذا الشعور النامي بالنار والحديد حتى إشتد عزم الشعب الكُردي على الخلاص وزاد إيمانه بقضيته.

وكانت البُرجوازية ممثلة في فئة المثقفين في المدن وهي من أكثر فئات الشعب الكُردي وعياً وشعوراً بالحرمان، يقول (آكوبوف):

«إن سياسة رضا شاه المبنية على النار والحديد في كُردستان وحّدت الفلاحين مع سكان المدن تحت قيادة البُرجوازية المحلية للنضال من اجل الحصول على الحقوق القومية[٥]»

إن هذا الشعور بضرورة تغيير وضع الشعب الكُردي وضع أساس الحركات الكُردية التحررية في كُردستان إيران منذ الحرب العالمية الأولى، بل وحتى قبلها. لقد كانت الحركات القومية الكُردية التي تحدث في كُردستان العراق تعكس آثارها عليها وتعمل على يقظة الوعي القومي في الجانب الآخر من كُردستان، ولقد زاد الوعي منذ ثورة ١٩٠٥ الروسية، وإشتد هذا الوعي بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧، حيث إنتشرت الأفكار الثورية الماركسية. وكان من بين الذين حملوا راية القومية ودعوا لها، وعملوا على نشرها بين صفوف الشعب، قاضي محمد الذي تولى رئاسة الجمهورية فيما بعد وذلك في سنة ١٩٤٦ في مهاباد. ولقد إشتدت الحركة القومية لدرجة أن سلطات

(٢) نفس المصدر، ص١٢٢.
(٣) رحيمي قازي، ص١٢٦.
(٤) سي،أي. بيلينكوف، ماذايحدث في إيران، محاضرات عامة، منشورات پراڤدا، سنة ١٩٤٧ ص٢٠، باللغة الروسية.
(٥) ت.ب آكوبوف، حول مسألة تجميد المسالة القومية الكُردية، في إيران، مختصر أطروحة، موسكو ١٩٥٢، ص١٩(باللغة الروسية)

إيران عجزت عن مقاومتها، وتحت ضغط الجماهير اضطرت السلطات الى تعيين (قاضي محمد) قاضياً في مهاباد رغم إن الانسكلوپيديا السوڤيتية تشير الى:

«إن القاضي محمد كان على علاقة قوية سرية مع الجنود الثوريين في الجيش الروسي المحتل لإيران، وقد أسس في مهاباد جمعية الطلاب التقدميين وكان الغرض من ذلك نشر فكرة كُردستان مستقلة. إن السلطات الإيرانية لم تستطع إلاّ أن تقبل به قاضياً في مهاباد بعد مطالبة الجماهير بذلك وقد إستفاد القاضي محمد من منصبه هذا، حيث قام بفتح عدد من المدارس ومن خلال صفوف هذه المدارس بدأ بنشر أفكاره عن تحرير الشعب الكُردي من الظلم الإيراني[٦]»

وهكذا كانت الحركة القومية الكُردية في كُردستان إيران تجاري في تقدمها الحركة القومية الكُردية في كُردستان العراق. وفيما كان الشعب الكُردي، ممثلاً في إنتفاضته في بارزان، يقاتل الإستعمار والرجعية، كان الشعب الكُردي في كُردستان إيران يتهيأ للنضال الثوري ضد الرجعية الإيرانية، وكان بين الحركتين روابط قوية، فالجمعيات من الطرفين كانت تتبادل الآراء وتقوم بإتصالات مختلفة. فالروابط بين (هيوا) وجمعية (ژ.ك) في كُردسان إيران كانت قوية. و(ژ.ك) جمعية كُردية تأسست في ١٩٣٨ في قلعة (سارم) وقادت الحركة القومية الكُردية في ١٩٤٣ وكانت ذات محتوى تقدمي وديموقراطي. فقد عادت الإستعمار عدو الشعب وأكدت على النضال ضده. أما على الصعيد النضالي الداخلي، فقد حددت أهدافها في محاربة الإقطاع وتصفيته كضرورة حتمية لتطوير الحركة التحررية الكُردية وتحقيق أهداف الكادح الكُردي، وهو الفلاح بالدرجة الأولى، وكانت في نفس الوقت حزباً قومياً صرفاً، لم يربط نضاله بنضال مجموع شعوب إيران، وهذه الصفة تنطبق على معظم المنظمات الكُردية إن لم نقل كلها في هذه الفترة على نطاق كُردستان.

ولقد إشتد المد الثوري في كُردستان إيران، خاصة اثناء الحرب العالمية الثانية، حيث اتخذت مدينة مهاباد مركزاً لها لكونها مركز المثقفين والتجار ومركزاً للتبادل التجاري بين مختلف العشائر. إن هذا المد الثوري والظروف الجديدة التي تبعته طرحت أمام القوى الثورية مسألة ضرورة تغيير أسلوب النضال القديم واتباع أسلوب جديد. ولاشك في أنّ الباعث إلى تغيير أسلوب النضال هو الذي دفع (ژ.ك) الى عقد مؤتمر في ١٩٤٣ عبّر فيه عن الكثير من أهدافه القريبة والبعيدة، وقرر

(٦) بي، سي، أي، الإصدار رقم ١٩، الطبعة الثانية، موسكو ١٩٤٥، ص٤٦٠ باللغة الروسية.

اتباع أسلوب جديد في النضال، ومن قرارات هذا المؤتمر توثيق الصلات بالإتحاد السوفيتي. إن هذا القرار كان خطوة هامة خطط لها الحزب، لغرض تصفية صفوفه من كل الحاملين للأفكار الرجعية، وتصفية الحركة القومية الكُردية من سيادة الإقطاعيين الكُرد الذين كانوا يروجون بقوة لفكرة الإتكال على الغرب الإستعماري.

ولقد إنتهى مجموع هذه التغيرات والخطوات أخيراً إلى إنحلال (ژ.ك) وتأسيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني في ١٩٤٥. لقد كان للتطورات الدولية، وتغيرات الأحداث في الشرق الأوسط عامة وفي إيران خاصة دورها في التغيير الذي حدث في الحركة الوطنية الكُردية عامة ومن ضمنها كُردستان إيران. فلتغيير ميزان القوى العالمي وظهور قوى الفاشية الهتلرية وتعزيز مكانتها في إيران البهلوية أثره في ذلك التغيير. فلقد كان عطف حكومة رضا شاه معروفاً على ألمانيا الهتلرية، حيث فتحت الأبواب للنفوذ السياسي والإقتصادي الألماني، وإزداد نفوذ ألمانيا لدرجة ان النفوذ الإنكليزي أوشك على الخروج من الجهة الأخرى. لقد إعترف أحد الإنكليز بأنه في هذه الفترة لم يبق في إيران شيء يذكر لإنكلترا[٧]. وقد حاولت ألمانيا استغلال هذا التوسع بجعل إيران عامة وكُردستان خاصة قاعدة لنشر سيادتها على الشرق الاوسط من جهة، وغلق الباب المشرف على الإتحاد السوفيتي من جهة أخرى. ولهذا فقد كثر جواسيس الألمان في إيران وخاصة في كُردستان. وحسب تقارير بعضهم قارب عدد الجواسيس الألمان أربعة آلاف تركّز ثلاثة آلاف منهم في كُردستان وأذربيجان[٨] في حدودها المشرفة على الإتحاد السوفيتي. ومما لاشك فيه أن توسع النفوذ الالماني المناقض لمصلحة الشعب الكُردي دفعه الى النضال أكثر ضد الفاشية وهكذا نمت وترعرعت الحركة الثورية الكُردية تحت شعار (النضال ضد الفاشية). ووصل حقد الشعب الكُردي على النازية درجة انه اعتبر مجيء القوات السوفيتية في ١٩٤١ الى شمال كُردستان مداً تحررياً له، وتقدم الآلاف من شبيبة كُردستان للإنضمام الى صفوفه ومحاربة الجيوش الغازية.

إن تواجد الجيش الأحمر في جزء من أراضي كُردستان لم يعجب الإستعمار الإنكليزي والسلطات الإيرانية بتاتاً، لأن هذا التواجد يعني مد الحركة القومية الكُردية بعامل التوسع والنمو. وفعلاً فإن هذه الحركة توسعت ونمت سواء في آفاقها الثورية أو في محتواها الديمقراطي، وقد شهدت الحركة حدة لم يسبق لها مثيل مما

(٧) Bullard,P.126

(٨) رحيمي قازي، ص١٣٤.

كان يهدد مصير السلطة الإيرانية. ولهذا عمدت هذه السلطة الى خلق عوامل وظروف من شأنها ان تؤدي الى التفرقة، فكانت تعمد الى الدسّ بين العشائر وخلق الفوضى والإضطربات. وكدليل على ذلك فإن السلطة قامت بتعيين حاكمين لمدينة مهاباد، كل واحد منهم يمثل فئة أو عشيرة معينة[٩].

وكان الإستعمار الإنكليزي يساهم وبدرجة واسعة في خلق هذه الظروف غير الطبيعية لكُردستان، وكان إحتلاله العسكري لجنوب إيران وقسم من جنوب كُردستان يساعده على الإستمرار في ذلك. وقد أولى اهتماماً مضاعفاً لهذه العملية. وقد كان ذلك بلاشك الدافع لتعيين أخطر جواسيسها وهو المسمى بلورانس الكُرد (ابحكتون) كما يقول بيلينكوف[١٠]، للإشراف على العمليات والمؤامرات التي نسجها الإنكليز في كُردستان.

غير أنّ كل هذه المؤامرات والمحاولات لشق الصف الكُردي باءت بالفشل. وقد كان لنشاط المنظمات الكُردية وذكاء الزعيم الكُردي قاضي محمد ومكانته الكبيرة عند الشعب الكُردي الدور الرئيس في جمع شمل الكُرد على إختلاف آرائهم ومعتقداتهم.

وهكذا وفي الوقت الذي كان البارزانيون يحاربون الرجعية العراقية والإستعمار الإنكليزي، كان الشعب في كُردستان إيران يجمع شمله وحركته القومية الوطنية تحرز النجاح، ويتوصل الى تأسيس حزب أكثر إستجابة وإستيعاباً لظروف الشعب الكُردي الجديدة. وهذا الحزب هو الحزب الديمقراطي الكُردستاني، الذي بالاضافة الى جمعه لجماهير الفلاحين والعمال والكسبة ورجال الدين التقدميين والإقطاعيين الوطنيين تحت رايته، فقد اقدم على إعلان أمر خطير طالما تاق إليه الشعب الكُردي وحلم بتحقيقه. ففي شهر اكتوبر من تلك السنة عقد الحزب مؤتمره الاول حيث ترأسه القاضي محمد، وفي هذا المؤتمر تقرر مصير الشعب الكُردي ومستقبله من خلال القرارات المهمة التي إتخذها وهي:

١- تأسيس حكومة ذاتية في نطاق دولة إيران وذلك لادارة المهام الداخلية.

٢- جعل اللغة الكردية اللغة الرسمية في المدارس.

٣- تأسيس پرلمان.

٤- تعيين موظفين اداريين من الكُرد.

٥- تنظيم العلاقات بين الفلاح والمالك.

(٩) رحيمي قازي، ص١٥١.

(١٠) بيلينكوف، ص٢٠(باللغة الروسية).

٦- تقوية الصداقة مع أذربيجان والأقليات القومية الأخرى كالآشوريين والأرمن.

٧- النضال من اجل رفع مستوى الشعب عن طريق السيطرة على الثروات الطبيعية في كُردستان والنهوض بمستوى الصناعة والزراعة، والإهتمام بالمؤسسات الصحية والتعليمية[١١].

وهكذا تأسست لأول مرة في تأريخ الشعب الكُردي، أول جمهورية ذاتية كُردية. وفي الوقت الذي كان الشعب الكُردي في إيران يقرر وبشجاعة مصيره بنفسه، كانت القوات البارزانية قد عبرت الحدود الإيرانية ووصلت قرية كيله شين.

وقد تغيرت الأوضاع والسياسة العالمية في الوقت الذي كانت هذه الأحداث المصيرية تحدث على مسرح كُردستان. فنتيجة القضاء على الجبهة الهتلرية وانتهاء عهد تبادل المساعدة والتعاون بين الحلفاء كشف الإستعماريون النقاب عن وجوههم وعن سياستهم الرامية الى السيادة على العالم واستغلال الشعوب لمصالحهم، فتحولوا لذلك من حلفاء الى أعداء وسرعان ما كشفت تصريحات واقوال مسؤوليهم عما في نفوسهم من اغراض وأهداف استعمارية من تقسيم العالم الى مناطق نفوذ لهم ومقاومة مستميتة للحركات التحررية النامية!

فلم تمضِ مدة طويلة على انتهاء الحرب العالمية حتى صرح مسؤول انكليزي بأن أذربيجان مهمة جداً لإنكلترا من الناحية الستراتيجية والجغرافية[١٢]. وقد كانت السياسة الامريكية متفقة تمام الاتفاق مع السياسة الإنكليزية في وجوب وضع هذه المنطقة الحساسة تحت النفوذ الإستعماري المباشر، وقد كانت تحاول خفية إحراز الاسبقية والحصول على أكبر كمية ممكنة من الغنيمة وزعزعة السيادة الإنكليزية تماماً في هذه المنطقة، ولذلك دخلت أمريكا ميدان المنافسة وبدأت بتصدير مساعداتها العسكرية وبعثاتها ومستشاريها الى إيران. ولقد عبر (جورج آلن) خير تعبير عن هذه النوايا الامريكية بقوله:

«إن وجود مختلف البعثات الامريكية في إيران يشكل سلاحاً أمريكياً مهماً، هذه البعثات التي يسمونها بسياسة المساعدة[١٣]»

وهكذا تحولت منطقة إيران باجمعها الى بؤرة للتنافس الإستعماري. وإشتدت سياسة النفوذ الإستعماري وإتخذت طابعاً أكثر شراهة بعد تشكيل مجموعة الدول

(١١) م.س، ايڤانوڤ، مختصر تأريخ إيران، موسكو ١٩٥٢، ص٣٧٧ (باللغة الروسية).
(١٢) بيلينكوف، ص١٧(باللغة الروسية).
(١٣) ايڤانوڤ، ص٣٥٦ (باللغة الروسية).

الإشتراكية و ظهور جمهورية أذربيجان وكُردستان اللتين كان عطفهما على الجبهة الاشتراكية معروفاً، وهذا كله كان يشكل تهديداً خطيراً للستراتيجية الإستعمارية. ولهذا اتخذ الصراع طابعاً مكشوفاً، فالإستعمار الامريكي وكذلك البريطاني بدأ بتقديم المعونة والإستشارة المادية والمعنوية للرجعية المحلية، وبدأت بتهيئة كل ما يستلزم للهجوم على هاتين الجمهوريتين والقضاء عليهما سريعاً وتحويلهما الى قاعدتين إستعماريتين لإستخدامهما ضد الإتحاد السوڤيتي.

إن سياسة إعداد الهجوم وتمزيق هاتين الجمهوريتين تركزت أكثر على جمهورية مهاباد الكُردية، وذلك بسبب جغرافية كُردستان المقسمة بين تركيا وإيران والعراق. فوجود جمهوية كُردية في إحدى هذه المناطق كان تهديداً مباشراً للمصالح الإستعمارية العميقة الجذور في الاقسام الاخرى في كُردستان.

ولقد إشتدت حرب الأعصاب التي أعلنها الإستعمار والرجعية الإيرانية على الحركة القومية الكُردية، التي كانت على وشك التمخض عن جمهورية ديمقراطية، وقد وصلت قوات البارزانيين الى مهاباد في ذلك الوقت. وكان وصولها إنتصاراً للشعب الكُردي، فوجودهم كان دافعاً لتقوية المعنويات، ودفعهم أكثر وأكثر الى النضال، وتحفيزاً لهم لإتخاذ خطوة جريئة في الإعلان عن الجمهورية خصوصاً بما كان للبارزانيين من قوات مسلحة وضباط وخبرة عسكرية وقابلية حربية ممازة، تشكل في ذاتها قاعدة متينة لتأسيس جيش كُردستان تُناط به حماية مكتسبات الشعب من تطاول الرجعيين والإستعمار. وقد زاد عزم البارزانيين وإستعدادهم للقيام بذلك الواجب الوطني والتاريخي، كما عبر عن ذلك قائدهم مصطفى البارزاني، من قابلية الشعب على تأسيس الجهورية وتوحيد جهود الجماعات المختلفة كما يقول (لاكيور):

«الكُرد كانوا في حاجة الى قاضي محمد كما كان قاضي محمد في حاجة الى البارزاني لحماية الجمهورية[١٤]»

ولهذا فلم يكن من المستغرب ان يجن جنون المستعمرين، ويوجهوا رأس رمح دعاياتهم ضد البارزانيين. إن (لونگريك) وهو من أكثر المؤرخين الإنكليز عطفاً على الإستعمار البريطاني يعبر عن هذه الحقيقة بقوله:

(١٣) إيڤانوڤ، ص ٣٥٦، باللغة الروسية.
(١٤) Walter z. lagueur: Communism and Nationalism in the Middle East, second edition London, 1975,p.227.

«لقد رحبت بحرارة بالقوات البارزانية الذين يتمتعون الآن بالحماية الروسية التي تعتبر نفسها حامية القومية الكُردية في مركزها في مهاباد» ويستمر الكاتب قائلاً انه «بعد الإحتفال بنجاح البارزانيين بأسبوع أعلن قاضي محمد نفسه رئيساً للحكومة وملا مصطفى فيلد مارشالاً ولبس هو وجميع الرؤساء الملابس العسكرية الروسية[١٥]»

لقد كان تأسيس الجمهورية انتصاراً حققه الشعب الكُردي وحركته الوطنية ودافعاً الى تحقيق المزيد من الإنتصارات سواء عن طريق الإصلاحات الداخلية أو توسيع رقعة ونطاق الجمهورية ومساهمتها، حيث إبتدأت بتحرير المناطق القريبة منها والتابعة لإيران او للإنگليز، وكان نفوذ الجمهورية وسمعتها في إزدياد مستمر، إن هذا الانتصار من جهة والموجة الديمقراطية التي داهمت إيران بأكملها قد افزعت الرجعية والإستعمار الى حدّ بعيد.

لقد كان لإنتشار نفوذ الجمهورية الى المناطق الأخرى من كُردستان عبر الحدود مما يهدد المصالح النفطية والستراتيجية الإستعمارية، التي كان الإستعمار يعمل المستحيل من أجل المحافظة عليها. ولقد عبّرت جريدة (التايمس) خير تعبير عن هذا الخوف والقلق الإستعماري عندما كتبت في أحد أعدادها أن:

«إستسلام الحاميات الإيرانية في (بانه) و(سقز) و(سردشت) حيث تبعد الأولى (١٥) ميلاً والثانية (٧٠) ميلاً عن الحدود العراقية الشرقية، حيث مدينة كركوك النفطية، سيؤدي الى ايجاد وإحداث حركات مماثلة عند كرد كُردستان العراق الذين لايشعرون بالعطف على الحكومة[١٦]»

ولهذا لم يكن من المستغرب ان تقوم اجهزة الدعاية الإستعمارية في الداخل والخارج بحملة واسعة النطاق لتشويه محتوى وأهداف الحركة الثورية الكُردية، إذ حاولت اظهار الحركة وكأنها تتسع وتتقوى بتأثير ودفع الإتحاد السوفيتي، وكانت الرجعية المحلية الإيرانية والتركية والعراقية تساعد هذه الحملة وتقوم بمحاولات نشيطة للتفاهم والتحالف فيما بينهم لغرض الوقوف ضد الشعب الكُردي وحركته الوطنية النامية، وكان نوري سعيد ممثل هذه الردة الرجعية وروحها. فقد قام بعدة رحلات الى تركيا وبنشاطات واتصالات لغرض إحياء حلف (سعد آباد) المقبور، ولقد عبر بنفسه عن حقيقة هذه المحاولات والخطر الذي تشكله الحركة الوطنية بقوله:

(١٥) Longrigg, p. 326

(١٦) The Times, 23 march, 1946.

«إن ما يحدث في مهاباد لايعني ثورة عشيرة كُردية، بل يعني ثورة تسعة ملايين كُردي مقسمين بين تركيا وإيران والعراق والذين يمتد وطنهم من آرارات الى الموصل ولُرّستان[١٧]»

وداهَمَ الرعب تركيا، فخشيت من ان يستيقظ العشب الكُردي مجدداً بعد الركود الذي إنتاب حركته الثورية منذ ١٩٣٣ نتيجة سياسة النار والحديد التي استعملتها السلطات التركية. إن تركيا كانت مستعدة للتخلي عن الكثير من الإمتيازات من اجل إيجاد جبهة موحدة تقف في وجه الحركة الوطنية الكُردية، فلقد اعطت التأكيدات والوعود لحكومة العراق بالتخلي نهائياً عن مطالبتها بولاية الموصل مقابل إيجاد التفاهم والقضاء الموحد على الحركة الكُردية[١٨]. ويقول (السير بولارد):

«إن الحكومة التركية افزعتها حوادث كُردستان إيران جداً وخشيت أن يؤدي ذلك الى حدوث الشيء نفسه عند كُرد تركيا[١٩]»

وعلى هذا الأساس بدأت سلسلة المؤامرات والدعايات المغرضة ضد الجمهورية الفتية، وكانت المحاولات تجري لإثارة الرأي العام العالمي عن طريق إظهار الجمهورية بمظهر التابعة لدولة أجنبية. فجريدة (التايمس) اللندنية كتبت أكثر من مرة عن كون جمهورية مهاباد ألعوبة في أيدي الروس وأنها تشكلت بإرادتهم. وفي أحد أعدادها نشرت مقالاً جاء فيه أن:

«جمهورية مهاباد تأسست بعد سفر القاضي محمد في ١٩٤٢ الى باكو وعقده مؤتمراً لرؤساء العشائر الكُردية هناك، وإن جريدة كُردستان تُطبع بمطبعة أوفسيت أستوردت من باكو[٢٠]»

كذلك إستمرت اذاعة أنقرة بحملة تهديد واسعة النطاق، فأظهرت وكأن البارزاني جاء خصيصاً حتى يشكل حكومة كُردية في أذربيجان وسمته بالقاتل وتمنت له التمرغ في دمائه[٢١]. أما الرجعية الإيرانية فقد ضعفت تماماً أمام هذه الأحداث واحست بقرب نهايتها، فطلبت المساندة والدعم الصريحين من إنگلترا وأمريكا.

إن طلب هذه المساعدة بصراحة كان خير فرصة للقضاء على ما تبقى من مظاهر الإستقلال في إيران واحسن تبرير لتدخل سافر في شؤونها الداخلية، وفعلاً فإن

(١٧) جريدة كُردستان، مهاباد، ١٢شباط، ١٩٤٦. العدد ٤٧٦.

(١٨)جريدة كُردستان، مهاباد، ١٢ ڕەشەمێ ١٩٤٦، ژمارە ٤٧٨.

(١٩) نفس المصدر، ٣٠ مارس، ١٩٤٦، العدد ٢٩.

(٢٠) The times, 4th April, 1946

(٢١) كُردستان، ٣٠مارس، ١٩٤٦، العدد٢٩.

الجهات الإستعمارية إستغلت هذا الطلب فأخرجت القضية من نطاقها الداخلي الى منابر هيئة الأمم وتوجيه التهم بشأنها الى الإتحاد السوڤيتي وإتهامه علناً بالتدخل في شؤون إيران الداخلية وتحميلها مسوؤلية حوادث شمال إيران[٢٢]... وكانت الجهات الإستعمارية ترمي من وراء ذلك الى إثارة الرأي العام العالمي وتحويل انظاره عما كان يجري من عمليات عسكرية واسعة في اندونيسيا واليونان ضد شعبيهما المناضلين من اجل حريتهما.

وبدفع مباشر من الولايات المتحدة قامت السلطات الإيرانية باستفزازات عسكرية ضد جمهورية مهاباد الكُردية، فما كان من الشعب الكُردي إلاّ ان خاض المعارك دفاعاً عن مكتسباته وجمهوريته. ولقد كان البارزانيون في مقدمة المحاربين وأبدوا بسالة وتفانياً واخلاصاً وإستطاعوا إحباط أكبر مؤامرة إيرانية رجعية ترمي الى تخويف الشعب الكُردي وإجباره على الخضوع. فالقوات البارزانية إستطاعت وبسهولة تحطيم مجموع القوات الإيرانية التي ارسلتها السلطات الإيرانية لتهديد مهاباد. ان هذه القوة المؤلفة من (٨) مدافع وطائرة ودبابتين و(٣٠٠٠) جندي إندحرت أمام بسالة البارزانيين الذين لم يزد عددهم عن (٤٠) مسلحاً قادهم الضابط القدير مصطفى خوشناو. وفي هذه المعركة لم يتكبد البارزانيون سوى جريح واحد بينما قتلوا (٥٠٠) وأسروا (٢٥٠) وحطموا دبابتين. إن لهذه المعركة أهمية إستثنائية، فمن جهة أجبرت السلطات للتخلي عن سياسة التهديد وإتخاذ المفاوضة أسلوباً للتفاهم[٢٣]. ومن جهة أخرى فإن رفع معنويات الشعب الكُردي وتوحيد صفوفه امام العدو المشترك زاد من التلاحم والتفاهم الأخوي بين البارزانيين والشعب الكُردي في كُردستان إيران. فلم يضن عليهم بشيء هذا الشعبُ الذي عرف فيهم حامياً له ولمكاسبه ومدافعاً عنها.

إن المساعدات المادية من ألبسة وأغذية كانت العائلات الكُردية في مهاباد وغيرها من المدن الكُردية ترسلها عن حب وتقدير الى القوات البارزانية المحاربة في الجبهات[٢٤]. ولقد عبر قاضي محمد خير تعبير عن شعور الشعب الكُردي وإعترافه بفضل البارزانيين في تحقيق أحلامهم بقوله في خطبة له:

«إن الكُرد قوم لم يتوانوا أبداً عن مقارعة الإستعمار والفاشية. وإنكم

(٢٢) انظر ز.ف، ٢ في كانون الأول ١٩٤٥ (باللغة الروسية).
(٢٣) كريم زَندي، حركة كُردستان وأذربيجان الديمقراطية. السليمانية ١٩٦٠، ص ١٢.
(٢٤) كُردستان، ١٣ گەلاوێژ. ١٣٢٥ العدد ٧٣.

تعرفون ما اصابهم في العراق وكيف ان الدبابات والطائرات لم تقلل من همتهم ولم تضعف نضالهم. إن الشاهد على ما اقول هو مصطفى البارزاني ورفاقه الأشداء الذين تركوا موطنهم لنضالهم ويشهد على ما أقول رجل الحرية. إن جماعة كبيرة من الكُرد قد أثبتت بنضالها الدؤوب بأن الحرية والديمقراطية اثمن من النفس وفي مقدمة هؤلاء اخواننا البارزانيون[٢٥]»

جمهورية مهاباد ومنجزاتها

إن جمهورية مهاباد رغم قصر عمرها، فعلت ما من شأنه تغيير ملامح المجتمع الكُردي بما انجزته من اعمال عظيمة، حيث فتحت المدارس التي تجري الدراسة فيها باللغة الكُردية، وكان عدد التلاميذ في إرتفاع ملحوظ نظراً للخطة التعليمية الجديدة التي اتبعتها الحكومة. وحسب معلومات احدى المصادر فقد وصل عدد الطلاب في مدرسة واحدة فُتحت خصيصاً للفقراء الى (٣٠٠) طالب[٢٦]. وارتفعت نسبة المطبوعات، وإنتشر الأمن وبوشر بتطبيق نظام ديمقراطي قائم على إحترام حقوق الأفراد وحقوق المراة، واتبعت الحكومة سياسة من شأنها تهيئة الجو الصالح لزيادة الإنتاج عن طريق إنقاذ الاقتصاد الوطني من الفساد والرشوة المنتشرة على نطاق واسع في الاقتصاد الإيراني. إن القانون الذي اصدرته الحكومة بشأن الرشوة والذي نص على عقاب المرتشي بالسجن مدة عشر سنوات وحتى بالإعدام[٢٧]، هذا القانون بيّن بوضوح مدى تمسك الإدارة الجديدة بسياسة النهوض بمستوى الشعب ورفع مستواه التعليمي والمعاشي! وكذلك الإعتراف وتشجيع تشكيل النقابات والمنظمات الديمقراطية والسير حسب سياسة اقتصادية تنبع من مصلحة الشعب الكُردي ذاته، وهي سياسة فتح باب التجارة مع الإتحاد السوڤيتي. فكانت بداية رائعة لإنقاذ السوق والكادح الكُردي من تحكم وإستغلال الرأسمالية الإستعمارية البشعة. ولقد أشار القاضي محمد في احدى خطبة بصراحة الى هذه البنية عند فتح شركة الترقي، حيث دعا الى اتباع طريقة جديدة في التجارة[٢٨].

كما أنّ نية الحكومة الجديدة وعزمها على إستغلال ثروات كُردستان من قبل الفئة

(٢٥) كُردستان، ١٨٠ پوش بەر ١٣٢٥، العدد ٦٦.
(٢٦) رحيمي قازي، ص ١٩٨.
(٢٧) كوردستان. ١٩٤٦/١١ العدد ٤٦.
(٢٨) كوردستان ، ٢١ي رێبەندان ١٩٤٦، العدد ١٢.

البُرجوازية الكُردية لم تؤد الى نمو هذه الفئة وحسب، بل الى تحرير كُردستان من البُرجوازية الإيرانية العملاقة العميلة للرأسمال الأجنبي الإحتكاري وفي ذلك خسارة كبيرة لها. إن هذه الإصلاحات قد غيّرت من المجتمع الكُردي وهيأت مجال التقدم والتطور لدرجة أن أحد الصحفيين الفرنسيين قد لاحظ ذلك وعبر عنه بقوله:

«إني متأثر جداً لرؤية شعب شجاع محب للحرية مثل الشعب الكُردي بقي للآن محروماً مستغَلاً ينوء تحت الإضطهاد، ومتأثر جداً لأن بعض الدول تحاول تصوير نهضة الشعب الكُردي على غير حقيقتها مؤكداً أنه شعب لا يستحق الحياة. إني أرى فقط الآن وعن قرب كم هو مظلوم هذا الشعب[٢٩]»

ورغم أن جمهورية مهاباد قد إعتبرت نفسها جمهورية ذات حكم ذاتي وحاولت البقاء في نطاق حكومة إيران، وعملت كل ما من شأنه تحسين العلاقات، إلاّ أن التناقضات كانت تشتد يوماً بعد يوم بينها وبين السلطة المركزية. فهذه السلطة ما كانت ترضى بالسياسة الديمقراطية التي رسمتها الجمهورية لنفسها والتي كانت ملهماً لبقية أجزاء كُردستان، وتهديداً لمكانتها وسياستها المعادية للديمقراطية في إيران عامة. ولهذا فإنها إستمرت وزادت من حدة مؤامراتها، والإستنجاد بجارتها تركيا لمساعدتها، هذا الإستنجاد الذي نتج عنه مؤتمر (أنقرة)، أي بإختصار التجمع الرسمي الواسع للرجعية في الدول المقتسمة لكُردستان.

إن النجاح في عقد هذا المؤتمر كان دافعاً للشعب الكُردي لتوحيد صفوفه والدفاع عن كيانه ومنجزاته، ولقد كان البارزانيون في هذا المجال من أوائل الداعين الى الوحدة والتضحية بالنفس ومقاومة التجمع الرجعي هذا. ولقد عبّر مصطفى البارزاني عن شعور إخوانه، وشعور الكُردي في كُردستان العراق في خطبة بمناسبة عيد نوروز حيث قال:

«علينا أن نوحد صفوفنا و نجمع قوانا ضد أعدائنا حتى نستطيع إحباط مؤامرات هؤلاء المجتمعين في أنقرة. وسنحقق بمساعدة الشعوب الحرة الصديقة أهدافنا العادلة. يجب علينا ان نعترف بأن قوتنا مستمدة من شعب كادح متطلع الى الحرية، لذلك فإنتصارنا حتمي لاشك فيه، وإنّه ليشرّفني أن أقاتل في صفوف ثورة الأحرار وانه لشرف أكبر ان يعتبرني الأحرار زعيماً لهم في دفاعهم عن كُردستان. أيها الشبيبة الكُرد إنني أعاهدكم على النضال الى آخر قطرة من دمي من أجل حريتكم وحرية شعبنا الكُردي.

(٢٩) كُردستان، ١٣ زوين ١٩٤٦، العدد ٥٧.

إنني كأبسط مناضل مستعد دائماً لتلبية أوامر قاضي محمد زعيم كُردستان لتحقيق الغاية العظمى. فلنهتف بصوت واحد عاشت الحكومة الكُردية وزعيمها وعاشت الثورة والنضال ضد الرجعية والإستعمار[٣٠].

وكانت المحاولة الاولى للرجعية تستهدف شراء ذمم رؤساء العشائر وخلق الفوضى في الداخل لغرض خلق التصدعات في الجبهة الداخلية كخطوة للقضاء عليها عسكرياً. وقد وصلت محاولات الرجعية والإستعمار الى محاولة شراء القاضي محمد نفسه. فالولايات المتحدة الامريكية حاولت عن طريق قنصلها في تبريز، حيث قدمت ولأكثر من مرة الدولارات والسيارات الامريكية له، إلاّ أن تلك المحاولات فشلت أمام كفاءة قاضي محمد وإخلاصه لقضية شعبه.

لقد كان موقفاً وطنياً رائعاً عندما ردّ قاضي محمد على عروض القنصل وفضل الحمار الكُردي على الكاديلاك الأمريكية[٣١]. وعندما نفد كل ما في جعبة الإستعمار والرجعية من وسائل إتجهت الى إتباع الأساليب العسكرية لفرض نفسها.

وكان الشعب الكُردي من جهته مصمماً عن الدفاع عن نفسه ومكتسباته وإن كان يفضل إتباع الطرق السلمية وتجنب إراقة الدماء، ولم يكن ذلك لضعف منه بل لرغبة صادقة في التفرغ للإصلاحات الداخلية، التي كان الشعب الكُردي في أشد الحاجة إليها. إلاّ أنه كان مستعداً عند اللزوم لإعطاء المثال والدرس لمن يحاول إغتصاب حقوقه. ولقد عبر القاضي محمد في احدى خطبه عن هذا السياسة بقوله:

«إننا نطلب من حكام إيران ان لايعتبروا إضطهاد الشعبين الكُردي والآذري حقاً مشروعاً لهم، واذا رفضوا أن يفهموا ذلك فكعوب البندقيات كافية لإفهامهم ذلك[٣٢]»

إن تدخل الإستعمار والرجعية العسكري كان امراً مستحيلاً طالما كانت الجيوش السوفيتية تقيم في الأراضي الإيرانية وفي كُردستان، ولهذا اتجهت السياسة الإستعمارية الى فرض الإنسحاب على السوفييت من إيران. ولأجل تحقيق هذا الغرض لم تكتف هذه الجهات بإخراج حوادث إيران الى منابر هيئة الأمم، بل عمدت الى التهديد المباشر المكشوف بإشعال نار حرب عالمية ثالثة، أو على الأقل تأمين تدخل شرعي بإسم هيئة الأمم. فما نشرته جريدة (التايمس) اللندنية من أن مجلس

(٣٠) كُردستان، ١٣ زوين ١٩٤٦، العدد ٥٧.
(٣١) كُردستان، ٨ بفرانبار، ١٩٤٦ العدد ٨.
(٣٢) كُردستان، ١٣زوين، ١٩٤٦ العدد ٥٧.

الأمن مستعد لحماية إيران[٣٣]، لم يكن يعني سوى هذا الفرض. وفي ٤ نيسان ١٩٤٦ تقرر مصير جمهوريتي أذربيجان وكُردستان الديمقراطيتين بعد إبرام الاتفاقية السوفيتية – الإيرانية، والتي بموجبها إنسحبت القوات السوفيتية وفسح المجال امام السلطات الإيرانية ومن ورائها أمريكا لتدخل عسكري مباشر وقد نصت بنود الاتفاقية على:

١– إنسحاب القوات السوفيتية من الأراضي الإيرانية خلال شهر ونصف.

٢– تأسيس شركة نفط إيرانية سوفيتية لإستخراج النفط شرط أن يصوت البرلمان الإيراني على هذا المشروع خلال (٧) أشهر، وأن يكون تقسيم الأسهم بين الطرفين على هذا الشكل ٥١٪ من الأسهم للسوفييت ٤٩٪ للحكومة الإيرانية ومدة العقد تكون ٥٠ سنة، وبعد مرور (٢٥) سنة فإن نسبة الأسهم تكون بالمناصفة وتكون نفقات الإستخراج على السوفيت، على أن يكون نصف النفط المستخرج من حق إيران وتبقى ملكية الأراضي لها.

٣– اعتبار قضية أذربيجان مسالة داخلية، شرط ان تُحل بأسلوب ديمقراطي مع القيام بإصلاحات إقتصادية وسنّ قوانين تعكس مصلحة الشعب الأذربيجاني[٣٤].

وكما يظهر فإن النفط كان عاملاً اساسياً في مجرى هذه الاتفاقية بهذا الشكل، غير أن هناك عوامل أخرى لا تقل اهمية عن ذلك. فلقد كان من حق الإتحاد السوفيتي التفكير بإستغلال آبار النفط (في شمال إيران وعلى بحر قزوين)، لتحول بذلك دون إستغلال الدول الإستعمارية لها، وتحويلها في نفس الوقت الى قاعدة للتجسس والتدخل في شؤون الإتحاد السوفيتي وتهديده. وقد سبق للإتحاد السوفيتي أن جرب تدخل الشركات الأجنبية المستغلة لآبار باكو ومساهمتها في مقاومة ثورة ١٩١٧: إضافة الى أن إستغلال تلك الآبار من قبل شركات إحتكارية كان ضياعاً أكيداً لحقوق إيران ونهباً واضحاً لثروتها وحرمان الشعب من وارداتها. وتقوية أكثر لمواقع الإستعمار في إيران وفي هذا تهديد مباشر للقضية الوطنية ونضال الشعب الإيراني.

اضافة الى أن الشروط التي قدمها السوفيت كانت الاولى من نوعها، وفي حالة نجاحها كان ذلك يعني خيراً وافراً للشعب الإيراني. ويظهر الفرق في أن الشركات الإحتكارية لم تعط سوى ٢٠٪ من الربح من دون حق المساهمة بالأسهم مع

(٣٣) The Times, 4th April, 1940

(٣٤) ميشال سليمان، إيران في معركة التحرر، بيروت،١٩٥٤، ص٤٤.

الإحتفاظ بحق ملكية الممتلكات.

إضافة الى هذه الأسباب فإن التهديد بالحرب كان من الأسباب الداعية لقيام السوفيت بعقد هذه الإتفاقية مع ما في ذلك من تضحية بجمهورية أذربيجان وكُردستان نظراً لكونها أكثر دول أوروبا التي عانت من الحرب. ولقد كان بإمكان الدول الإستعمارية المنفذة لرغبات الشركات الاحتكارية تنفيذ تهديدها بإشعال حرب ثالثة، فالأرباح كانت خيالية، وزاد استخراج النفط في إيران بنسبة كبيرة في السنوات الاخيرة من الحرب فمن ١٩٣٩ ولغاية ١٩٤٥ زاد استخراج النفط عن (٧) ملايين طن[٣٥]. وقد كان للنفط الإيراني من الأهمية انه وقف في الميزان مع مصير أذربيجان وكُردستان.

على كل حال فإنه نتيجة لهذه الإتفاقية او بالأحرى (لحيلة قوام السلطنة) التي إعتبرت بحق أكبر لعبة دبلوماسية في القرن العشرين[٣٦]، إنهارت جمهوريتان ديمقراطيتان، وذلك لأنه بعد إنسحاب القوات السوفيتية مباشرة قامت السلطات الإيرانية بأكبر واوسع هجوم تسانده الطائرات والدبابات التي اسبغتها أمريكا على إيران. ونتج عن ذلك نكسة حادة اصابت الحركة الديمقراطية في إيران وفي الشرق الاوسط عامة. ومما زاد من خطورة الوضع أن خدعة قوام السلطنة رئيس وزراء إيران الموقع على هذه الإتفاقية قد ظهرت بعد مرور سبعة أشهر، حيث رفض مجلس النواب الإيراني الموافقة على هذه الإتفاقية وبهذا فقدت جمهوريتان ديمقراطيتان وكذلك الحق السوفيتي في إستغلال آبار النفط.

لقد توجهت الجيوش الإيرانية نحو كُردستان تحت ستار المحافظة على الإنتخابات، هذا الحق الذي أعطته مهاباد عن نية سليمة لإيران، وهذه لم تكن سوى خدعة أخرى هدفت من ورائها الرجعية الإيرانية الى تصفية جمهورية مهاباد بأقل الأساليب كلفة. وكانت حكومة كُردستان ترى بأن القوات الكُردية وحكومتها قادرة على القيام بواجب المحافظة على الأمن اثناء الانتخابات غير أنه من المؤسف انها غيرت فكرتها وسمحت للقوات الإيرانية بالدخول الى مهاباد. لاشك ان تغيير الرأي هذا جاء بعد تأكد الحكومة الكُردية من نيات حكومة إيران الحقيقية وعلمها بأن المعركة بدأت واحساسها بعدم جدوى النضال المسلح وبأن القوات الكُردية المسلحة غير قادرة لوحدها على مجابهة قوات إيران ومن ورائها الإستعمار، ولاعتقادها بأن

(٣٥) The Times, 61th of July 1940

(٣٦) خيرات البيضاوي، إيران فوق كف عفريت، بيروت، ١٩٤٥، ص ٧٤.

الاستسلام الذي لاتهرق فيه الدماء خير من النضال المسلح الذي لايعطي نتيجة. كانت هذه فكرة قاضي محمد و حكومته غير ان الشعب الكُردي والبارزانيين ابدوا استعدادهم للمقاومة والدفاع عن الجمهورية مهما كان الثمن.

وكان القاضي محمد في بداية الأمر، وحتى بعد إنسحاب الجيوش السوفيتية من اقطاب هذا الراي، ويظهر هذا من أحد خطبة التي قال فيها:

«لقد مرت أيام على مغادرة الجيش الاحمر الاراضي الإيرانية، غير ان الكرد مستعدون أكثر من السابق للدفاع عن كُردستان[٣٧]»

غير أن مرور الأيام وتعقد الوضع الداخلي الكُردي والإيراني جعل القاضي محمد يغير رأيه هذا. فالأعداء قد أحاطوا بالجمهورية من كل الجهات. فالقسم الجنوبي من كُردستان غدا مركزاً للمؤامرات التي كانت تحيكها الجاسوسية البريطانية بقيادة الجاسوس شوتر، الذي بدأ بتنظيم العصابات والقيام بهجمات على الجمهورية، ولقد رفعت الرجعية الكُردية رأسها وإنحازت الى الرجعية الإيرانية بعدما شاهدت نهوض هذه الاخيرة واشتداد ساعدها. فهذه الرجعية وعدد غير قليل من الإقطاعيين الذين كانت أكثرية الحكومة وقيادة الحزب تتكون منهم قد تخلت عن الجمهورية حيث كانوا يتقدمون الجيوش الإيرانية الزاحفة نحو مهاباد. فأثّر هذا الموقف على القاضي محمد، ودفعه الى اليأس والإيمان بعدم جدوى القتال الذي لايزيد سوى من ضراوة وقساوة الجيش الإيراني، وبالتالي تخريب البلاد وهتك أعراض السكان الآمنين. غير أن يأسه هذا كان فردياً فهو لم يكن يعارض النضال المسلح شرط أن لايكون تحت قيادته، وهذا ولاشك هو الذي دفعه الى توزيع الاسلحة على البارزانيين خاصة وقبل وصول الجيش الإيراني. وهكذا اصبح الدفاع والنضال المسلح من ضمن مسؤوليات البارزانيين الذين تقبلوها كما يجب واثبتوا بحق بأنهم جديرون بذلك[٣٨].

بعد دخول الجيش الإيراني مدينة مهاباد أُلقي القبض على القاضي محمد ورفاقه حيث تم اعدامهم. وقد أثبت هذا مدى خداع السلطات الإيرانية للشعب الكُردي والنيات التي أخفتها وراء ستار حماية الأمن أثناء الإنتخابات. إن الرجعية الإيرانية حاولت بكل الطرق تبرئة ساحتها من هذه الجريمة النكراء وتحميل البارزانيين

(٣٧) كُردستان،١٢ من ١٩٤٦، العدد ٤٧.

(٣٨) لقد كانت المعارك بين الجيش الإيراني والعشائر من جهة و البارزانيين من جهة أخرى شديدة وأبدى البارزانيون من البطولة ما يستحق الاعجاب ودمروا القوات الإيرانية لدرجة ان شاه إيران ارسل برقية الى قائد القوات الإيرانية في الميدان يندد بتكاسلهم و ضعفهم أمام حفنة من البارزانيين. نجفقلي، ص١٠٢.

دوافعها ونتائجها. وهكذا بدأ الكتاب الإيرانيون ودعاية السلطة تكتب الكثير عن ذلك. فأحد الكتاب الإيرانيين كتب قائلاً أن:

«ذهاب البارزاني الى مهاباد وقبول المفاوضة مع السلطات الإيرانية أدى الى هبوط في المعنويات والى إنحياز العشائر المترددة الى جانب الحكومة. إن مجيئه اعتُبر نصراً للجيش، حيث لم يبق هناك داع لأية مخاوف وبذلك تم القبض على قاضي محمد وأصدقائه[٣٩]»

ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك، فمعنويات الشعب كانت وبقيت عالية والدليل على ذلك تلك القطعات الكثيرة والتي قدرت بـ(٢٠) فرقة والتي ارسلتها السلطات لمواجهة الجمهورية الصغيرة. كما أنّ تأخير إعدام القاضي محمد ثلاثة أشهر كان دليلاً آخر، فهذا التأخير لم يكن بسبب الإجراءات القانونية أو لإحترام السلطات لتلك القوانين، بل بسبب الخوف الزائد من الشعب المصمم على النضال، ولشراء ذمة القاضي محمد والطعن بذلك في صميم كرامة الشعب الكُردي ومعنوياته. إلاّ أنه بعد فشلهم في شرائه كما يقول فاريزوف أقدموا على اعدامه، خاصة بعدما شعروا بزيادة سخط الشعب الكُردي يوماً بعد يوم وتعلقه بزعيمه! ولقد أظهرت هذه الرجعية حقدها الأسود على الشعب الكُردي بجرائمها التي يندى لها الجبين بتدميرها للقرى وقتلها لعشرات الألوف من السكان دون مبرر عسكري. فالجيش الإيراني كما يؤكد (بيلينكوف):

«على الرغم من دخوله مهاباد دون أن يواجه مقاومة غير أنه قد قتل الكثير وحكموا على القاضي واعوانه بالإعدام[٤٠]»

وتقدر احدى المصادر المطلعة ان ضحايا الشعب الكُردي قد زادت عن (١٥) ألف ضحية[٤١]. وحتى جريدة (إطلاعات) نفسها إعترفت بهذه الجناية بقولها بأن:

«عدد الضحايا في كل من أذربيجان وكُردستان قد بلغ ألف شخص[٤٢].»

وفي الوقت الذي كانت السلطات تقوم بجرائمها في كُردستان كان خونة الشعب الكُردي من الإقطاعيين ورجال الدين ينعمون بالمنح الشاهنشاهية والميداليات التي أغدقتها عليهم سلطات طهران، هذه الفئة التي كانت السلطات تعتبرهم، قبل

(٣٩) نجفقلي، ص ١٣٠.

(٤٠) فاريزوف، الحركة القومية الكُردية في إيران ١٩٤١-١٩٤٥، أعمال معهد موسكو للإستشراق الإصدار رقم ٧، موسكو ١٩٣٥، ص ١٣٦، (باللغة الروسية).

(٤١) بيلينكوف، ص٢٠(باللغة الروسية).

(٤٢) فاريزوف، ص ١٣٤(باللغة الروسية).

إنحيازهم اليها، من الخونة واللصوص وقطاع الطرق. تقول جريدة زريا (فاستوك):

«الخانات والإقطاعيون الكُرد توزع عليهم الميداليات، هؤلاء الذين كانت السلطات قد إعتبرتهم قطاع طرق ولصوصاً فيما مضى، بينما كان الوطنيون الكُرد يعلقون على أعواد المشانق[٤٣]»

ولم تخفِ المصادر الرسمية هذه الحقيقة، بل جعلت من هؤلاء الخونة رأس الرمح لضرب الحركة الوطنية الكُردية ومبرراً شرعياً لأفعالها وجرائمها. ويقول نجفقلي:

«إن رؤساء العشائر ورجال الدين قابلوا الشاه، حيث أنعم عليهم بخواتم الماس مع أوامر بتعيينهم قضاة. ولقد طلب بعضهم إعدام القاضي محمد. وإستجاب الشاه لهذا الطلب ونشرت السلطات الطلب في الجرائد المحلية ووزعته على العشائر[٤٤]»

لقد حاولت السلطات إيجاد مبررات مجردة من كل منطق وسخيفة لدرجة لايمكن أن يصدقها احد، فإعدام القاضي محمد وأعوانه، وجرائم الجيش في كُردستان، كان بسبب قيام القاضي محمد بتأسيس جمهورية كُردستان المستقلة وهجومه على الجندرمة وقتل خمسة منهم وطرده للموظفين الحكوميين من مهاباد[٤٥].

إن قتل القاضي محمد وتصفية الحركة الوطنية الكُردية كانت مقررة قبل دخول الجيش الإيراني مهاباد ولم يكن للبارزانيين دخل في ذلك! بل على العكس فإن وجودهم وقيامهم بتزعم الحركة والمقاومة المسلحة ضد القوات والسلطات الإيرانية قد منع هذه السلطة من تطبيق وتنفيذ كثير من خططها الإجرامية.

لقد كان القاضي محمد فرداً من هذا الشعب الكُردي، والدور الذي لعبه في تأريخه كان نابعاً من آمال هذا الشعب، واذا كان الدور الرئيسي لكل حوادث التأريخ يرجع أولاً وأخيراً الى الشعب فإنّ الأفراد يلعبون دوراً مصيرياً في كثير من الأحيان. ولقد أدى القاضي محمد دوره على أحسن وجه وهو حي، وبقي تأثير هذا الدور حياً حتى بعد موته كذكرى خالدة لأمل ومطمح شعب لم يقدر له النجاح، لذلك بقي رمزاً وتحول الى فكرة حية تحفز الشعب للنضال لتحقيق أمله وطموحه وهو إستقلال كُردستان.

يقول الكاتب الإيطالي (ماريا ماجوك):

(٤٣) ز.ف، ٦ نيسان ١٩٤٦(باللغة الروسية).
(٤٤) نجفقلي، ص١٦٦.
(٤٥) نجفقلي، ز.ف، ١٩٤٦(باللغة الروسية).

«لايمكننا نسيان القاضي محمد زعيم الحركة الوطنية الكُردية وأصدقائه، ولا نسيان إعدامهم بتلك البربرية. ولا يمكننا أن ننسى شجاعتهم وصلابتهم أمام الموت، إن شجاعة وصلابة كهذه جعلت أسماءهم رمزاً لكفاح الشعب الكُردي[٤٦] فعلى قبر ذلك الرجل الذي غدا مزاراً للشعب الكُردي في كل كُردستان كُتب: "نم بسلام، إن الفكرة التي نشرتها لن تموت"[٤٧]»

وهذا هو الذي منع الرجعية الإيرانية العريقة في الإجرام وكذلك الإستعماريين من التمكن من الإساءة الى سمعته، فكل إساءة اليه تعني اساءة الى كرامة الشعب الكُردي وحركته الوطنية. يقول القاضي الامريكي دوگلاس:

«إن إعدام هذا البطل لم يقتل غير جسده، أما فكرته فقد بقيت حية، إن موته قد أعطى حافزاً جديداً لهؤلاء الفلاحين الذين يقطعون المئات من الاميال لزيارة مرقده ويقدمون الولاء لذكراه. فقد كان رجلاً طيباً ضحى بنفسه ليحقق لهؤلاء حلمهم[٤٨]»

لقد عبّر القاضي محمد خير تعبير عن وطنيته وعن آماله وايمانه بالشعب الكُردي وقضيته حينما قال وهو على المشنقة:

«إنكم تقتلون قاضي محمد واحداً، إلاّ أن كل فرد من هذا الشعب هو قاضي محمد بذاته. وعندي الأمل بانهم سيثأرون بقوة من هؤلاء الذين جعلوا من أنفسهم جلادي الشعب الكُردي[٤٩]»

نظراً لكون القاضي محمد ضد كل محاولة عسكرية لمقاومة الجيش الإيراني الزاحف نحو مهاباد، فإن البارزانيين على الرغم من إختلاف وجهات نظرهم في هذا المجال، حققوا طلب القاضي محمد وإنسحبوا بقواتهم نحو منطقة (نغده). ولو أن قوات البارزانيين إتحدت مع قوى الشعب لمجابهة تلك القوة الزاحفة عندما كان علم الجمهورية يرفرف في مهاباد، لأدى ذلك بدون شك الى تحطيم تلك القوة ولكان مصير جمهورية كُردستان غير ذلك المصير الدموي الذي عرفناه. إن إنسحاب البارزانيين حال دون تحقيق ذلك الحلم وحال دون حدوث ذلك التصادم الفاصل. وإذا كانت المواجهة الفاصلة ممكنة في الأيام الاولى فإن هذه الامكانية باتت صعبة

(٤٦) م. ماجوك، إيران في النضال، موسكو ١٩٥٦، ص٧٠- ١٧١(باللغة الروسية).
(٤٧) فاريزوف، ص١٣٦ (باللغة الروسية)
(٤٨) W-Douglass The strange Land and friendly people, New Yourk. 1951,p.74
(٤٩) سجادي، ص٣١٦.

إن لم تكن مستحيلة. فرغم أن معنوياتهم بقيت عالية، إلاّ أن سقوط الجمهورية ودخول الجيش الإيراني منتصراً عاصمتها ومجيء الشتاء وكثرة عائلات البارزانيين أجبرت البارزانيين على التفكير في طريق للخلاص ولم يكونوا بحاجة إلاّ الى الوقت. ومع إيمان البارزاني بأن السلطات الإيرانية لن تسمح له ولعشيرته المسلحة بالبقاء في الأراضي الإيرانية إلاّ أنه ولغرض كسب الوقت دخل في مفاوضات مع السلطة الإيرانية فسافر الى مهاباد وطهران.

إن عدم إلقاء القبض على البارزاني، وهو حالة نادرة بالنسبة للرجعية الإيرانية التي اعتادت إستغلال فرص المفاوضات وخيانة وعودها وإغتيال القادة الكرد، كان بسبب مهارة البارزاني، ولخوفها من إثارة العشائر الكُردية لأن القاء القبض عليه كما يعترف (نجفقلي) كان سيثير عشائر الشكاك وهركي وقسماً من مامش والتي تقدر قواتها بـ(٤٣٠٠) مسلح ومساندتها البارزانيين[٥٠]. وهكذا تعترف السلطات الإيرانية بتمتع البارزانيين بسمعة ومساندة شعبية هائلة وهذا دلّ أيضاً على تنامي الشعور الوطني وقوته والإستعداد الثوري للشعب الكُردي، الذي كان يفتقر فقط الى قائد بارع يقوده نحو النصر والعجيب أن القاضي محمد لم يحاول أو لم يستطع الإستفادة من هذه القوى. ففي غمرة يأسه وخيانة بعض الاقطاعيين له بدأ يشك في كل شيء، غير انه وكما يظهر بدأ يغير أفكاره وهو في السجن حتى انه حاول الهرب بمساعدة البارزانيين غير ان الفكرة جاءت متأخرة. ولاشك ان هذا سبب معقول جداً لإستعجال السلطات وإسراعها بإعدامه وشنّ هجوم عام على البارزانيين.

ودامت المعارك التي ابدى فيها الشعب الكُردي والبارزانيون البطولات عدة أشهر، وقاتل البارزانيون جيوش ثلاث دول هي تركيا وإيران وعراق، حيث بدأوا زحفهم التأريخي نحو حدود الإتحاد السوفيتي مارين خلال هذه الجيوش بمعارك متصلة معها. إن هذا الزحف سجل اروع صفحة في نضال الشعب الكُردي، فالفلاح الفقير الذي جازف بحياته ودلّ البارزانيين الى معبر خفي للعبور منه تحت أبصار المخافر التركية ومدافعها، هذا الأمر الذي لولاه لكان العبور يتطلب تضحيات جسيمة[٥١]، أما فلاحو قرية بيداري الفقراء فقد تخلوا عن خبزهم كي يعطوه للبارزانيين[٥٢]. إن هذا ليعد أروع مثال على ان هذه الحركة قد عبّرت عن مشاعر وآمال الشعب الكُردي

(٥٠) نجفقلي، ص٤٧.
(٥١) توفيق وردي (چوونى بارزانيەكان بو ولاّتى سوڤيەت) بغداد ١٩٦١ ص٢٩.
(٥٢) المصدر السابق، ص٢٩.

الكادح، وبيّنت نضوج هذا الشعب وكونه أمة واحدة لايمكن للحدود المصطنعة المقسِّمة لوطنه تقسيم شعورهم وآمالهم الموحدة.

فبمساعدة الشعب الكُردي تحمّل البارزانيون مشاقاً تستعصي عن الوصف، حيث عبروا ثلاثة آلاف كيلومتر في جبال كُردستان الشاهقة في الشتاء وخلال معارك دامية، برية وجوية. وأخيراً نجحوا في الوصول الى حدود الإتحاد السوفيتي، حيث عبر حوالي (٥٠٠) منهم الحدود عن طريق نهر (آراس)[٥٣]، وبقوا في الإتحاد السوفيتي حتى ثورة تموز ١٩٥٨، حيث رجعوا الى وطنهم بعد ان حصل الكثير منهم على شهادات عالية. إن البحث في أسباب سقوط هذه الجمهورية، يلقي الضوء على نوعية المجتمع الكُردي، ويعطينا بذلك دروساً جديدة تساعد المؤرخ على إستنباط النتائج الأكثر صحة ودقة في المستقبل[٥٤].

هناك عوامل خارجية وداخلية دفعت بهذه الجمهورية الى السقوط. فالعوامل الخارجية تتركز في تجمع الرجعية الداخلية ومساندة المستعمرين المباشرة لها سواء بالمساعدة العسكرية والمالية الهائلة ومساهمتهم في شراء ضمائر الاقطاعيين الكُرد ونشر البلبلة والفوضى والفتنة في صفوف الشعب الكُردي، أو بنشر الدعايات والاخبار الملفقة في الخارج لإثارة الرأي العام العالمي، أو بتوجيه اللوم والتهم الى الإتحاد السوفيتي وإفساح المجال لجعل قضية إيران قضية عالمية وبالتالي التدخل فيها. فالصحف الإستعمارية تطرقت بصراحة لهذه المواضيع وإدعت بتدخل الروس ومساعدتهم فنياً للكُرد وكونهم السبب في خلق جمهورية مهاباد كما خلقوا أذربيجان[٥٥]، وطالبت هذه الجهات بالتدخل المكشوف أسوة بالروس. كان كل ذلك لإثارة الرأي العام الأوروبي وتبرير التدخل في شؤون إيران والقضاء على جمهوريتي أذربيجان وكُردستان. هذه الضجة والتهديدات ورفع القضية الى منابر هيئة الامم وأخيراً إتفاقية النفط، كانت العامل المباشر في سقوط هذه الجمهورية، ولم تكن الظروف الداخلية وعواملها بأقل أهمية من ذلك والتي تتلخص في:

عدم قيام الحزب الديمقراطي الكُردستاني وحكومة كُردستان الممثلة لهذا الحزب

(٥٣) لمزيد من المعلومات عن المعارك الكثيرة بين الجيش الإيراني والقوات البارزانية وإنسحابهم نحو الحدود السوفيتية، راجع: نجفقلي پسيان، محمد توفيق وردي، كەريم زەندى، حسين حزني.
(٥٤) لغرض الحصول على معلومات أكثر عن المعارك التي دارت في الاراضي الإيرانية بين قوات هذه الدولة والبارزانيين وانسحاب هؤلاء الى الإتحاد السوفيتي، راجع نجفقلي، أسرار بارزان (نهێنى يەكانى بارزان) كەريم زەندى، توفيق وردي.
(٥٥) The Times. 23, 28 March, 1946

المنتخب أكثريتها من قادته بتنفيذ الإصلاح الزراعي وتصفية الإقطاع وتوزيع ممتلكاتهم على الفلاحين، فعدا توزيع ممتلكات بعض الإقطاعيين الخونة الذين قاوموا تشكيل الجمهورية وهربوا من كُردستان، لم تقم السلطات بشيء في هذا المجال. فكما لاحظ (ايڤانوف) بأنه اذا قارننا كُردستان بأذربيجان نرى أن الاولى لم تقم بالإصلاح الزراعي بل لم تبدأ فيه فبقيت الحالة كما كانت في السابق[٥٦].

إن إهمال الإصلاح الزراعي وإهمال شأن الفلاح يرجع في الواقع الى طبيعة الحزب الديمقراطي الكُردستاني وبالتالي السلطة الكُردية. فالحكومة نفسها كانت أكثريتها من هذه الفئة الإقطاعية التي سيطرت حتى على اللجنة المركزية للحزب. ولهذا تخوّفت العناصر غير الإقطاعية في الحزب والحكومة من القيام بهذه الخطوة خشية إغضابهم، وكان لهذا الموقف أثره السيء. فالحكومة نتيجة لذلك ولأجل تفادي غضب حفنة من الإقطاعيين، حرمت العطف الحقيقي لجماهير واسعة من الفلاحين، هذه الطبقة التي تشكل الأكثرية الساحقة للمجتمع الكُردي أي ٨٠٪ منه[٥٧].

ومع أن ظهور الجمهورية أدى الى رجوع الإقطاعيين الكُرد الى مناطقهم وطرد الجندرمة والملاكين الإيرانيين وبالتالي تخفيف العبء نسبياً عن كاهل الفلاح، إلاّ أن هذا لايعني أن الفلاح الكُردي ترك حلمه الأصيل في الحصول على الارض. لقد كان بامكان الحزب رفع شعار الأرض للفلاح ولو للمستقبل القريب، غير أنه أبى حتى القيام بهذا العمل. وكذلك فان الطبيعة الاقطاعية للحزب والسلطة أفقدتهما الصلابة والدقة اللازمة اثناء الازمات والايام العصيبة. إن كارثة الموافقة على مجيء الجيش الإيراني تعكس هذه الصفة. أو من جهة اخرى فإن هذه الطبيعة أجبرت السلطة على عدم رفع شعار بناء مجتمع كُردي على أساس ديمقراطي حقيقي سليم، وذلك عن طريق محاربة النظام والعلاقات العشائرية التي كانت تقيد تطور المجتمع. ولهذا أيضاً إستنكفت عن المساندة الفعلية والمباشرة للفئة البُرجوازية الكُردية. وسماع صوتها ومطاليبها الداعية، كما يقول (فاريزوف):

«الى إزالة العلاقات العشائرية والنظام الإقطاعي[٥٨]»

بالإضافة الى كل هذا فإن السلطة وكذلك الحزب لم يذكرا شيئاً في برنامجهما عن الطبقة العاملة الكُردية ولم يرفعا شعاراً يعبّر عن مصلحتها. ومع أن هذه الطبقة

(٥٦) إيڤانوف، ص٣٧٨ (باللغة الروسية).
(٥٧) أنوري، جريدة ئازادي، ٢٥-١-١٩٦٠، العدد ٦٣، السنة الأولى.
(٥٨) فاريزوف، ص ١٣٨، (باللغة الروسية)

لم تكن نامية، إلاّ أنه من دواعي الديمقراطية الإعتراف بوجودها ورعايتها. وبهذا فإن الجمهورية قد حرمت الى حد كبير من عطف ومساندة هذه الفئات التي كانت أكثر الفئات قابلية على الثبات والنضال الدائب في الملمّات.

وكما ظهر من برنامج الحزب وقراراته، وكذلك من مفاوضات السلطة الكُردية مع الحكومة الإيرانية وكذلك تصريحات المسؤولين الكُرد والصحافة، فإن الغرض لم يتعدَّ جمهورية ذاتية في نطاق دولة إيران. واذا كانت هذه الخطوة صحيحة فالأصح لو انها، أي السلطة الكُردية، رفعت شعار جمهورية كُردستان الذاتية لكل كُردستان إيران وعملت دائبة على ضم جميع الأجزاء تحت رايتها لا الإكتفاء بجزء صغير وهو مهاباد واطرافها. إن عدم رفع شعار بهذا المعنى وعدم النضال والرغبة لتحقيقه قد ألحق أضراراً ما بعدها أضرار بالجمهورية الفتية الصغيرة. فعدا الضرر القومي الذي أدى الى تقسيم كُردستان وتمزيق المفهوم القومي والجغرافي له. فإن أضراره الإقتصادية والبشرية كانت كبيرة. فكما يقول (أنوري) بأن هذه السياسة أدت الى حرمان جمهورية كُردستان من بقية مناطق كُردستان الغنية بسكانها وإقتصادياتها، هذه المناطق التي إستفاد أعداء الجهورية منها وجعلوها إضافة الى ذلك مركزاً للهجوم عليها ومقراً لحبك المؤامرات ضدها[٥٩].

وقد أضافت العلاقات الضعيفة بين الحركة الديمقراطية العامة في إيران وجمهورية مهاباد أسباباً أخرى عجّلت بسقوطها، فهذه لم تستطع تقديم أية مساعدة مادية أو معنوية الى هذه الجمهورية في أيامها السوداء. ولاشك أن هذه الحالة ترجع الى ضعف العلاقات بين الحركات الديمقراطية في المقاطعات الإيرانية من فارسية وكُردية وآذرية. فهذه الحركات لم توحد صفوفها، وذلك يرجع أيضاً الى عدم اهلية الأحزاب الديمقراطية في إيران وبلاد فارس خاصة لقيادة الحركة الديمقراطية عامة في إيران. ولفاريزوڤ ملاحظة تنطبق على ما ذهبنا اليه حيث يقول:

«لو كان في إيران حزب جماهيري يستطيع في الوقت الضروري تأليف سلطة ديمقراطية في إيران لما وصلت الحالة الى ما وصلت اليها، إلاّ ان هذا الحزب لم يُخلق بعد[٦٠]»

وأخيراً إن عدم تبني وجهة نظر البارزانيين الداعية الى مواصلة النضال المسلح من قبل الجمهورية وقائدها القاضي محمد كان سبباً آخر لسقوطها. فلو تم جمع

(٥٩) أنوري، ئازادى، نفس المصدر.
(٦٠) فاريزوف، ص ١٣٨ (باللغة الروسية).

الصفوف بمشاركة البارزانيين وقيادة القاضي محمد لمواجهة قوات الحكومة الإيرانية، لما إستطاعت الرجعية دحر الحركة الديمقراطية في كُردستان بتلك السهولة، فمهما قيل عن قوة العدو وعدم إستعداد الشعب الكُردي وضعفه بسبب الإنشقاقات الكبيرة في صفوفه، فإنّ القائد الواعي يفجر في كثير من الأحيان طاقات لم يكن يعرف بوجودها ويحقق إنتصارات لم يكن يحلم بتحقيقها.

ومع أن هذه الجمهورية لم تعش طويلاً، إلاّ انها تركت، خلال عمرها القصير تجارب غنية للشعب الكُردي وحركته التحررية (تأسست في ٢٦ كانون الأول ١٩٤٥ وسقطت في ١٥ كانون الاول ١٩٤٦). فلأول مرة في التاريخ الكُردي تحدث بهذا الشمول وهذه السعة تشترك فيها جماهير غفيرة من المدن والقرى، فكانت هذه هي أول محاولة لجذب الحركة التحررية من ميدان العشائر الى ميدان جماهير المدن، كذلك فإن تحول حزب جماهيري ولأول مرة في تاريخ الشعب الكُردي الى حكومة كُردية يعتبر حدثاً فريداً والذي أدى الى نشر الأفكار القومية التقدمية بسرعة بين جماهير الشعب الكُردي. وفي نفس الوقت قدمت تجربة غنية في كيفية عمل وأسلوب نضال حزب جماهيري يقود الشعب والسلطة والطبقة التي يستند إليها في نضاله المستقبلي. إن هذه الوحدة يعتبر مدرسة نضالية حافلة بالتجارب للشعب الكُردي، وللنضال على ضوء أخطائه في مستقبله النضالي. لقد أوضحت هذه الجمهورية للشعب الكُردي بالأدلة كيف أن الإستعمار والرجعية هما وجهان لعملة واحدة وأنها العدوة الأكثر ضراوة وقساوة لقضيته، وبأن الطبقة الاقطاعية الكُردية كطبقة وحلفائها من رجال الدين لايمكن الاعتماد عليها في المستقبل. وبهذا أفسحت الطريق امام الحركة الوطنية الكُردية للقيام بتصفية صفوفها من تأثير هؤلاء الذين لايثيرون سوى روح الإنهزامية والإنشقاق والإتكالية في صفوفهم. فتأسيس هذه الجمهورية وسقوطها بينت للشعب الكُردي بشكل واضح كما يقول جلال الطالباني، بأن القوة الأساسية والمحركة لتحرير كُردستان والتي بإستطاعتها المحافظة على المكتسبات الثورية الوطنية هي الجماهير الكُردية ذاتها، وعلى الأخص العامل والفلاح والكاسب والمثقف الثوري. وكل حركة كُردية لاتتألف من هذه القوى ولاتعتمد عليها ولاتقودها قيادة ثورية واعية لايكتب لها الإنتصار والنجاح[٦١].

لقد ولدت هذه الجمهورية الحزب الديمقراطي الكُردستاني، وإن تأسيسه بسرعة وبقاءه الى اليوم قائداً ومنظماً للحركة الثورية الكُردية في الأقسام الاخرى من

(٦١) جلال الطالباني، الأهمية التاريخية لجمهورية مهاباد، (رۆژی نوێ) العدد (١٠)١٩٦١.

كُردستان اثبت بشكل عملي أنه يحق للشعب الكُردي وفي ضرورات نجاحه وتحقيق آماله في الوحدة والتحرر تأسيس حزب ثوري ديمقراطي وقومي على ضوء النظريات العلمية الثورية لكُردستان كخطوة حقيقية لتوحيد الحركة الثورية في كُردستان عامة.

إن اشتراك البارزانيين في هذه الجمهورية والدفاع عنها وعن مكتسباتها واشراك المعلمين والمهندسين والعمال والفلاحين وبقية فئات الشعب الكُردي من مختلف اجزاء كُردستان في بنائها والتضحية من اجلها، اثبت كيف ان الشعب الكُردي شعب واحد ذو مصير واحد. لقد اصبحت هذه الجمهورية رمزاً للشعب الكُردي في كل كُردستان والمثال على ذلك تلك المساندة التي تلقاها من رؤساء الكُرد وزعمائهم من مختلف اجزاء كُردستان وعلى رأسهم الشيخ محمود الحفيد، حيث يقول في رسالة منه الى القاضي محمد:

«هنيئاً لكم تقربكم من الإتحاد السوڤيتي انني سعيد جداً لهذا، إخواني عليَّ أن أنبهكم أن لاتصدقوا غير الإتحاد السوڤيتي ولاتصدقوا ما سيشاع عنه بهتاناً وزوراً، إن الشعب الكُردي غدا آلة بيد هؤلاء الذين نعرفهم جيداً. مدوا أيديكم بقوة الى الإتحاد السوڤيتي فهو الوحيد الذي يؤازر الشعوب المضطهدة[٦٢]»

أما أحد رؤساء الكُرد في كُردستان تركيا فقد بيّن في رسالته إستعداده للمشاركة في أحداث كُردستان إيران، لأنها تتعلق بمصير الشعب الكُردي[٦٣].

لقد أظهرت هذه الجمهورية بوضوح كيف يجب ان تكون العلاقات بين الشعب الكُردي والأقليات القومية فيها، هذه العلاقة التي حاول أعداء الشعب الكُردي تشويهها. إن إظهار هذه الأقليات لشعورهم بوحدة المصير والنضال والمصالح مع الشعب الكُردي لمقارعة الرجعية والإستعمار قد وضعت اساساً متيناً لبناء مجتمع كُردي ديمقراطي قائم على الإعتراف بحرية وحقوق الآخرين من القوميات .

إن شعور الفرح الغامر من قبل هذه القوميات للجمهورية ومكاسبها دليل على إندماجها معاً. ولقد جاء في رسالة لهذه القوميات الى جريدة كُردستان ما يثبت وجود هذا الشعور، حيث عبّروا فيها عن فرحتهم وسرورهم عندما إرتفعت راية كُردستان في الجو، فأعتبروا هذا اليوم عيداً خاصاً لهم أيضاً[٦٤].

(٦٢) الأرشيف الحزبي الأذربيجاني، الإصدار رقم ٧٢، القسم الأول. عن محاضرات رحيمي قاضي، (باللغة الروسية).
(٦٣) نفس المصدر، (باللغة الروسية).
(٦٤) كُردستان، ١٩ شباط، ١٩٤١، العدد ١٦.

بعد سقوط جمهورية مهاباد وإنتهاء المعارك مع البارزانيين وعبورهم الحدود الى روسيا، بدأت المعارك القاسية ضد الوطنيين الكُرد خاصة والشعب الكُردي عامة، وإن جريدة (زريا ڤاستوك) تحدثنا عن هذه المجازر التي إتخذت طابعاً بربرياً حيث تقول نقلاً عن جريدة طهرانية:

«تم إعدام أحد أعضاء الحزب الديمقراطي الكُردستاني بعد إسناد تهمة القتل إليه، وبعد عشرة أيام ظهر القاتل الحقيقي حيث إعترف بجرمه[٦٥]»

تحت هذا الستار الكاذب كانت تجري ملاحقة وقتل الوطنيين الكُرد بالجملة.

إن جمهورية مهاباد قد عبّرت عن طموح أكثرية الشعب الكُردي في الحرية والإستقلال من الإضطهاد القومي. ولهذا فإنها كانت في محتوها وأهدافها تقدمية ونظراً لميلها الواضح الى النضال في صفوف الشعوب فإنها إستطاعت أن تحتل المكانة الأولى والبارزة في الحركة التحررية الكُردية والعالمية. كان للبارزانيين الشرف في تأسيس هذه الجمهورية والدفاع عنها وتطويرها بإتجاه ديمقراطي تقدمي، ولهذا فقد شكلا كلاهما الجمهورية والبارزانيون رمزاً حياً لكفاح الشعب الكُردي.

(٦٥) ز.ف، ٣ كانون الاول ١٩٤٦، (باللغة الروسية).

الخاتمة

الخلاصة

يظهر من كلّ ما سبق بأنّ العوامل الموضوعية الداخلية كحرمان الشعب الكُردي من أبسط حقوقه القومية والإنسانية، وضعه الإقتصادي المتأخر والسيّء، والإستغلال الفضيع الواقع على طبقاته الكادحة كانت كلها دوافع رئيسية لحدوث الإنتفاضات البارزانية. إن هذه الإنتفاضات على الرغم من حدوثها في منطقة واحدة هي منطقة بارزان، إلاّ أنّها كانت ذات طابع عام تعبّر عن أماني الشعب الكُردي في الحرية والديمقراطية بما حملته من أهداف هي إنعكاس لرغبة الشعب الكُردي وطموحه. إنّ تطور الظروف الداخلية والعالمية كان يحتّم على الحركة التحررية الكُردية أن تتطور وتبدّل من أهدافها وأسلوب نضالها بشكل يكون أكثر إنسجاماً ومطابقة لطموح جماهير الشعب الكُردي الكادح. ولقد ظهر هذا التطور وهذا التبدل في الأهداف والأساليب خلال الثورات البارزانية المتعددة والتي كانت الأخيرة منها ١٩٤٣-١٩٤٥ أكثرها نضوجاً وتعبيراً عن مصالح الشعب الكُردي.

إنّ الثورات البارزانية وخاصة الأخيرة حملت من أهداف قومية كُردية وأهداف عراقية عامة ما جعلها بحق المعبّر عن مشاعر الشعب العراقي. إنّ المحتوى التقدمي والثوري لهذه الثورات هو الدافع الى تكالب الأطراف الرجعية المحلية والإستعمار العالمي ضدها. إن إنتفاضات البارزانيين، ولو أنّها فشلت في تحقيق أهدافها، إلاّ أنّها صارت بحق مدرسة ثورية إستطاعت الحركة الثورية الكُردية إستخلاص دروس قيّمة منها لمستقبل أيامها. فلقد أثبتت هذه الإنتفاضات وحدة قوى الإستعمار والرجعية والبُرجوازية العربية، وهم الأعداء الرئيسيون للحركة الثورية الكُردية، ولن يُكتب للحركة الثورية الكُردية النجاح إلاّ بعد إنتصارها على هذه القوى وسحقها لها. إذ ليس من مصلحة هذه القوى حلّ القضية الكُردية ولو بأبسط الأشكال فحلّ هذه القضية يهدد مصالحها.

لقد أثبتت هذه الإنتفاضات بأنّ الإنتفاضات الكُردية سوف تستمر وتتلاحق مادامت القضية الكُردية معلقة وغير محلولة ومادام الشعب الكُردي محروماً من حقوقه القومية والديمقراطية. كما أثبتت بأنّ الديمقراطية في العراق عامة كنظام هو الحق الأساسي لحلّ القضية الكُردية حلاً عادلاً، فبدون هذا النظام الديمقراطي تبقى

القضية الكُردية على حدّتها وإستعدادها للإنفجار. ولهذا فإنّ عامل النضال المشترك الكُردي العربي هو الحجر الأساس في تحقيق النظام الديمقراطي في العراق وبالتالي حل القضية الكُردية.

إنّ الثورات البارزانية قد حملت أهداف الشعب الكُردي، وحاربت الإقطاعيين والرجعية والإستعمار، فجعلت بذلك من نفسها رمزاً لنضال الشعب الكُردي ورمزاً لنضال الشعب العراقي. إن الإنتفاضات البارزانية أغنت المحتوى التقدمي للحركة الثورية وعمّقت من ديمقراطيتها ووسّعت آفاقها بما حملت من أهداف وشعارات تقدمية ثورية، وبذلك جعلتها أكثر إستيعاباً للمشاكل والقضايا الإجتماعية والطبقية، بعد أن كانت تستوعب المفهوم القومي فقط. وبذلك أيضاً إستطاعت أن تقدم ضرورة مزج الأهداف القومية والطبقية في الحركة الثورية الكُردية، وهذا هو السبب ولاشكّ، إضافة الى نضالها المباشر ضد الإستعمار، في تحويل نفسها من حركة قومية محلية الى إنتفاضة شعبية حية. وبذلك وضعت الحركة الثورية الكُردية بجانب الحركات الثورية لشعوب العالم. وأضافت عند ذاك قوة ثورية جديدة وهي الشعب الكُردي الى القوة الإنسانية.

إن الإنتفاضات البارزانية وتأثيرها وإستمرار الظروف المعاشية والإقتصادية والسياسية السيئة في البلاد قد جعلت الشعب العراقي في غليان سياسي مستمر ولقد وصلت التناقضات نقطتها الحاسمة في ١٤ تموز ١٩٥٨، حين قام الشعب والجيش بالإنقلاب وأزالوا الحكم الملكي وأُسّست الجمهورية التي إعترفت بشراكة الكُرد والعرب فيها، وتحققت بذلك الأهداف التي قامت من أجلها الإنتفاضات البارزانية وغيرها من الإنتفاضات الكُردية.

إنّ إعتراف السلطة الجديدة بالشراكة وسماحها للبارزانيين بالعودة الى الوطن دلّت على ما للحركة الوطنية الكُردية من قوة وما للبارزانيين من مكانة عند الشعبين الكُردي والعربي. فالإستقبال الحافل من قبل جماهير الشعبين العربي والكُردي كان خير دليل على ذلك وكانت تصريحاتهم وتصريحات البارزاني التي تبيّن من خلالها إستعدادهم لخدمة الجمهورية والدفاع عنها بأرواحهم دليلاً آخر على إخلاصهم ووطنيّتهم، ولم يهدفوا من وراء ذلك سوى لخير العراق وتقدمه وتأمين التطور والرفاهية لشعبيه العربي والكُردي.

إنّ البُرجوازية العربية التي إستولت على الحكم تحولت بسرعة وبعد نصف سنة عن النهج الديمقراطي، حيث بدأت في شخص الدكتاتور قاسم تعادي الديمقراطية وتحاربها وهذا قد قادها ولاشك الى معاداة ومحاربة الشعب الكُردي.

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذي بين يديك هو أطروحتي التي قدّمتها (وأنا طالب دكتوراه في معهد الإستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية) الى جامعة لينينگراد في نهاية سنة ١٩٦٣ ونلت بها درجة الدكتوراه بدرجة شرف. ولأسباب وظروف خارجة عن إرادتي ورغبتي ظلّت غير مطبوعة الى حين رجوعي الى السليمانية وجامعتها في بداية سنة ٢٠٠٠، حيث تفضل الأخ كامل قفطان صاحب مطبعة (سةركةوتن) بالقيام بأعباء طبعه. وعلى الرغم من أنني حصلت خلال هذه السنوات الطويلة على معلومات إضافية إلاّ أنني فضلت طبع الأطروحة كما كانت ولم أغيّر فيها شيئاً لا أسلوباً ولا محتوى حفاظاً مني على الأمانة العلمية.

وفي الختام أتمنى أن تساهم في خدمة تاريخ شعبنا الكُردي.

پ.د. كاوس قفطان

٢٠٠١-٩-٣٠

المصادر

المصادر الأجنبية

1- Longrigg, S.H, Iraq 1900-1950. L. 1953.

2- Edmonds, C. 7. Kurds of Iraq. Middle east Journal, vol. II,NI. L 1957.

3- Bell, G, The Letters, L. 1935.

4- William Eagleton, The Kurds Republic of 1946. L. 1963.

5- Sykes, M,The Caliphs, Last Heritage of Turkish Empire, L. 1915.

6- Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, L. 1957.

7- G. Bell, Asiatic Turkey, Bombay, 1907.

8- B. Nikitine, Les Kurdes recontes par euxmemes, La Asia Krancaise, N3, Mai 1925.

9- Wigram

10- A. T. Wilson, Mesopotamia, 1917-1920, A Clash of Loyalities. L. 1931.

11- H. M. Burton, The Kurds, Journal of The Royal Central.

12- Edmonds, The Kurds of Iraq.

13- Edmonds, Kurds and The Revolution.

14- Lucien Rambout, Les Kurds, et driot, Paris, 1947.

15- H. Forster, The Making of Modern Iraq, London, 1936.

16- Walter Z. Lagueur, Communism and Nationalism in The Middle East, Second edition, London, 1957, p. 227.

17- Report by His Britian Majesty, Government to The Council of The League of Nations on The Administratio of Iraq For The Year 1927. London 1928.

18- W- Douglass, The Strange Land and Friendly People, New York. 1951.

المصادر العربية

١- عبدالعزيز الهلالي، معجم العراق الحديث، ج١، بغداد ١٩٥٣.
٢- عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة الثانية، ج٢، صيدا ١٩٥٣.
٣- صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكُردية أو إمارة العماديه، الموصل ١٩٥٢.
٤- الدكتور شاكر خصباك، الكُرد والمسألة الكُردية للدكتور لازاريف(باللغة الروسية) وفيه معلومات قيّمة عن البارزانيين.
٥- دانزك، ل.ن، الإنتفاضة الوطنية التحررية في سنة ١٩٢٠ في العراق، موسكو ١٩٥٨ (باللغة الروسية).
٦- علاءالدين السجادي (شۆڕشەكانى كورد و كۆمارى عيراق)، بغداد ١٩٥٩.
٧- معروف چياووك، مأساة بارزان المظلومة، بغداد ١٩٥٤.
٨- محمد البريفكاني، حقائق عن القضية البارزانية، بغداد ١٩٥٣.
٩- الدكتور أرسلان، ترجمة القرداغي، بارزان و نهينيةكاني.
١٠- همزه عبدالله، شۆڕشي بارزان، السليمانية ١٩٥٩ (ترجمة محرم محمدأمين من العربية).
١١- سيد عزيز شمزيني، الحركات الثورية الكُردية ١٩٤٢-١٩٤٦، مترجمة من الروسية في جريدة خەبات.
١٢- محمد أمين زكي، تاريخ الكُرد وكُردستان، القاهرة ١٩٣٧.
١٣- حسين حزني موكرياني (بەكورتى هەڵكەوتى دێرين لە ڕۆژنامەكانەوە) بغداد ١٩٤٧.
١٤- حسن مصطفى، البارزانيون، بغداد ١٩٦٤.
١٥- صحيفة تفليس، رقم ٨٤، نيسان ١٩١٤.
١٦- فاضل حسين، مشكلة الموصل، بغداد ١٩٥٥.
١٧- جريدة النضال - خەبات ٧ شباط ١٩٦٠، العدد ٣٥٤.
١٨- يوسف إبراهيم يزبك: النفط مستعبِد الشعوب، بيروت ١٩٣٤.
١٩- محمد عودة، ثورة العراق، القاهرة ١٩٥٨.
٢٠- أحمد فوزي، خناجر وجبال - قاسم والأكراد، القاهرة ١٩٦١.
٢١- رفيق حلمي، ياداشت، الجزء الأول.

٢٢- محمد توفيق حسين، نهاية الإقطاع في العراق، بيروت ١٩٥٨.
٢٣- عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي، المقدمة.
٢٤- جريدة العالم العربي، ٢٤ أيار ١٩٣٢.
٢٥- مخطوطة قەناتى كوردۆئيف، البارزانيون وإنتفاضاتهم، مذكرات.
٢٦- جواهر لال نهرو، لمحات عن تاريخ العالم، بيروت ١٩٥٧.
٢٧- يوسف ملك، كُردستان أو بلاد الأكراد، بيروت ١٩٤٥.
٢٨- خيرات البيضاوي، إيران فوق كفّ عفريت، بيروت ١٩٥٧.
٢٩- ميشال سليمان، إيران في معركة التحرر، بيروت ١٩٥٤، ص٤٤.
٣٠- ماجوكي، إيران في معركة التحرير، بيروت ١٩٥٤.
٣١- جلال الطالباني، الأهمية التاريخية لجمهورية مهاباد، ژۆژي نوى، العدد (١٠) ١٩٦١.

المصادر الفارسية

١- نجفقلي پسيان، مهاباد خونين تا كناره‌هاى ئاراس، طهران ١٣٢٨.

المصادر الروسية

١- ميرسكي، ل.ت، العراق في الأوقات الحالكة ١٩٣١، موسكو ١٩٦١.
٢- فيدجينكو، أ.ن، العرب في النضال من أجل الإستقلال. موسكو ١٩٥٧.
٣- كوتلوف، ل.ن، الإنتفاضة الوطنية التحررية في سنة ١٩٢٠ في العراق، موسكو ١٩٥٨.
٤- ليفين، ن، العراق، ميسوپوتاميا الحديثة، موسكو ١٩٣٧.
٥- الأرشيف الحزبي الأذربيجاني، أ و بي ٧٢، القسم ١.
٦- ي.ك. سركيسيان، السياسة الإحتلالية للإمبراطورية العثمانية فيما وراء القفقاس، يريڤان ١٩٦٣، ص٨٥.
٧- جريدة (زاريا ڤاستوك)، ٧ شباط ١٩٣١.
٨- تاريخ العلاقات بين الشعوب والحركة الوطنية التحررية- المدرسة التحررية العليا التابعة للجنة المركزية ك.ب.س.بس موسكو ١٩٦٢.
٩- دانز، ب.م، العراق في الماضي والحاضر، موسكو ١٩٦٠.

١٠- سي. أي. بيلينكوف، ماذا يحدث في إيران، محاضرات عامة، منشورات پرافدا، سنة ١٩٤٧، ص٢٠.
١١- ت.ب. اكوبوف، حول مسألة تجميد المسألة القومية الكُردية في إيران.
١٢- فاريزوف.
١٣- الأرشيف الحزبي الأذربيجاني، الإصدار رقم ٧٢.
١٤- رحيمي قاضي، الحزب الديمقراطي الكُردستاني، أطروحة غير مطبوعة.

المؤلف في السطور

١- اكمل الدرسة الابتدائية في السليمانية.
٢- تخرج من دار المعلمين العالية قسم الاجتماع و تعين مدرساً في ثانوية السليمانية ١٩٥٧.
٣- دكتوراه في التاريخ الكُردي الحديث كانون الاول ١٩٦٣.
٤- تعين كباحث علمي في معهد شعوب آسيا التابع لأكادمية العلوم السوفيتية في شباط ١٩٦٣ الى كانون ١٩٦٦ حيث رجع الى الوطن.
٥- تعين في مديرية الدراسات الكُردية في ١-٥-١٩٦٧.
٦- اشتغل لمدة سنة ونصف كباحث علمي في وزارة شؤن الشمال نُقل بعدها الى جامعة بغداد كلية الآداب قسم اللغة الكُردية في نهاية ١٩٧٠.
٧- أُحيل على التقاعد في مارت ١٩٨١ وفي ٢٨-١٢-١٩٨٣ أُعيد الى الخدمة كخبير في المجمع العلمي العراقي الهيئة الكُردية.
٨- نقل خدماته الى جامعة بغداد كلية الآداب قسم التاريخ في نهاية كانون الاول ١٩٨٧ ونال درجة أستاذ مساعد في ١٩٩١. نقل خدماته الى كلية التربية (إبن رشد) في ٣-١١-١٩٩٢ ونال درجة استاذ في ٣-١١-١٩٩٧ وطلب إحالته على التقاعد في ١٥-١-٢٠٠٠ وتعين في جامعة السليمانية كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ في شباط ٢٠٠١

من كتب المؤلف

- عشر قصص، بغداد ١٩٦٩.
- الشمس الغاربة، سليمانية
- صيد الوعول، سليمانية ١٩٧٠.
- بعيداً عن الجحيم بنصف خطوة، بغداد ١٩٧٥.
- خمس تابلوهات مشوهة، بغداد ١٩٨٥.
- غرفة الضيوف، سليمانية ٢٠٠٠.
- ما قلّ ودلّ، سليمانية ٢٠٠١.
- اساطير شعوب آسيا، القسم الاول مترجمة من اللغة الروسية، بغداد ١٩٨٥.
- إنتفاضة آگرى داغ، السليمانية ١٩٥٩.
- بابان، سوران، بوتان، بغداد ١٩٨٥.
- أكراد الإمبراطوية العثمانية، مترجمة عن الروسية، بغداد ١٩٨٧.
- إنتفاضة الاكراد سنة ١٨٨٠، مترجمة من الروسية بغداد ١٩٨٧.
- القضية الكُردية ج ١– ٢، مترجمة من الروسية، بغداد ١٩٨٩.
- التاريخ الحديث، للصف الخامس الادبي مع الآخرين، بغداد ١٩٧٠.
- التاريخ القديم للوطن العربي للصف الأول مع عثمان قادر، بغداد ١٩٨٨.
- مقالات تاريخية، السليمانية ٢٠٠١.
- كبرى الحكايات العالمية تأريخ – أدب– ترجمة، تحت الطبع.
- أساطير شعوب آسيا، القسم الثاني، تحت الطبع.
- الانتفاضات البارزانية، تحت الطبع.
- أمسية – رواية، تحت الطبع.
- احاديث اذاعية، معدة للطبع.
- مذكرات، معدة للطبع.
- الحركة القومية التحررية الكُردية ١٩٥٨ – ١٩٦٤. معدة للطبع.
- مجموعة من القصص القصيرة، معدة للطبع.

الفهرست

المقدمة 5
الفـصل الأول 11
الفصل الثاني 14
الفصل الثالث 29
الفصل الرابع 63
الفصل الخامس 106
الخـاتمة 133
المصـــادر..... 136
للمـــؤلف 141